

هاشم معروف الحسني

دار التعارف للمطبوعات
بيروت

الموضوعات في الآثار والأخبار

عرض ودراسة

هاشم معروف الحسني

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

السيد هاشم معروف الحسني
سيرة نقيّة، وفكر نقيّ . . .

نقاء سيرته، ونقاء فكره حقيقتان تواكبان اسمه: حياً وميتاً، حاضراً وغائباً . . .

ولد السيد هاشم معروف الحسني عام ١٩١٩ في قرية جناتا (قضاء صور - لبنان الجنوبي) وفي بيت من بيوت الصلاح والتقوى في جبل عامل، وفي رعاية والده السيد معروف، ذلك الرجل الوقور وقار المؤمن، الوديع وداعة الناس البسطاء، الطيب كطيبة الأرض التي كانت تعطيه من خيرها الوفير بقدر ما يعطيها من جهده الجاهد، وصبره المحتسب، وبركة يديه الخيّرتين. . في ظل هذه المزايا الكريمة لوالده السيد معروف ، نشأ السيد هاشم نشأة كريمة اكسبته منذ الفتوّة وقار الرجال، ووداعة المؤمنين، وطيبة الناس الطيّبين كأرضهم جبل عامل. . في ظل هذه المزايا بالذات تمرّس السيد هاشم بأخلاق التواضع والصدق وعفّة اليد واللسان والضمير وببساطة العيش رغم انه عاش فتوّته وشبابه في بيت ميسور الحال موفور النعمة . .

ويشهد الذين عايشوه أو عاصروه في النجف الاشرف وهو يطلب علم الدين والشريعة هناك، ان هذه الاخلاق نفسها، وهذه العفة نفسها، وهذه البساطة الطيبة نفسها، ظلت من مميزاته المرموقة التي كانت تكسبه احترام اساتذته وزملائه واصدقائه وتلامذته، بل كانت تمنحه حبهم جميعا.

ونستطيع القول جازمين بأن هذه المميزات التي كانت تزداد ترسّخا في شخصية السيد هاشم، طول اعوام الدراسة في النجف الاشرف، هي اساس ما عُرف به ايام طلب العلم هناك من مثابرة مدهشة على الدرس والمدارسة، ومن انكباب نادر المثال على الكتاب لا تلهيه عنه مغريات المجالس العامرة، يعقدها ايام العطل الاسبوعية، زملاؤه واصدقاؤه ترفيهاً لنفوسهم من عناء الدرس والتدريس . . . هذا لا يعني ان السيد هاشم كان زمِّيتاً ، أو انطوائياً ، أو متحرِّجا من مجالس الانس البريئة، أو كان كزّ المزاج لا تُطيب له مؤانسة الاصدقاء والزُّملاء. . بل كان أمره على عكس ذلك: كان الوفاً سريع الالفة طيب المؤالفة، تطرب نفسه للقاء الاصدقاء، يهتزُّ جسده كله سروراً ومرحاً للفكاهة اللاذعة الناقدة ويضحك لها مِلْء صدره، بل كثيرا ما كان هو يبادر بها ويرسلها عفوية ضاحكة محببة. . غير انه لم يَدَعْ لنفسه ان تسترسل في الاستمتاع بهذا كله، كيلا يطغى على استمتاعه الروحي بتحصيل المعرفة والعلم. . لذا كان حريصا على ان يقيم التوازن بين هذا وذاك في حياته اليومية، وكان ناجحاً جداً في إقامة هذا التوازن بالفعل. . .

السيد هاشم، طالب العلم، كان نموذجاً محترماً للطالب المنظَّم التفكير والعمل. . كان تنظيم عمله اليومي يتناسب مع نَسَق تفكيره الدقيق التنظيم. . فإنه بالرغم من تعدُّد عمله اليومي، كمياً ونوعياً، كان يبدو صافي الذهن، هادىء الاعصاب، متهلّل الوجه، فكأنه يعمل عملاً واحداً سهلاً. . مرجع هذه الظاهرة فيه هو قدرته الفائقة على تنظيم فكره وعمله. . هذه القدرة كانت له عوناً على إنجاز اعماله اليومية كاملة ومتقنة دون أن ترهقه ذهنياً ولا جسدياً. . بهذا القدر من حسن تصريفه الأمور كانت له الطاقة المدهشة في أن يحضر في اليوم الواحد أكثر من حلقة دراسية، وأكثر من حلقة مذاكرة، وأن يمارس التدريس لأكثر من حلقة وكتاب. . غير أن الأهم من كل ذلك انه كان يتعامل مع زملائه وتلامذته كأنه هو المستفيد دائماً منهم في حين كان هو يفيد أكثر مما يستفيد. . من هنا كان السيد هاشم نموذجاً في التواضع بقدر ما كان نموذجاً في تنظيم عمله وتفكيره. .

كل اخلاقه ومزاياه هذه سواء ما اكتسبه في نشأته برعاية والده السيد معروف، أم ما ترسَّخ فيه منها خلال طلبه العلم بالنَّجف الاشرف، هي جميعا اخذت تبرز وتتوهَّج، أكثر فأكثر، منذ انتهت مرحلة طلب العلم، وعاد الى جبل عامل ليمارس مهمَّته كرجل دين.. في مرحلته الجديدة تغيرت كل الظروف السابقة، وجاءت ظروف مختلفة جداً.. وتبدلت شروط الحياة وشروط العمل، بل تبدَّلت حتى شروط التفكير.. بمعنى ان شخصيته الانسانية اصبحت عرضة لأن تتكوَّن من جديد بصيغة جديدة. وصار من الممكن والمحتمل أن تهتزّ شخصية طالب العلم حين ينتقل فورا الى مرحلة عليه أن يواجه فيها الحياة والناس والأشياء والقضايا بوجه جديد، بشخصية جديدة، بمواقف جديدة، بعادات جديدة، بمزاج جديد الخ، الخ...

وهنا الامتحان الكبير، العسير، الشاق... هنا التحوُّل من شخصية طالب العلم الى شخصية رجل الدين بكل ما تحتمل شخصية رجل الدين من صفات وصيغ عيش وتفكير، ومن اشكال تعامل، مع الناس، مع الواقع الجديد... إنه التحول الصعب. فكيف إذن واجه السيد هاشم ظروفه الجديدة، واقعه الجديد... هل اهتزت شخصيته الطالبية النموذجية امام شخصية رجل الدين التي كان عليه ان يتقمّصها بسرعة دون اختلال؟

أسئلة كثيرة من هذا النوع تحتشد في الذهن .. مع أن سيرة السيد هاشم النقية، وفكره النقي، يقدمان لنا الجواب عن كل هذه الاسئلة بارتياح دون مشقة.. فقد بقيا على نقائهما دون انكسار.. وبقي السيد هاشم الطالب النموذجي، هو نفسه السيد هاشم العالم رجل الدين المرتجى.. بل أصبح اكثر نموذجية، اي اكثر توهجا، أي اكثر حضورا في ظروفه الجديدة منه في ظروفه السابقة كطالب علم...

كل المزايا التي عرفناها في السيد هاشم طالب العلم في النجف الاشرف، اثبتت حضورها الابهى في العلامة السيد هاشم رجل الدين في جبل عامل:

أخلاق التواضع والصدق وعفة اليد واللسان والضمير وبساطة العيش

رغم وَفْرة اسباب العيش لديه. . كل هذه الاخلاق والصفات فيه، برزت عنده بصيغتها الجديدة منذ بدأ حياته الجديدة كرجل دين.

لكن هذه الاخلاق والصفات ذاتها اتخذت صيغتها الجديدة مسيّجة بسياج حصين منيع من الورع بأعمق معانيه وأكثرها شمولية، إنه الورع الذي يصون صاحبه لا من مقاربة المحرّمات الدينية التعبُّدية وحدها، بل يصونه ـ أولاً وآخراً ـ من مقاربة المحرّمات التعامليّة بخاصة: دينية، واجتماعية، وانسانية ووطنية. . إن هذا النوع التعاملي من الورع، هو ما يضع الفارق الحاسم بين الورع العادي والاستثنائي، أو بين الورع السطحي والعمقي، أو بين الورع الزائف والحقيقي. .

ورع العلّامة السيد هاشم معروف كان ورعاً ذا طبيعة شمولية، أولاً، وكان ـ الى ذلك ـ ورعاً استثنائياً وعُمقياً وحقيقياً. . نقول هذا لا اعتباطا ولا امتداحا. . وإنما نقوله اعتقادا واستنادا الى الواقع والشاهد والملموس من سيرته النقية. . فنحن نعرف من سيرته هذه أنه:

اولا : كان له من صدق إيمانه الديني حصانة قوية وراسخة تمنع عنه الوقوع في شرك المغريات الآثمة مهما تكن عليه من قوة الاغراء وسحره. . وهذا هو الورع الديني. .

ثانيا: كان له من ادراكه السليم وحدسه الصائب ما يعصمه من كلا الشَّرّين: شر العزلة المطلقة غن الناس دون تمييز بعضهم من بعض، وشر الاندماج المطلق بالناس دون الحيطة والحذر من بعضهم دون بعض. بفضل هذه العصمة أمكنه اجتناب اهل الشر منهم، مع الافادة من صلته بالخيّرين فيهم. . وهذا الورع الاجتماعي.

ثالثاً: كان من سماحة القلب ونبل العاطفة ما يضعه قريباً من الناس الضعفاء والبؤساء والمعذّبين. . بفضل هذا القرب الحميم استطاع أن يبلْسم بعض الجراح قدر ما لديه من الممكنات. . وهذا هو الورع الانساني. .

رابعاً: كان له من شرف العقل ونزاهة الضمير ما يبعده عن اهل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الهداة الميامين وصحبه الطيبين لم يخالف أحـــد من المسلمين في أن الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسيان للتشريع ولـكل ما جاء به الاسلام من انظمة وآداب وأخلاق وغير ذلك ، وان السنة تأتي في المرتبة الثانية بعـــد كتاب الله ، ولولاها لكان التشريع ناقصاً لأن القرآن الكريم قـد وضع القواعد العامة والأصول والمبادىء لـكل ما يحتاجه الانسان في دنياه وآخرته ، غـير ان السنة قـد تكفلت بشرحها وبيان مجملاتها وتفريع الجزئيات على أصولهـا ومبادئها كما يعرف ذلك كل من درس السنة والفقه الاسلامي دراسة وافية بتدبر واتقان ، ومن ثم لم يكن للمشرع ولا للمحدث ولا لأي باحث في موضوع من المواضيع التي لها صلة بالاسلام كدين ونظام مندوحة عن الاعتماد على السنة واللجوء إليها والاسترشاد بهديها في جميع المواضيع الاسلامية منذ فجر التشريع حتى يومنا الحالي ، وستبقى السنة إلى جانب القرآن من أغنى المصادر في جميـع المجالات بالرغم من أنها كانت هدفاً لهزات عنيفة وهجمات صاعقة من الحاقـــدين والمرتزقة والحاكمين تستهدف

الجوانب المشرقة منها منذ أقدم العصور ، لقد بليت بالحاكمين ففسروا نصوصها بما يتفق مع سياستهم وأهوائهم وتأولوا عشرات الأحاديث بما يتفق مع تصرفاتهم ووضعوا مئات الأحاديث التي تؤيد عروشهم وتضع الحجب بين الحقائق التي يهدف إليها الاسلام وبين جماهير الناس ، وبليت بالمرتزقة والوعاظ وقادة الفرق والأحزاب فوضعوا ما شاؤوا من البدع والغيبيات التي تحقق أطماعهم وتؤيد اتجاهاتهم وآراءهم ، وبليت بالحاقدين أعداء الاسلام الذين اندسوا بين صفوف المسلمين منذ مطلع فجره بعد أن عجزوا عن الوقوف في وجه الزحف الاسلامي الذي اجتاح العالم العربي والامبراطورتين الفارسية والرومانية في بضع سنوات معدودات ، فوضع هؤلاء آلاف الأحاديث بقصد التخريب والتشويش ، وظلت جميع تلك الموضوعات في مجاميع الحديث يتوارثها الخلف عن السلف بدون تحقيق في أسانيدها ولا دراسة لمتونها إلى جانب الصحيح منها فاختلط الحق بالباطل والصحيح بالفاسد بالرغم من بعض المحاولات البريئة التي بذلت ولا تزال تبذل من قبل السنيين والشيعيين لتصفيتها وابراز الجوانب المشرقة منها .

وقد قرأت أكثر من كتاب حول الحديث فرأيت الذين قد كتبوا في هذا الموضوع قد سلكوا مسلكين شأنهم في ذلك شأن غيرهم ممن كتبوا في غيره من المواضيع ، فمنهم من اكتفى بعرض المشاكل التي أحاطت بالحديث والتطورات التي مرت على تدوينه وتصنيفه وما يتصل بذلك وتجاهل أحداث العصور الاسلامية الأولى وأثرها على الحديث والمحدثين . ومنهم من جنح إلى الأسلوب العلمي في دراسته فنظر إلى الحديث والمحدثين من خلال التاريخ الاسلامي وسياسة الحاكمين وما رافق العصرين الأموي والعباسي من أحداث وتطورات وكان موفقاً في دراسته واستنتاجه إلى حد ما ، غير أن هذا الفريق كغيره ممن كتبوا حول هذه المواضيع قد حملوا الشيعة مسؤولية التعدي على سنة الرسول والكذب فيها مما دعا غيرهم على حد زعم هؤلاء المؤلفين إلى السير على

هذا الخط ليدفعوا الباطل بمثله كما يزعمون وتجاهلوا تلك الظروف القاسية والأحداث المروعة التي استهدفت الشيعة والقضاء على التشيع ومقوماته منذ مطلع العهد الأموي إلى العصر العباسي والأيوبي والتركي وغيره من العصور ، وقد اخترت في هذه الدراسة المسلك الثاني لأنه أوسع عطاء وأصدق في أداء الواجب ، وألزمت نفسي قدر وسعي أن أقف موقفاً بعيداً عن التعصب والمحاباة وأصغيت لجميع الحجج والآراء ، فلم أسفه رأياً كما فعل السباعي في دراسته ولا اوسعت احداً سباً وتعنيفاً كما صنع محمد عجاج الخطيب وامثاله ممن يرون التشيع لأهل البيت (عليهم السلام) وكراً يأوي إليه كل من يريد هدم الاسلام وتقويض دعائمه ، كما واني لم ابرىء الشيعة والمندسين في صفوفهم من وضع الأحاديث كما يظهر من الأمثلة التي قدمتها في هذا الكتاب .

والذي انتهيت إليه في هذه الدراسة التي أقدم لها هذه الكلمة هو ان الكذب في الحديث كان نتيجة لمجموعة من العوامل كانت أولى بوادرها قبل ظهور الأحزاب والفرق السياسية والمذهبية بزمن يتصل بحياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته على أبعد التقادير .

وعلى اي الأحوال فلقد وضعت كتابي هذا حول الحديث والمحدثين بعد تردد دام أكثر من سنة كاملة كانت تشدني إليه بعض الاعتبارات وتمنعني عنه ظروف واعتبارات اخرى ، ولكني اخيراً وبعد ان وقفت على مجموعة من الكتب حول المحدثين والأحاديث الموضوعة لجماعة من مؤلفي السنة القدامى ، ورأيت بعض الكتب التي تسيء إلى علي وبنيه الائمة الهداة كمشارق الأنوار للبرسي ، وقضاء علي للتستري ، وشجرة طوبى للحائري ومختصر البصائر وامثال هذه الكتب تطبع في بيروت بلد الطوائف والأديان والأحزاب من قبل بعض المؤسسات والمكاتب التي تتاجر بالدين والتشيع فيطلع عليها القريب والبعيد وحتى من لا يؤمن بالله ورسله فضلا عن الغيبيات والكرامات ،

وحسب تقـديري ان هناك تصميم على المضي في نشر هـذا النوع من الـكتب الذي لا يعبر عن واقع الأئمة ولا عن عقيـــدة الشيعة ولا يمت إلى التشيع الصحيح بصلة من الصلات لأغراض لا استطيع تحديدها في هذه المقدمة ، لذلك ولغيره عزمت على تأليف هذا الكتاب وتم ذلك بتوفيق الله سبحانه ، وقد عرضت فيه المراحل التي مر بها الحـــديث وأصنافه والكذب فيه ودوافعه واصناف الوضاعين والقصاصين من سنيين وشيعيين ، وقدمت امثلة من الأحاديث الموضوعة بين احاديث الشيعة وغيرهم في المثالب والفضائل وغيرها للسببين التاليين : الأول منهما ، لنقول لأولئـك الذين قد حاولوا ولا يزال احفادهم يحاولون مسخ التشيع من خـلال بعض المرويات في كتب الحديث لنقول لهم ان كتب الحديث الموجودة بين ايدي الشيعة فيها الصحيح والفاسد لأنهـا من صنع الانسان الذي يخطىء ويصيب وتستبد به الأهواء والأغراض فتكيفه كما تشاء ، والثـاني لتنزيه الأئمـة الطاهرين مما الصق بهم زوراً وبهتاناً وبيان الاخطـار التي تكمن في التغاضي عن بعض الأحاديث والمتاجرة فيهـا على حساب الدين .

وأنا واثق بأني سأتعرض لحملات قاسية من بعض حشوية الشيعة والمتاجرين بالدين ولكني بحول الله وقوته سـوف اتجاهل كل ما يقـــال معتمداً على الله وحده ومستعيناً به في جميع اموري ، ومنه سبحانه استمد العون والتوفيق إنه قريب مجيب .

الفصل الأول

السنة في عرف المتشرعين

السنة في اللغة هي الطريقة التي يختطها الانسان لنفسه قبيحة كانت أم محمودة، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها .

وفي عرف المحدثين كل ما جاء عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو غير ذلك من صفاته الخَلقية والخلقية من غير فرق بين ما كان منها قبل نبوته أو بعدها ، ولذلك اتجهوا إلى تدوين جميع المراحل التي مر بها والحالات التي اتصف بها منذ ولادته إلى آخر مرحلة من حياته ، وقد نظر إليها الأصولي والفقيه من الزاوية التي تعنيهما في بحوثهما ففسروها بأقواله وأفعاله وتقريره التي تدل على الأحكام وتثبتها ، وحينما نتكلم عن الحديث الموجود في الجاميع لابد لنا وان نتخطى ما يعنيه الاصولي والفقيه من هذه الكلمة إلى كل ما رواه الرواة من أقواله وأفعاله وتقريراته سواء من ذلك المتعلق منها بالأحكام وغيرها ، والمراد من التقرير الذي يهتم به الفقيه ويعتبره في مرتبة

أقواله وأفعاله من حيث دلالته على الحكم ، هو سكوته عما كان يفعله أصحابه الكاشف عن رضاه ، فالسكوت المقترن بالرضا والاستحسان لا فرق بينه وبين القول من حيث دلالته على مشروعية الفعل ورجحانه أو وجوبه أحيـــاناً .

وقد وقف المسلمون عند سنة الرسول بهذا المعنى خاشعين مطمئنين كما وقفوا عند نصوص الكتاب وآياته يسترشـــدون منهما ويستلهمون من نصوصهما وظواهرهما الأحكام والأخلاق وكل ما فيـه صلاحهم في الدنيـا والآخرة ، ودلهم الكتاب نفسه على أن الشريعة لا تتم به وحده كما لا تتم بالسنة وحدها، فكان كل منهما متمماً للآخر وكاشفاً عن غوامضه وأسراره ، فلولا السنة ما عرفنا مجملات القرآن ولا اكتشفنا الكثير من أسراره وغوامضه ، هـــذا بالإضافة إلى كثير من الحوادث التي لم ينص عليها القرآن باسمها ووصفها ، وتركها للرسول الذي ائتمنه على وحيه وحمله مسؤولية الأداء والتبليغ والتفسير وبيان ما اشتبه حكمه وخفي عليهم وجهه ، قال تعالى : **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون**[1] .

وقال في آية أخرى : **وما أنزلنـــا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**[2] .

وأوجب عليهم النزول على حكمه في كل خلاف يحدث بينهم كما تنص على ذلك الآية :

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما[3] .

---

(١) النحل آية ٤٤ .
(٢) ٦٤ نفس السورة .
(٣) نفس المصدر آية ٦٥ .

وجاء في الآية من سورة آل عمران : **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**[1] .

وليس من المستبعد كما ذهب بعض المفسرين ان تكون الحكمة غير القرآن كما يرجح ذلك عطفها عليه ، كما يجوز أن يكون المراد منها الأحكام الشرعية وأسرارها ونحو ذلك مما زوده به من الوصايا والنصائح مما يدخل في نطـاق السنة النبوية .

وقال الشافعي في رسالته : لقـد ذكر الله الكتاب وعنى به القرآن ، وذكر الحكمة وعنى بهـا سنة رسول الله ونسب ذلك إلى جمـاعة من العلماء ، وأضاف إلى ذلك : فلم يجيزوا والله العالم أن يراد من الحكمة غير سنة رسول الله لأنها مقرونة بالكتاب ، ولايصح أن تكون شيئاً آخر غير السنة لانهـا منة من الله على عباده ولا يمن عليهم إلا بما هو حق وخير ، ولازم ذلك ان علينا أن نتعبد بالحكمة كما تعبـدنا بالقرآن ، ولم يفرض الله علينا غير كتابه وسنة نبيه .

ومهما كان الحال فكما أنزل الله على رسوله الكتاب وأمره بتبليغه وتنفيذ أحكامه وارشاداته ونصائحه ، أوحى إليه الكثير من الأحكام والارشادات وما حـدث للأمم السالفة وسيحـدث في مستقبل الزمان وعصمه من الخطأ والزلل ، ووصفه في الآية من سورة الاعراف بأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحـل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم[1] .

---

(١) النحل آية ١٦٤ .

(٢) انظر الآية ١٥٦ من سورة الأعراف .

وجاء عنه انه قال : اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، واكد القرآن الكريم على المسلمين أن يرجعوا إليه في أمور دينهم ، وحثهم على الاستجابة لما يدعوهم إليه .

فقال في الآية من سورة النساء : **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ، **واعتبر طاعته طاعة لله ، واتباعه حباً لله تعالى ، فقال ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**[1] ، وقال : **ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**[2]. إلى كثير من الآيات التي قرنت طاعته بطاعة الله ومحبته بمحبة الله وانذرت مخالفيه بالعذاب الأليم ، ووضعهم في صفوف الجاحدين لله والكافرين برسله وانبيائه ، قال سبحانه : **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**[3]. فكان لهذه الآيات ولغيرها من الأدلة التي تراكمت لديهم على صحة دعوته ونبل رسالته واخلاصه فيما يقول ويفعل ، كان لكل ذلك أثره البالغ في استلهام سنته وسيرته بالإضافة إلى تلك المجموعة الهائلة من الفضائل التي احتشدت في شخصه الكريم واهلته إلى مركز القيادة الحكيمة التي غيرت وجه التاريخ ، وكشفت زيف العادات والاعراف ومناهج الحياة التي كانت تتحكم في مصير الإنسان تلك الرسالة التي اطلت بأشعتها على الحاضر والمستقبل لتمهد للانسان طريق المجد والخلود ، **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** .

---

(١) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٢) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٣) الآية ٣١ من آل عمران .

لقد تدرج الرسول في نشر دعوته وانتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة ومحاربة المنكرات التي اعتادوها وغرس مكانها العقائد والاحكام وشجع الذين التفوا من حوله على قلتهم في بادىء الامر على الصبر والثبات وتحمل المشاق والصعاب ، ومضى في التخطيط لدعوته وتركيز دعائمها بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة يساير الزمن ويستغل المناسبات إلى أن توفرت له الأسباب وانقاد لدعوته عرب الجزيرة واطمأن على مصيرها في تلك البقعة من بقاع الارض فاتجه إلى ما وراء الجزيرة لينشر رسالته في جميع أرجاء الدنيا الواسعة ويبلغها للقريب والبعيد ، وهو مع ذلك يقوم بمهمة المعلم والحاكم والقاضي والمرشد خلال ربع قرن من الزمن بالاسلوب الذي يراه مجدياً حسب الزمان والمكان ، وأحياناً يحل مشاكل الناس بالاسلوب الذي يتناسب مع حالهم وظروفهم ، فقد جاء في بعض المرويات ان رجلا جاءه ليطلق زوجته فقال له : ان امرأتي هذه جاءت بغلام أسود واني انكرته فقال له النبي ﷺ هل لك من ابل ؟ قال : نعم ، فقال له : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، فسأله هل فيها من اورق ، قال نعم فقال له فمن اين أتاها ذلك فأجابه البدوي عسى أن يكون نزعة عرق ، وهنا وجد النبي المجال متسعاً لإقناعه بالعدول عن رأيه بما يحسه من ظروفه وحياته ، فقال له : وهذا عسى أن يكون نزعة عرق ، فاقتنع السائل ومضى لسبيله مطمئناً لمولوده الجديد وشاكراً للرسول العظيم هذا الاسلوب الذي أعاد إليه الاطمئنان بزوجته وشريكة حياته .

ومن ذلك ان أحد القرشيين قال له : يا رسول الله : ائذن لي في الزنا فقال له النبي ﷺ أتحبه لأمك ، فقال : لا والله ، جعلني الله فداك ، فقال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، ومضى النبي يعرض عليه الزنا في قريباته يقصد اقناعه بالعدول عن رأيه ، وهو ينفر ويستنكر ، فقال له أخيراً : ان عملا لا ترضاه ممن يتصلن بك بنسب أو سبب لا يرضاه غيرك ولا تطيب به نفسه ، فادرك الرجل خطأه وانصرف لشأنه نادماً على

طلبه الى كثير من امثال هـذه الأساليب التي كان يستعملها حسب المناسبات وبلغ من حرصه على تأديب أصحابه وتربيتهم على منهج الإسلام ، انه كان يستغل المناسبات ويهيء الفرص للاجتماع بهم والحديث معهم بما يعود عليهم نفعه ويكرر حديثه ويفصل بين كلماته ليسهل عليهم التثبت منها والاقتناع بها .

وقال بعض أصحابه : ان رسول الله كان إذا حدث لا يسرد الكلام سرداً بل كان إذا تكلم بكلام لو عده العاد لاحصاه ليستقر في ذهن السامع ولا يبقى في شك منه ، وكان مع ذلك لا يكثر من الحديث ولا يرضى لهم إلا باليسير ، وهو القائل : علموا ويسروا ولا تعسروا على أحد فخير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه ، وإذا أحس من أحد اطراءه والثناء عليه قال : لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله فلا تزيدوا على ذلك .

بهذه الروح الطيبة والنفس السامية والصدر الرحب والمنهج السليم الذي اختطه الله له حاول بكل ما لديه من امكانيات وجهود ان يغرسه في قلوب اتباعه ونفوسهم ، واستطاع أن يحقق الكثير من أمانيه وأن يصنع من عرب الجزيرة الجفاة الطغاة رسل خير ورحمة ، ودعاة سلام ومحبة ، وقادة يغزون العالم بعقولهم وتعاليمهم التي استمدوها من الرسول الكريم قبل أساطيلهم وجنودهم ، تلك التعاليم التي نسميها بسنة الرسول تارة وبحديثه أخرى ، والتي لو قدر لها أن تسلم من كيد الدساسين وعبث المحرفين والمخربين ، وقدر لنا اليوم وقبل اليوم ان نحتضنها ونعمل بمضامينها ومحتوياتها لكانت من أفضل المصادر التي نستلهم منها قوتنا ونستعيد بها كرامتنا وحريتنا لأنها تجمعنا على صعيد الحق والهدى وتمدنا بكل أسباب القوة في مقابل أولئك الغزاة العقائديين والسياسيين من شرقيين وغربيين الذين جمعتهم الأهداف بقصد أو بدونه

على تحطيم الإسلام وتقويض دعائمه ووجدوا بين المنتسبين إليه من يمهد لتلك الأهداف التي لا تختلف عن الحروب الصليبية إلا بالشكل والمظهر .

لقد كانت كل أفعاله وأقواله تعنيهم أكثر من أي شيء آخر ، لأنه كان محور حياتهم الدينية والمدنية منـــذ ان هداهم الله به من الضلالة إلى الهداية ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم ، وبلغ من حرصهم على احصاء أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته انهم كانوا إذا اضطر أحدهم للتغيب عن مجلسه يستنيب من يقوم مقامه لينقل إليه ما سمعه من الرسول عن حكم يتعلق بدينه أو أمر يتعلق بحياته ، وهو مع كل ذلك كان يتهرب من التدخل بشؤونهم التي لا تتصل بالأحكام والأخلاق والآداب ويقول :

أنا اعلم بأمور دينكم وانتم اعلم بأمور دنياكم .

وتؤكد المصادر الموثوقة ان الطبقة الأولى من المسلمين قد أحصوا عليه جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته ما يتصل منها برسالته كرسول ومشرع وغير ذلك مما يتعلق بشؤون الحياة ، ونقلوا جميع ما شاهدوه وسمعوه منه للأجيال جيلاً بعد جيل ، غير انهم بطبيعة الحـال لم يكونوا في مستوى واحد في دينهم وخبرتهم بأقواله وأفعاله وتعاليمه ، فمنهم البدوي والحضري والتاجر والمنقطع للعبادة وغير ذلك من الأصناف الذين لابد وأن يتفاوتوا في معرفتهم واحصائهم لاقواله وادراكهم لها ولما ترمز إليه ، مع العلم بأنه لم يكن قد اعد لهم ندوة عامة ليجتمع بهم في ليل أو نهار وإذا استثنينا أيام الاعياد والجمع وبعض المناسبات الخاصة التي كانت تحدث عن طريق الصدفة بين الحين والآخر، ومع ذلك كله فقد كان يحاذر منهم الملل ويخشى ان تشغلهم العبادة عن السعي والعمل في طلب الرزق والعلم ، فقد أكد لهم في عشرات المناسبات ان السعي في شؤونهم الخاصة والعمل من أجلها لا ينفصل عن الدين ولا ينقص عن أجر الصائمين والمصلين بل يزيد عليها عشرات المرات ، كما يشير إلى ذلك قوله : عمل

يوم خير من عبادة سنة وأحياناً يتلو عليهم قوله : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » الى غير ذلك من الآيات التي تحث على طلب العلم والرزق وتبشر العاملين من أجلهما بثواب الصديقين والمجاهدين .

وكان اعلم المسلمين واعرفهم بسنته وسيرته اولئك الذين لازموه طيلة حياته وكانوا اقرب إليه من الظل لذي الظل ، ولم يخالف احد من المؤرخين والمحدثين في ان علياً عليه السلام كان اقرب إليه وألصق به من جميع المسلمين وكان يتحدث إليه في سره وعلانيته ، ويبلغ عنه القريب والبعيد ، وإذا أخذنا بهذا المبدأ الذي يؤكده السباعي وغيره من المؤلفين في الحديث فيجب ان تأتي مروياته في الدرجة الأولى من حيث العدد والاعتبار ، في حين ان صحاح السنة وعلى رأسها صحيح شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري لم تدون له اكثر من ثمان وعشرين رواية ، ودونت لغيره المئات والآلاف ، ولو تغاضينا عن ذلك ورجعنا الى الصحابة نجد ان الذين كانوا ألصق بالرسول من أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر ، لم تدون لهم الصحاح شيئاً يذكر بالنسبة الى مدونات أبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، ولنا وقفة مع الرواة المكثرين عن الرسول في الفصول الآتية من هذا الكتاب .

ومهما كان الحال فبالرغم من ان المسلمين في حياته لم يتركوا شيئاً من اقواله وافعاله وتصرفاته الا احصوه في صدورهم وتناقلوه في مجالسهم جيلاً فجيلاً ، واخذوا احكام دينهم من سنته ومن القرآن الكريم ونظروا الى سنته بعين الاجلال والاكبار بعد ان تأكد لهم بأنه لاينطق الا عن الوحي ولايبلغ الا عن ربه ، بالرغم من كل ذلك ومن ان السنة من ادلة الاحكام كالقرآن ولولاها لم يكن التشريع بهذه الإحاطة والشمول ، فالمسلمون الأولون لم يهتموا بتدوينها كما اهتموا بالقرآن ، بل اعتمدوا على ذاكرتهم القوية ، مع العلم ان الرسول نفسه قد فتح باب التدوين واتخذ من المسلمين كتاباً لتدوين القرآن

وبعض رسائله التي كان يزود بها الولاة ، وبعض الشؤون الاخرى كالمراسلات ونحوها مما يتعلق بشؤون الدولة ، وقد اسرف من ادعى ان انصراف المسلمين عن تدوين الحديث في مطلع فجر الإسلام يرجع إلى نهي الرسول عنه ، ورووا عنه انه قال :

لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئاً فليمحه ، إلى غير ذلك من المرويات عنه حول هذا الموضوع ، وهذه المرويات بالإضافة الى ضعف اسانيدها وعدم توفر الشروط للأخذ بها ، تتناقض مع الطائفة الأخرى التي ترخص في التدوين؛ ومع حرصه على مكافحة الامية التي كانت متفشية بين العرب في مطلع فجر الإسلام ، وقد صح عنه انه فرض على من كانوا يحسنون القراءة والكتابة تعليم غيرهم من الاميين ، وخصص مقداراً من واردات الدولة لمكافحة الامية ، كما يؤكد المؤرخون انه فرض على كل اسير كان يحسن الكتابة والقراءة تعليم عشرة من الاميين كفدية له في مقابل الفدية النقدية التي فرضها يوم بدر على الاسرى في حين أنه كان أحوج ما يكون الى المال في تلك الفترة من تاريخ الإسلام ، وامر بتعلم اللغتين العبرية والسريانية نظراً للحاجة الداعية الى ذلك ، وبعد الدراسة الواعية لهذا الموضوع يمكن ان نخرج منه بالنتيجة التالية :

وهي ان النبي ﷺ لم يمنع عن التدوين مع حرصه على محاربة الامية كما ذكرنا ، وفي الوقت ذاته لم يكن حريصاً على تدوين اقواله وسيرته كما كان حريصاً على تدوين القرآن وتعلم الكتابة والقراءة مخافة ان ينصرف الناس عن القرآن الى سنته وسيرته وينظروا إليهما كما ينظرون الى القرآن ، وعلى مرور الزمن تحل محله ، كما حلت اقوال المسيح وسيرته محل الانجيل الذي انزله الله عليه ، وبالتالي فإن عناصر التخريب التي كانت منتشرة هنا وهناك حتى في عهد الرسول ﷺ تجد منفذاً للتشويش على القرآن والسنة ولو بادخال

بعض اقواله بين آيات القــــرآن ، وعلى مرور الزمن يصبح من الميسور لهم أو لغيرهم اثارة الشكوك حول القرآن والسنة معاً .

ومهما كان الحال فالنبي ﷺ لم يكن متحمساً لتدوين آثاره ، ووقف موقفاً يمكن ان يتصف بالفتور بالنسبة لغيره مما كان يؤكده ويحث عليه ، ولم يرد عنه ما يصلح ان يكون سبباً كافياً لتعليل هذه الظاهرة ، وبنتيجة ذلك وقف المسلمون بعد وفاته هذا الموقف الفاتر من تدوين اقواله واعتمدوا على ذهنيتهم الحــادة التي كانت تستوعب ادبهم واخبارهم وجميع ما كان يجري بينهم من الحروب والغارات ، ووجدوا من الذين استولوا على الحــكم بعــــد وفاته تشجيعاً على هــذا الموقف ونهياً صريحاً ينذر بعقوبة من يحاول القيــام بعمل من هذا النوع ، كما اشرنا الى ذلك في كتابنا تاريخ الفقه الجعفري ، ومع كل ذلك فقد ظهرت بعض المدونات في عصر الصحابة لعلي عليه السلام وابن عباس وغيرهما وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفته الصادقة في عهد الرسول كما يدعي جماعة ممن كتبوا في هذا الموضوع ـ وان كنا قد أثرنا حولها الشكوك في كتبنا السابقة .

ويحدث ابن النديم في كتابه الفهرست انه كان بمدينة الحيثة رجل يقال له محمد بن الحسن جماعة للكتب له خزانة لم ارَ لأحد مثلها تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب ، فلقيت هذا الرجل دفعات وكان نفوراً ضنيناً بمــا عنده وخائفاً من بني حمدان فاخرج لي قمطراً كبيراً فيه نحو من ثلاثمائة رطل من جلود وصكاك وقراطيس وورق صيني وتهامي وجلود أدم فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم ، فرأيتها وقلبتها فرأيت عجباً إلا ان الزمان قد اخلقها ، وكان على كل جزء ورقة ومدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد ، ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي عليه السلام كما رأيت فيهــا

بخط الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، ورأيت عنده أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي ﷺ ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو بن العلاء وابي عمرو الشيباني ، ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الأسود الى غير ذلك ، مما جاء في الفهرست وتؤكده بقية المصادر ، وبالرغم من الموقف السلبي الذي وقفه الخلفاء من تدوين الاحاديث والسيرة النبوية . وظل هذا الموقف مسيطراً الى ان انقرض عصر الصحابة وجاء دور التابعين فاتسمت بلا شك حركة التدوين لأكثر من سبب واحد ، ولعل من ابرز اسبابها اختلاط المسلمين بغيرهم من الامم المتحضرة التي حملت معها اخبار الفرس والرومان وتاريخ ملوكهم وفلسفتهم وغير ذلك من آثارهم واخبارهم ، هذا بالإضافة الى ان المسلمين قد احسوا بالخطر على السنة لأن اكثرها في صدور الحفاظ ، وقد انقرض بعضهم ، وضاعت معهم بعض الاحاديث ، وانتشر القصاصون والكذبة في تلك الفترة من التاريخ وبخاصة عندما استتب الحكم للأمويين كما سنثبت ذلك في الفصول التالية ، فأحس جماعة من العلماء بالحاجة الملحة الى تدوين الحديث حذراً من ضياعه ومن التلاعب فيه ، وظلت حركة التدوين تسير بخطا واسعة مع الزمن ، وقبل ان ينتهي ذلك العصر هب العلماء يتسابقون الى التدوين في مختلف المواضيع فدونوا كل ما وجدوه بين أيدي الرواة حتى موضوعات الامويين .

ويحدثنا ابن سعد في طبقاته بأن هشام بن عروة بن الزبير قال : لقد احرق ابي يوم الحرة كتب فقه كانت له ، وكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندي احب اليّ من ان يكون لي مثل اهلي ومالي ، وقال في موضع آخر :

ان عبد الرازق قال : سمعت معمراً يقول : كنا نرى اني قد اكثرت عن الزهري حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه من علم الزهري .

ويقول ابن خلكان : ان ابن شهاب الزهري كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بهـا عن كل شيء من امور الدنيا ، فتقول له امرأته : والله لهذه الكتب اشد علي من ثلاث ضرائر . وأضاف الى ذلك ان ابا عمرو بن العلاء المولود سنة سبعين من الهجرة كانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف[1] الى غير ذلك من عشرات الشواهد ، على ان فتور الطبقة الأولى من المسلمين عن التـدوين قد تلاشى خلال النصف الثاني من القرن الأول وأخذت حركة التدوين تتصاعد وتتطور مع الزمن في مختلف المواضيع الى ان بلغت ذروتها في التبويب والتصنيف في مطلع النصف الأولى من القرن الثالث الهجري ، ولكن بعد ان مرت مراحل كثيرة كان المؤلف في بدايتها يحشد في جامعه كل ما تناقلته الالسن من مختلف المواضيع من غير تمحيص وتدقيق ، ومن غير تنسيق بين الأبواب والمواضيع ، فالكتاب الواحد كان يجمع النوادر والاحكام والامثال والقصص ونحو ذلك . وفي بداية النصف الاول من القرن الثاني اتخـذت حركة التدوين شكلاً آخر واحس العلماء بالحاجة الملحة الى التنسيق بين مواضيع مؤلفاتهم ، وبرزت على اتمها في القرن الثالث كما يبدو ذلك من الصحاح الستة .

والذي لا يمكن التنكر له ان فتور الطبقة الاولى من الصحابة عن تدوين الأحاديث مهما كانت أسبابه قد يسر للعناصر الفاسدة التي اندست في صفوف المسلمين من اليهودية والنصرانية وغيرهما من مشركي مكة وغيرها ممن لم يدخل الاسلام قلبهم قـد يسر لهم الدس والكذب على الرسول وادخال الكثير من القصص واخبار الأمم السابقة ، وبخاصة اليهودية حسبما روتها التوراة وشروحها وأضافوا قسماً من تلك الاساطير الى تفسير القرآن ، ومن بين اولئك عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم ممن اتخـذوا

---

(١) انظر فجر الاسلام ص ١٦٨ .

القصص مهنة لهم يخدعون الجماهير السذج باساطيرهم ليبتزوا أموالهم ويتملقوا بذلك الى الحكام ليستدروا عطفهم واعطياتهم ، وقد ظهرت طلائع هؤلاء في عصر الطبقة الاولى من الصحابة ، ولعل أول من تعاطى هذه المهنة تميم الداري المعاصر للخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وقد استأذنه في ان يقص على الناس فأبى عليه أولاً ، وفي اخريات أيامه أذن له ان يقص على الناس مرة في الاسبوع .

ولما جاء دور عثمان بن عفان اطلق له السراح ، فانطلق يحدث فى المسجد والمجتمعات بما لذ له وطاب بدون وازع من دين أو رقابة من أحد ، ومما يشير الى عدم تحرج هذه الطبقة من الكذبة والقصاصين ان روح بن زنباع دخل عليه وهو ينقي لفرسه شعيراً ، فقال له : اما كان في هؤلاء من يكفيك قال بلى : ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن امرىء مسلم ينقي لفرسه شعيراً ثم يعلقه عليه إلا كتب له بكل حبة حسنة[1] .

وحدث عبد الله بن سلام كما جاء في الجزء الأول من الطبري عن بداية الخلق ، فقال : ان الله بدأ الخلق يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال الرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة . الى كثير من امثال هذه الاساطير التي دسها اليهود وغيرهم بين المسلمين واصبحت بعد ذلك من جملة الاحاديث التي روتها الطبقة الثانية ونسبتها إلى الرسول ودونها المؤلفون في مجاميعهم بين المرويات هنا وهناك .

وعلى اي الاحوال ففي عصر التابعين كانت الحاجة الى الحديث اكثر من اي وقت مضى ، لأن المسلمين قد استقبلوا حياة جديدة حافلة بالحوادث

---

(١) فجر الاسلام ص ١٦٨ .

الغريبة عما اعتادوه وألفوه من قبل بسبب اتساع رقعة الاسلام واختلاطهم بالأمم الاخرى ، فكان من الحتم عليهم ان يرجعوا إلى مرويات الصحابة ومدوناتهم في ظروف كان فيها الكذب على الرسول ميسوراً ومنتشراً ، لأن الحكام أنفسهم ساهموا في الدعوة إلى وضع الاحاديث لاسيما التي تؤيد عروشهم وتسيء الى اخصامهم السياسيين ، على ان الصحابة الذين اصبحوا المرجع المفضل لكل من جاء بعدهم ، لم يكونوا في المستوى الذي يوفر لمروياتهم اسباب الطمأنينة والوثوق بهـا ، وحسبنا شاهدا على ذلك بعض الآيات التي وصفتهم بالنفاق والتمرد على الرسول ورسالته كما تنص على ذلك سورة التوبة وغيرها، بالإضافة إلى المرويات الكثيرة التي وصفتهم بالارتداد عن الدين والتنكر لمبادئه وقيمه. هؤلاء وغيرهم قد وضعوا بين المرويات الصحيحة مئات المرويات في الحلال والحرام وغيرهما ، ولما جاء دور التصفية بحث المعنيون بتصفية الحديث احوال الرواة فرداً فرداً ووضعوا الشروط للأخذ بالرواية وصنفوا على اساسها الروايات الى الاصناف المتداولة ، وخضعت جميع المرويات للنقد والتمحيص عدا روايات الصحابة فإنها لم تخضع للنقد ولم تقبل المراجعة ، لأنهم فوق الشبهات والأهواء على حد تعبير المؤلفين في هذه المواضيع .

ولابد لنا ونحن نعالج موضوعا من أوسع المواضيع الاسلامية وأوثقها صلة بحياة المسلمين أن نقف ولو قليلاً عند الحصانة التي وضعها المحدثون على من اسموهم بالصحابة وعن اسبابها ودوافعها ، في حين ان الصحابة أنفسهم كانوا يتراشقون بالتفسيق والتكفير ويستبيحون من بعضهم بعضاً ما لاتبيحه الشرائع والأديان ولا تقره حتى شريعة الغاب ، وظلمات الجاهلية الأولى ، ولو أردنا احصاء الجرائم والمخالفات التي دونها التاريخ لمن هم في الطليعة بين الصحابة لخرجنا من ذلك بمجلد من أضخم المجلدات وأغناها بالحقائق والوثائق التي لا تقبل المراجعة ،ويكفينا لو أردنا ان نكون مجردين وواقعيين تلك الحملات العنيفة التي شنها القرآن الكريم عليهم ووصفهم فيها بالنفاق والفسق وفضح

فيها مؤامرتهم ودسائسهم التي كانوا يحيكونها في الظلام للقضاء على الرسول ودعوته ، هذا بالإضافة إلى عشرات الأحاديث التي اختارها أصحاب الصحاح ووصفتهم بالارتداد عن الدين والتمرد على أصوله ومبادئه بنحو لا يدع مجالاً للريب في انهم ان لم يكونوا اسوأ من غيرهم ، فهم كغيرهم من سائر الناس فيهم الصالح والطالح والمنافق والمؤمن ومن قذفت به النزعات والاهواء الى اسفل درك من الانحطاط والتدهور .

اجل ان الباحث في تاريخ المسلمين خلال القرن الاول من تاريخهم الحافل بالحوادث والتطورات ، يدرك ان فكرة تقديس الصحابة – التي راجت بعد هذا القرن واصبحت عقيدة لمئات الملايين من المسلمين المتدفقة عبر التاريخ وعلى أساسها درس العلماء الحديث ووضعوا أصوله وقواعده وخرجوا بتلك النتائج المروعة التي شوهت معالم السنة ، وامدت الخصوم الألداء بأسلحة الهدم والتخريب – هذه الفكرة لقد نشط الحاكمون واتباعهم في تركيزها وتثبيتها لأسباب فرضتها السياسة والصراع على الحكم الذي تزعمه الامويون طيلة قرن من الزمن استهدف اخصامهم بكل أنواع البلاء والتعذيب وكبت الحريات والمشاعر ، وقـــد أدرك الامويون ان المسلمين سوف لايقفون من هذه الخلافة موقف المتفرج فجدوا في وضع الاحاديث التي تؤيد عروشهم وشرعية حكمهم وتضع من شأن اخصامهم ، فوضعوا هم واتباعهم سيلا من المرويات ونسبوها إلى الرسول بتوسط الصحابة بعد ان اكلت الحروب والسنين اكثرهم ، وحتى لا يتسرب الشك إليها ولا يتسع المجال للطعن بها وتجريحها ، خلقوا للصحابة تلك الهالة من القداسة ومنحوهم صفة العدالة ، وأشاعوها بين الناس على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم ، وجدوا في تثبيتها وتركيزها في النفوس بالمال والسلاح وكل المغريات ، وظلت هذه الفكرة تسير مع الاجيال جيلاً بعد جيل الى ان جاء دور المؤلفين في الرجال واحوال الرواة في عصر يختلف عن اي عصر مضى من حيث الصراع الفكري والعقائدي الذي شاع وانتشر بين أوساط المسلمين

خلال القرن الثـــاني من الهجرة فوجد هؤلاء ان محاكمة الصحابة وتجريحهم كغيرهم يؤدي إلى الإطاحة بأكثر المرويات عن الرسول ، لأن اكثرها مروي بواسطتهم وفي ذلك انتصار للعناصر الاخرى التي لم ترض للعقل بأن يبقى بعيداً عن المسرح واعطوه الحق في ان يتدخل في كل شيء ما لم يكن من الضرورات التي لا تقبل الشك والمراجعة ، هـــذا بالإضافة إلى ان السياسيين وغيرهم يعلمون ان التشكيك بالصحابة ومحاكمتهم كغيرهم يؤدي بالنتيجة إلى التشكيك بالخلافة الاسلامية بالنحو الذي سارت عليه ، لأن عدالتهم وعدم اجتماعهم على ضلال كما يزعمون من أوفر الأدلة حظاً على شرعيتهـا ، فإذا التزموا بأنهم كغيرهم من سائر الناس ووضعوهم في قفص الاتهام كان ذلك انتصاراً للحزب المعارض لخلافة الثلاثة ، وبالتالي تبطل خلافة الامويين من أساسها حتى على منطقهم الذي ضللوا به الجماهير المغلوبة على امرها .

ومما يؤكد ان محاكمة الصحابة ووضعهم في قفص الاتهام كغيرهم يوجب الإطـــاحة بأكثر المرويات المنسوبة إليهم ، ان الذين تفلتوا من تلك الحالة وخرقوها ووضعوا الصحابة على طاولة التشريح كغيرهم لم يصح عندهم من المرويات التي تتصل بسند لهم إلا القليل القليل من المرويات المنسوبة إليهم ، مما اضطرهم إلى تخريج بعض الاصول والقواعـد للتعرف على بعض الاحكام التي لم يجدوا لها مدركا من كتاب أو سنة ، ومن هؤلاء شيخ الاحناف الذي اعتمد القياس دليلاً على كثير من الاحكام لأنه لم يثق بكل مرويات الصحابة ولم يصح عنده إلا بضع عشرات منها .

الصحــابة

ولابد لنا ونحن نتكلم عن الموضوعات وما يتعلق بهذا الموضوع من عرض موجز لآراء العلماء والمحدثين في تحـــديد الصحابة ومراتبهم في الرواية عن الرسول ﷺ ، وقد جاء في الباعث الحثيث للحافظ ابن كثير والتـدريب للسيوطي وابن الصلاح في مقدمته وغيرهم .

انه كل مسلم رأى الرسول او سمع حديثه ، طالت الصحبة او قصرت بل ولو كانت يوماً واحداً على حد تعبير الإمام أحمد بن حنبل[1] واسرف بعضهم اسرافاً لا مبرر له فألحق بهم من رآه قبل النبوة ومات على الحنيفية كزيد بن عمر بن نفيل ، أو رآه قبلها وأدرك البعثة مسلماً وان لم يره .

وممن نص على ان مجرد الرؤية يكفي في اعطائه صفة الصحبة ، البخاري وأبو زرعة وابن عبـد البر ، وأبو موسى المديني ، وابن الأثير في كتابه اسد الغابة في معرفة الصحابة[2] .

---

(١) انظر الكفاية ص ٥١ وتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ .

(٢) لقد تحدثنا عن الصحابة وتحديد الصحبة مفصلاً في كتابنا دراسات في الكافي والبخاري ولكن الموضوع الذي نحن فيه يفرض علينا ان نتحدث عنهم على ان اعادة الحديث لا تخلو من بعض الفوائد والزيادات .

وجاء في مقدمة ابن الصلاح انهم توسعوا في اعطاء من رآه ولو مرة صفة الصحبة لشرف منزلته وعلو مقامه ، واضاف بعضهم الى الرؤية ان يروي عنه ولو حديثاً او حديثين . وتعرض سعيد بن المسيب لهجوم عنيف من المحدثين والفقهاء لأنه اشترط انيصحبه سنة أو سنتين ، أو يغزو معه غزوة أو غزوتين ، لأن ذلك يؤدي إلى خروج جرير بن عبد الله البجلي وامثاله من الصحابة ، لأنهم لم يمكثوا معه المدة المذكورة على حد تعبيرهم .

وقد ألحق ابن الأثير مؤمني الجن بالصحابة ، وتردد بعض في الحاقهم دون الحاق الملائكة ، ولكن ابن الاثير اجاب بأن الجن من المكلفين بالإسلام وقد آمن بعضهم برسالة النبي ، والملائكة لم يشملهم هذا التكليف ، لذلك يتصف من آمن من الجن بها ولا يتصف بها احـــد من الملائكة ، واضاف إلى ذلك أن نبي الله عيسى بن مريم إذا نزل إلى الارض وحكم بشريعة محمد ﷺ يصح اعطاؤه هذا الوصف لأنه رآه على وجه الارض .

ونصّ الزرقاني في شرح المواهب : ان وصف الصحبة يثبت للملائكة كما يثبت لغيرها ، لأن النبي ﷺ ارسل إليهم ايضاً ولكن ارسال تشريف ، او تكليف خاص غير التكليف الذي كلف به الإنسـان .

وجاء عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري : ان الصحبة تثبت لكل من ادرك عصر النبي ﷺ وان لم يره ، وعلى هذا الاساس فقد عدوا عبد الله بن مالك الجيشاني منالصحابة مع انه لم ير النبي ﷺ ولم يدخل المدينة إلا في خلافة عمر بن الخطاب[1] .

وألحق ابن عبد البر وابن منده بالصحابة كل من حكم باسلامه تبعاً

---

(١) انظر التدريب للسيوطي ص ٢١٣ عن شرح التلقيح للقرافي .

لأبويه الصحابيين[1] إلى غير ذلك من الأقوال والآراء التي لا ترتكز على أساس من العلم أو العرف ، ذلك لأن العلم والعرف لا يسمحان بإعطاء هذا الوصف لكل من رآه أو سمع حديثه أو ولد في عصره ونحو ذلك ما لم يكن متصلاً به ولو شطراً من الزمن بنحو من الاتصال الذي يختلف حسب الظروف والملابسات ، ومن أجل ذلك فإن الناس يتفاوتون تفاوتاً محسوساً في الاتصاف بها حسب طول المدة وقصرها والاتصال الوثيق وعدمه والاطمئنان النفسي وغير ذلك ، كما يتفاوتون في اتصافهم بسائر الصفات كالعلم والكرم والشجاعة والبخل والجمال ونحو ذلك ، ومن هنا كان انطباق هـــذا الوصف على الذين لازموه منذ الأيام الاولى الى المرحلة الأخيرة من حياته أصدق وأظهر من الذين اسلموا في اخريات أيامه ولازموه فيها حتى ولو اخذوا من أحاديثه ورووا عنه اكثر من اولئك بعشرات المرات ، كما وانه من اسلم من بعد الهجرة لم يكن ارتباط هذا الوصف به وملاءمته له كارتباطه بمن آمن به في وقت مبكر من تاريخ اعلانه بالدعوة ، في حين ان اتصاف من اسلم بعد الهجرة بها اتم واكمل من اتصاف من تأخر اسلامه الى قبيل وفاته ، وهذا لايعني ان لطول المدة دخلاً في صدق هذا الوصف ، وانما الذي يعنيه هـــذا التفصيل هو ان الصحبة كغيرها من الصفات التي تنسب الى الذات وتحمل عليها بعـد وجود اسبابها وملابساتها ، وفي الوقت ذاته لابد وان تختلف من حيث ارتباط المحمول بالموضوع باعتبار طول المدة وقصرها وكثرة المعاشرة وتبادل الوثوق والاطمئنان بين الطرفين ، كما تختلف في ذلك بقية الصفات التي تنسب لموضوعاتها كالعلم والكرم والشجاعة ونحو ذلك ، أما مجرد الرؤية كما ذهب الى ذلك اكثر اهل السنة ، أو شمولها لكل من ولد في عصره كما ذهب الى ذلك آخرون ، أو مجرد الاسلام في عهده كما نسب لبعضهم ، أو الرواية عنه كما جاء في بعض الاقوال ، أو شمولها حتى للجن والملائكة كما جنح لذلك بعض المنحرفين كابن الاثير والزرقاني في شرح

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

المواهب ، هذه الآراء لاتعتمد على سنة مقبولة ولايقرها العقل والعرف في اي عصر من العصور ، وإذا أردنا فحص هـذه الآراء فحصاً جدياً لا يثبت منها امام النقد والتمحيص سوى الرأي المنسوب الى سعيد بن المسيب الذي يضع حداً للحد الأدنى بسنة أو سنتين ، أو يغزو معه ويجاهد بين يديه ولو مرة واحدة.

ومع ان الجمهور الأعظم من علماء السنة ومحدثيهم قد اعطوا هذا الوصف لكل من رأى النبي وسمع حـديثه ، حتى ولو رآه لحظة واحدة صنفوا المتصفين بها الى اصناف كثيرة أنهاها الحاكم النيسابوري الى اثنتي عشرة طبقة، وانهاها ابن سعد في طبقاته إلى خمس طبقات الى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي لا يعنينا احصاؤها ، في حين انهم اتفقوا على ان الطبقة الاولى تشمل كل من اسلم في عهد مبكر من تاريخ البعثة ، وان الخلفاء الاربعة أفضلهم ، ويأتي من بعدهم بقية العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة على حد زعم أهل السنة ، ونحن لاننكر أن الأولين يتصفون بالصحبة اتصافاً صحيحاً ، ولكننا ندعي ان الصحبة مهما بلغت مدتها ومهما كان نوعها ومع اي كانت من الناس نبياً كان أو وصياً أو غيرهما لا ترفع من شأن الإنسان ولا توجب له ميزة على غيره من الناس ما لم يتأثر بها وينفعل بصاحبه بنحو يكون في أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته يعكس أقوال وأفعال وتصرفات الطرف الآخر ، وأصحاب النبي ليسوا بأقرب إليه ولا بألصق به من بنيه الاقربين ، ومع ذلك فلم يجعـل الإسلام لهم ميزة على غيرهم من سائر الناس إلا بالعمل الطيب والخدمات التي يقدمونها لغيرهم من بني الإنسان ، وقد صح عنه انه قال : خير الناس من نفع الناس ، وانه قال لفاطمة عليها السلام وهي وحيدته وأعز الناس على قلبه وروحه ومن ألصق الناس به في ليله ونهاره ، اعملي يا فاطمة فلن اغني عنك من الله شيئاً . والشيء الغريب ان هؤلاء قد رووا عن النبي ﷺ قوله هـذا لفاطمة ، وغيره من المرويات التي تلغي جميع الامتيازات والأعتبارات لأي كان من الناس ، ومع ذلك يزعمون بأن صحبة معاوية وسمرة بن جندب وعمرو بن

العاص وغيرهم من الحشرات الذين لطخوا تاريخ الإسلام بالجرائم والموبقات ترفع من شأنهم وتجعلهم في صفوف القديسين ، مع ان التاريخ يؤكد بأنهم منذ دخلوا الإسلام الى ان خرجوا من هذه الدنيا وأيديهم تقطر من دماء الابرياء والصلحاء ، واغرب من ذلك ان يبلغ الاسفاف ببعض المحدثين الى القول بأن يوماً واحداً من أيام معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبدالعزيز وأهل بيته[1] .

هذا الاسفاف الجائر ان دل على شيء فلا يدل إلا على حماقة هؤلاء الذين يريدون أن ينتحلوا الفضل لمن عراهم الإسلام عن كل ما يمت الى الفضيلة بسبب قريب أو بعيد ، وعنـــدما يستعرض الباحث مهما كان لونه تاريخ الرجلين ويقارن بينهما وهما من حكام تلك الدولة الجائرة التي اسسها معاوية فأمات بها العدل وأحيا بها الجور وشريعة الغاب ، عندما يستعرض الباحث تاريخ الاثنين لا يسعه إلا أن يقف بجانب عمر بن عبد العزيز الذي لم يكن يهمه من أمر الخلافة إلا محو ما علق بها من آثار اسلافه وجور آبائه والسير بها نحو الأهداف التي رسمها الإسلام للحاكمين ، عدل بدون مواربة ولا محاباة، وزهد في كل شيء إلا في احقاق الحق وانصاف المظلومين ، وسهر دائم على مصالح الرعية من أجل سعادة الإنسان من غير تمييز بين قوم وقوم أو جنس وجنس . بهذا النحو من الاجمال تستطيع أنتضع الخطوط العريضة لمنهج هذا الحاكم وأهدافه خلال تلك الفترة القصيرة التي لو قدر لها ان تمتد لفترة أطول وأشمل لغيرت وجه هذه الدولة القاتم المظلم الحافل بالمخازي والمنكرات والتي كان شعار قادتها السواد بستان لقريش ، وأسلوبهم استنزاف الثروات لإشباع شهواتهم ، احلب الدر فإذا جف فاحلب الدم ، بهذا التخطيط الجائر قطعت دولة الامويين التي وضع نواتها معاوية بن ابي سفيان مسيرتها الواسعة من غير

(١) انظر الباعث الحثيث للحافظ ابن كثير ص ١٨١ .

ان يتخللها ولو بصيص من امل بعيد الى تلك الشعوب ولو بعض أمانيها ، إذا استثنينا تلك الليالي البيض التي تخللت سيرتهم في عهد خليفتهم العادل ومع ذلك فإن محدثي السنة يبلغون أبعد من الاسراف في القول :

في تمجيد صحبة معاوية للرسول ﷺ التي لم تغير من طبيعته المشركة شيئاً، ويزعمون ان يوماً واحداً منها في مقياس الفضائل خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه الحافلة بالخير والصلاح ، وينتهي بهم الإسراف الى التحامل على الشيعة لأنهم لا يثبتون العدالة لكل من رأى النبي من الأعراب الجفاة ومن مشركي مكة الذين لم ينطقوا بكلمة الاسلام إلا تضليلاً ودجلاً ولأنهم لا يثبتون العدالة لهؤلاء ويصفونهم بالجهل والهذيان واتباع الهوى .

إذا عَيّرَ الطائيَّ بالبخل ما درٌ وعيّر قُساً بالفهامة باقِلُ

قال ابن كثير في الباعث الحثيث : أما طوائف الروافض وجهلهم وقلة عقلهم ودعاويهم في الصحابة إلا سبعة عشر رجلا منهم فهو من الهذيان ولا دليل عليه إلا بمجرد الرأي الفاسد عن ذهن بارد وهوى متبع وهو أقل من أن يرد ، واستطرد المؤلف في حديثه عن قداسة الصحابة وعدالتهم إلى القول بأن أفضلهم أبو بكر عبد الله بن عثمان المعروف بابي قحافة ويأتي من بعده عمر بن الخطاب ، وان عبد الرحمن بن عوف كان في حيرة من أمره في تعيين الأفضل من الاثنين علي وعثمان ، وانتهى أخيراً إلى أفضلية عثمان بعد ان استشار أهل المدينة حتى النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب على حد تعبيره ، فاتفقوا جميعاً على فضل عثمان ، ولذا ولاه الخلافة ، وأضاف إلى ذلك ان الدارقطني قال : من قدم عليا على عثمان فقد ازرى بالمهاجرين والانصار ، وأبدى تعجبه واستنكاره ممن يقدم عليا عليه من أهل الكوفة[1].

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ١٨٢ و ١٨٣ .

ومهما كان الحال فلا أريد أن انبسط في هـــذه المباحث ولا يهمني منها إلا مقدار ما تدعو إليه الحاجة في الموضوع الذي بيدي ، ولولا أن البحث عن الحديث يتوقف على هذه اللمحة الخاطفة لكنت في غنى عن هذا الموضوع، وعلى أي الأحوال فالشيعة لايغالون في تجريحهم إلى الحد الذي يدعيه ابن كثير في الباعث الحثيث ويقفون موقفاً وسطاً معتدلاً لا يسيء إلى الحديث ولايحابي المسيئين والمنافقين ، ويحكمون عليهم من خلال حكم القرآن والسنة الكريمة ، وبلا شك ان القرآن قد امتدح الطيبين منهم ووصفهم بما يليق بهم كما جاء في الآية من سورة الفتح : **« محمد رسول الله والذين آمنوا معـــه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في القرآن ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحـــات منهم مغفرة وأجراً عظيما ».**

وجاء في آية ثانية **« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصاروالذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها »** .

إلى غير ذلك من الآيات التي أشادت ببطولاتهم وجهادهم واخلاصهم لله ورسوله ورسالاته ، هؤلاء لا يتجاهلهم الشيعة ولا يتنكرون لمواقفهم المشرقة التي وقفوها في وجه الكفر والطغيان ، ويستلهمون من سيرتهم وبطولاتهم أجمل معاني الخير والنبل والفضيلة ، ويصفونهم بمـا وصفهم به الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بقوله :

اللهم صل على أصحاب محمد الذين احسنوا الصحبة وابلوا البلاء الحسن في نصره ، واسرعوا إلى وفادته وتسابقوا إلى دعوته وفارقوا الأزواج والأولاد في اظهار كلمته ، وقاتلوا الأبناء والآباء في تثبيت دعوته .

ولا نتردد في عدالتهم وقبول مروياتهم عن الرسول ﷺ مهما بلغت ، أما تقـــديس جميع من أسموهم بالصحابة لمجرد انهم رأوا الرسول أو سمعوا حديثه ، أو عاشروه ولو زمناً طويلا ولكنهم مارسوا الفتن في حياته أو بعد وفاته، وختموا حياتهم إلىجانب معاوية وغيرهم ممن تستروا بالإسلام بعد أن عجزوا عن مقاومته وباعوا ضمائرهم للشيطان ، هؤلاء لا يفرق الشيعة بينهم وبين الحاكمين الذين غيروا وبدلوا وانحرفوا عن الخطوط العريضة التي وضعها القرآن والرسول للحاكم والمحكوم ، وبالتالي فانا نطلب من القائلين بعـــدالة الصحابة وقبول مروياتهم ومرويات السيدة عائشة التي روت عن الرسول آلاف الأحاديث وكانت مصدراً منمصادر الحديث الذي استمدت منه الطبقة الاولى من التابعين كعروة بن الزبير وولده هشام وأمثالها نطلب منهم التوفيق بين قبول مروياتها وعدالتها ، وبين قول النبي فيها كما جاء في صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر ان النبي ﷺ قام خطيباً وأشار إلى مسكن عائشة بيده وقال : الفتنة ههنا ثلاثا حيث يطلع قرن الشيطان ، وجاء في رواية ثانية عنه ان النبي خرج من بيت عائشة وقال :

رأس الكفر ههنا حيث يطلع قرن الشيطان ، فهل يعني النبي ﷺ بالفتنة وقرن الشيطان نفس البناء ومحتوياته من أثاث وأخشاب أو من يسكنه ويحل فيه ، أو أن النبي ﷺ قد استولى عليه الغضب من زوجته السيدة عائشة كما يستولي الغضب أحياناً على بعض الأزواج لأسباب شخصية فوصفها النبي ﷺ بهـــذا الوصف الذي لا يتفق مع واقعها ، لا يمكن لأي مسلم أن يحتفظ باسلامه ويذهب إلى هـــذا الرأي ، لأن ذلك ينتهي بالنتيجة إلى القول بأن النبي كغيره من الناس العاديين الذين يجرهم الرضا والغضب إلى التمادي في الباطل والانحراف عن الحق ، والسؤال بعينه يأتي بالنسبة لغـــيرها من الصحابة الذين التزموا بعدالتهم ووجوب الأخـــذ بكل مروياتهم في حين أن البخاري روى في صحيحه أحاديث الارتداد ونحوها ممـــا ورد في مروان

وأبيه ومعاوية وأمثاله ، إلا أن يلتزموا بأن هـذا النوع من المرويات موضوع على النبي ﷺ ، لو التزموا بذلك يبطل هـذا السؤال ولكن عليهم والحال هذه ان يتراجعوا عن غلوهم في صحيح البخاري ، وينظروا إليه كغيره من مجاميع الحديث التي تخضع للنقد والحساب ، ولحـد الآن لم يجرؤ أحد أن يقف منه هذا الموقف .

الفصل الثاني

في المؤلفين في الحديث

أصناف الحديث

لقد كان للحديث الحاكي لسنة الرسول ﷺ دوره العملي في التشريع كما ذكرنا في أوائل الفصل السابق ، ولولاه لفقدت الشريعة صفة الكمال والشمول والمرونة التي امتازت بها عن جميع الشرائع والتشريعات الوضعية ، وبالطبع فإن الحاجة إلى الحديث قد رافقت الطبقة الأولى من المسلمين والطبقات التي تلتها ، وتضاعفت الحاجة إليه على مرور الزمن بتوالي الاحداث وتطور أسباب الحياة ، فكان من المحتم ان تبذل الجهود في مختلف البلاد الإسلامية وبخاصة بلد التشريع إلى تدارس الحديث متناً وسنداً وتدوينه في الجاميع تدويناً منسقاً ومرتباً حسب الأبواب والمناسبات والمواضيع ، وكانت مدرسة أهل البيت التي وضع نواتهـا علي عليه السلام وأبناؤه الكرام بقيادة الإمامين العظيمين الباقر وولده الصادق عليهما السلام تجمع من جميع البلاد آلاف الطلاب لأخذ الحديث من معدنه الرئيسي ، وحتى أبو حنيفة مؤسس المذهب

الحنفي وامام أهل الرأي في عصره مع تشكيكه بأحاديث الصحابة قد التجأ لتلك المدرسة وأخذ منها في مختلف المواضيع ، ودفعه اعجابه بقائدها وانتاجها إلى أن ينوه عنها في اكثر من مناسبة بقوله : لولا السنتان لهلك النعمان ، والف تلامذتها آلاف الكتب في الفقه والحديث وبقية العلوم ، كان من أبرزها اربعمائة كتاب عرفت بعد ذلك بالأصول الاربعمائة لعلها من أبرز المصادر للمجاميع التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع ، والتي كان في جملتها الكتب الاربعة للمحمدين الثلاثة[1] كما اعتمد عليها علماء القرنين الثالث والرابع الذي كتبوا في أصول المذهب الإمامي ونظموا أصوله ومبادئه وخلصوه من خرافات الفرق وسخافات الغلاة والاسماعيلية ، كما يبدو ذلك من مؤلفات علماء ذلك العصر كالمفيد والمرتضى ومحمد بن الفتح الكراجلي والطوسي وغيرهم ممن عاصروا أزمة الصراع العقائدي والنزاعات الفلسفية التي برزت في اتجاهات المعتزلة وبعض طوائف الاسماعيلية الذين بحثوا الدين على أساسها واتجهوا إلى التوفيق بينه وبين تلك المذاهب ، واتخذ هذا التفكير طابع الجدية عند أكثر العلماء إذا استثنينا القسم الاكبر من فقهاء السنة ومحدثيهم الذين أصروا على موقفهم المتصلب البالغ حد الغلو في الجمود على الحديث والاشاعرة بقيادة أبي الحسن الاشعري ، هذه الاصول الأربعمائة كانت من أوثق الكتب التي الفها أصحاب الأئمة عليهم السلام وإذا لاحظنا تصلب القميين والاشعريين والكوفيين في الحديث ودراستهم له متناً وسنداً ورقابتهم على الرواة إلى حد انهم كانوا يرفضون الرواية لمجرد التهمة بالانحراف عن خطط الإمامية ، كما حدث لمحمد بن أحمد بن عيسى القمي الذي أخرج من مدينة قم جماعة لمجرد اتهامهم بالغلو .

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني مؤلف الكافي ، ومحمد بن بابويه الصدوق مؤلف من لا يحضره الفقيه ، ومحمد بن الحسن الطوسي مؤلف التهذيب والاستبصار .

وجاء في بعض المرويات أن المعتدلين من الشيعة كانوا يسمون الواقفية وغيرهم من الفرق بالكلاب المطورة ، وبلاشك فإن لهذا التصلب آثاره الحميدة لأن الكذب في الحديث كان قد فشا وانتشر إلى أبعد الحدود من الفرق والقصاصين وحتى من بعض المنحرفين في تشيعهم بالإضافة إلى العناصر المعادية لأهل البيت التي كانت تضع أحاديث الغلو والمثالب لإيجاد فجوة بين أمة الشيعة وجماهير المسلمين عن طريق تلك الأحاديث التي تسيء إلى سمعتهم ، لذلك فقد وقف شيوخ الشيعة هذا الموقف المتصلب وبذلوا اقصى ما لديهم من جهود للحد من ذلك النشاط المحموم الذي أحدث ثغرات في الحديث لا تزال نعاني من آثارها حتى اليوم ، ولم يكتف المخلصون بتلك المواقف ضد المنحرفين عن التشيع وطرح مروياتهم ، بل تطوع فريق منهم إلى التأليف في أحوال الرواة ووضعوا أصول علم الرجال والحديث ليكون الباحث على بينة فيما يعود إلى الراوي والرواية ، فألف علي بن الحسن بن علي بن نضال ، وكان مرجعاً في أحوال الرواة ومن الموثقين في الجرح والتعديل كما الف في الموضوع نفسه كل من الفضل بن شاذان ، ومحمد بن أحمد بن داود شيخ القميين في عصره ، ومحمد بن الحسن المحاربي ، ونصر بن الصباح المكنى بابي القاسم البلخي ، ومحمد بن خالد البرقي ، ومحمد بن مسعود السمرقندي المعروف بالعياشي وغير هولاء ، كما نص أصحاب الفهارس كالنجاشي والفهرست للطوسي ومنتهى المقال للمرزا محمد وغيرهم ، وقد أكد هذه الحقيقة الشيخ الطوسي في كتابه (العدة) .

وجاء فيها ان الطائفة ميزت الرجال الناقلين لهذه الاخبار ووثقوا الثقات منهم وضعفوا الضعفاء ، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته وبين من لايعتمد عليه ، وصنفوا الممدوحين والمذمومين ، فقالوا : فلان متهم في حديثه وفلان كذاب أو مخالف في المذهب ، ونحو ذلك من الطعون التى تضع حداً بين من يجوز الاعتماد عليه ومن لا يجوز ، وتوالت بعد ذلك المؤلفات في علمي

الرجال والدراية بشكل أوسع تناولت أصناف الحـــديث من حيث ارساله وتقطيعه وتعليله ونحو ذلك مما سيأتي بيانه خلال هذا الفصل ، وأصبح من الميسور لكل من يريد أن يتحرى الأحاديث الصحيحة ويميز بينها وبين غيرها ان ينتهي لذلك ، مع العلم بأن ضعف الحديث لايعني سقوطه وعدم الاعتداد به في جميع الأحوال ، ذلك لأن ضعفه من حيث عدم توفر الشروط المطلوبة في رواته لا يمنع من كونه محاطاً ببعض القرائن الخارجية[1] أو الداخلية التي ترجح صدوره عن النبي ﷺ أو أحد الأئمة لجواز ان يصدق الكاذب أحياناً كثيرة ، وليس من الحق إذا كذب الراوي أحياناً ، أو كان مجهول الحال ، أو كان متصفاً بما أوجب عدم الوثوق به ان تسقط جميع مروياته مهما كان حالها ما دام احتمال صدقه في مروياته أحياناً كثيرة قائماً ، فلابد من التحري والبحث عن حديثه ودراسته دراسة موضوعية حتى إذا تبين انه لا مانع منه ولم تظهر عليه امارات الكذب بأن كان مدعوماً ببعض الشواهد يتعين العمل به ويصبح كغيره من المرويات الصحيحة .

وكما الف علماء الشيعة في الحديث وأحوال الرواة الف علماء السنة أيضاً بعد أن كان التدوين محظوراً عندهم ، وفي ذلك يقول الحافظ الذهبي في حوادث١٤٣ : وفي هذا العصر شرع العلماء في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، فصنف ابن جريج مؤلفاته في مكة ، كما الف أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهم[2] وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي بالكوفة ، كما صنف مالك موطأه بالمدينة ، والاوزاعي في بلاد الشام ، وسفيان الثوري كتابه الجامع ، وصنف عبد الله

---

(١) المراد من القرائن الخارجية هو أن يكون مدوناً في أحد الكتب التي أقرها الإمام عليه السلام ورخص بالرجوع إليها أو اثنى على مؤلفيها ، أو كونه في أحد الأصول الأربعمائة ، أو رواه من لا يروي إلا عن الثقات ، والمراد بالقرائن الداخلية ، أن يكون موافقاً للكتاب او للعقل او لغيرها من الأدلة التي يجوز الاعتماد عليها .

(٢) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز ، وابن أبي عروبة هو سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٠ ، وحماد بن سلمة كانت وفاته سنة ١٦٧ .

ابن المبارك وهشيم بن بشر وغير هؤلاء في مختلف المناطق غير أن التأليف في هذه المرحلة كان ممزوجاً بأقوال الصحابة والتابعين كما يبدو ذلك في موطأ الامام مالك ، وجاءت الطبقـــة الثانية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، فأفردت حديث رسول الله ﷺ عن أقوال الصحابة ، وأثبتوا في الحديث السند الذي يوصله إلى الرسول أو الصحابي ، وأصبحت مؤلفاتهم تعرف بالمسانيد لهذه الغاية .

وجاءت بعد هذه الطبقة طبقة أخرى رأت أمامها ثروة غنية بالـكنوز غير أن الصحيح فيها قد ضاع بين المكذوب ، وكان الكذب في الحديث قد بلغ حده الأقصى في جميع المواضيع ، وتعددت المذاهب والاتجاهات،ومارس الحكام أساليبالتضليلواستغلال الدين لتبرير تصرفاتهم،وانتشر القصاصون في المساجد والمجتمعات في جميع العواصم والمدن الاسلامية ، فاتجهوا إلى اختيار الصحيح وأفراده عن غيره،وكان في طليعتهم شيخا المحدثين محمد بن اسمـاعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ فألفا صحيحيهما بعد أن دققا في سند الروايات،فاختار محمد بن اسماعيل صحيحه من ستماية ألف رواية كما يدعون ، واختار الثاني صحيحه من نحو من هذا العدد ، وأصبحا من أجل المراجع وأقدسها عند جميع أهـل السنة بعد كتاب الله على حد تعبـــيرهم ، وحذا حذوهما أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ وأبو عيسى محمد بن عيسى الســلمي المعروف بالترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ ، وأبو عبد الله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ ، وأبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ، واشتهرت هذه الكتب الستة بالصحاح ونالت شهرة واسعة لم ينلها كتاب من كتب الحديث قبلها ، وبعدها ، ولكن جـــامع البخاري المعروف بالصحيح يأتي في الدرجة الأولى بين هذه الصحــاح ، وقد غالى به أهل السنة غلواً مفرطاً حتى جعلوه ثاني كتاب الله،واضاف إلى ذلك المقدسي

بأن من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة إلى كثير من أمثال هذه المقالات ولو أراد الباحث أن يطبق اصول علم الدراية على صحيحي البخـــاري ومسلم ويستقصي أحوال رواتهما لم يجد مبررا لهذا الغلو ولا وجها لوصفهما بالصحـة لأن الاسانيد الضعيفة فيهمـــا حسب الأصول التي وضعوها لأحوال الرجال أكثر من الأسانيد الموثوقة .

ورويا عن المشبوهين والمتهمـين بالكذب والمجهولين والخوارج والنواصب وغير ذلك من الأصناف الذين يجب التثبت في أحاديثهم والوقوف عنـــدها طويلا للتأكد من صدورها ، وقد أعطينا أمثلة في كتابنا دراسات بين الكافي والبخاري من المتهمين والوضاعين بين رجال البخاري وتحدثنا عنه طويلا في الفصل الذي تحدثنا فيه عن البخاري ومروياته، والذي لا يمكن التنكر له هو أن البخاري وغيره من أصحاب الصحـــاح قد خططوا لكتبهم ووضعوا كل حديث في المحل المناسب له ووزعوها على الأبواب التي تناسبها وتحروا جهدهم في الاختيار والتنسيق فكانت كتبهم حدثا جديدا في تاريخ التـــأليف من حيث التنسيق والتبويب والاختيار واستيعاب أكثر المواضيع الاسلامية ممـا سهل على الطبقة الرابعة أن ترجع إلى مصـــدر واحد في الموضوع الذي تريده بدلا عن عشرات الكتب التي كانت تجمع الاحاديث المتنوعة وكأنها من موضوع واحد ، لذلك كانت الكتب الستة ومن بينها صحيح البخاري ناسخة تقريبـاً لجميع الكتب ومصدراً لكل مشرع ومحـــدث ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات أن تختلف الأنظار في تقييم هذا النوع من المؤلفات وأن يكون بينهم المغالي والمسرف في غلوه لاعتبارات حزبية أو شخصية ، والمعتدل في نظرته وتقييمه كما هو الحال في كل ما يستهوي الانسان من أشياء هذه الدنيا،غير أن أهل السنة قد وقفوا صفاً واحداً من هذه الصحاح وبخاصة صحيح البخـاري ولم أجد بينهم المعتـــدل في تقييمها كما يبدو ذلك المتتبع في آرائهم حولها وعندما نستعرض آراء الجعفريين في الكتب الأربعـة التي اشتهرت بينهم نجد

المعتدل في نظرته إليها بجانب المغالي بها والناقد لرواتها ورواياتها بجانب من يقول وناهيك ممن روى عنه الكليني ، ولكن الغلاة في الكتب الأربعة وفي الكافي من بينها بصورة خاصة . على أنهم قلة بالنسبة للمعتدلين في تقييمها لم يبلغوا في غلوهم غلو أكثر أهل السنة في صحيحي البخاري ومسلم .

وبلا شك أن الكليني قد بذل جهوداً يشكر عليها ويستحق التقدير والتعظيم ، ذلك لأن المميزات التي اشتمل عليها كتابه لم تتوفر في غيره من المؤلفات التي تقدمت عليه ولأنه جمع الاصول والفروع والأخلاق والآداب وجميع أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات ، ووضع الأحاديث التي تتناسب مع كل فصل بل وكل مسألة في المحل المناسب لها ، ولذا فإن المحققين من اعلام الامامية المقاربين لعصره كالمفيد والمرتضى والكراجكي وغيرهم مع أنهم أبدوا حوله بعض الملاحظات وأخذوا عليه الاعتماد على بعض المرويات ، لم يتنكروا لحسناته فقالوا بأنه لم يصنف مثله وأنه من أجل الكتب وأكثرها فائدة على حد تعبير المفيد رحمه الله وإذا أردنا أن نستعرض الأسباب التي جعلت للكافي هذه المكانة عند القدامى من العلماء والمحدثين بل وحتى عند الاخباريين الذين هم أشبه بحشوية العامة فلا بد وأن نضع في حسابنا شخصية الكليني وتلك الثقة التي كان يتمتع بها ، وشخصية المؤلف قد تطغى أحياناً وتضيف الى قيمة الكتاب قيمة أعلى وأرفع من قيمته الواقعية ، والناس في كل عصورهم يؤخذون بشخصية المؤلف من حيث لا يشعرون ، وفي التاريخ عشرات الشواهد على هذه الظاهرة وحسبما أظن أني قد وفيت المقام حقه في كتابي دراسات بين الكافي والبخاري ومهما كان الحال فإن تلك الهالة التي كانت للكافي ظلت تسيطر على عقول الكثيرين ومداركهم خلال قرنين من الزمن إلى أن جاء دور العلامة الحلي واستاذه احمد بن طاوس وسلطا الأضواء على جميع المرويات والمؤلفات في الحديث في غير استثناء وذلك بواسطة التصنيف الرباعي الذي كان من أعظم الأحداث خطراً على الحديث كما يزعم

الاخباريون لأنه يعرض أكثر من نصف الأحاديث الموجودة في المجاميع بما في ذلك الكافي إلى السقوط أو التشكيك بها على أقل التقادير ، ومن ذلك التاريخ بدأت نظرتهم الى الحديث تختلف أشد الاختلاف عما كانت عليه قبل العلامة الحلي رحمه الله ، فلقد كان أمر الحديث يدور بين الصحيح وغيره ، والصحيح عندهم يتسع حتى للضعيف إذا كان مدعوماً ببعض القرائن ، أو كان موافقاً للكتاب أو لدليل مقبول ، كما يتسع غير الصحيح للضعيف المجرد عن القرائن ، وللصحيح المخالف للكتاب أو لاصل معتبر ، والواقع أن العلماء والباحثين وجدوا بسبب هذا التقسيم منفساً للخروج من تلك الحالة التي كانت للكتب الأربعة بعد أن عرضوا مروياتها على الاصناف الاربعة ، وقد أحصى المجلسي في كتابه مرآة العقول أكثر من ثلثي مرويات الكافي مع النوع الذي لايجوز الاعتماد عليه إذا لم يكن مدعوماً ببعض القرائن التي ترجح صدوره عن الأئمة (ع) بعد التحقيق الذي أجراه في أسانيدها ، مع العلم أن الكافي من أوثق الكتب الاربعة ، وكما ذكرنا أن الطبقة الاولى التي بدأت تدقق في مرويات الكتب الاربعة قد تعرضت لهجمات عنيفة واتهامات لا مبرر لها من أولئك الذين أفرطوا في ولائهم لهذه الكتب وأخذوا بمحتوياتها في غير تحقيق في متونها ولا تدقيق في اسانيدها كما فعل شيوخ السنة بالنسبة لصحيحي البخاري ومسلم وبقية الصحاح ، وهؤلاء وإن كانوا يشكلون عدداً ضخماً خلال قرنين متتاليين من الزمن إلا أنهم لا يعكسون رأي الشيعة ، ذلك لان المحققين من علماء الطائفة مع تقديرهم لجهود الكليني قد اقتصدوا في تقريظه والثناء عليه ، ولم يدعوا أن كل ما جاء في مؤلفاته من النوع الذي لا يخضع للنقد والتجريح ووقفوا في وجه الاخباريين الذين جعلوه فوق الشبهات كما صنع حشوية العامة في احاديث سلفهم حتى ولو خالفت أصول الاسلام .

ومهما كان الحال فتصنيف الحديث الى الاصناف الاربعة كان نتيجة حتمية

لدراسة الحديث متناً وسنداً، ونعني بمتن الرواية الصيغة الحاكية للمعنى المراد منها ، والصيغة مرة تكون نصاً في المعنى بنحو لا يقبل المراجعة ، وأخرى تكون صالحة لاكثر من معنى واحد ، كما لو احتملنا لها معنيين،فان تساوت دلالتها عليهما بمعنى أن احتمال ارادة احدهما كان مساويا لاحتمال ارادة الآخر يكون الحديث من نوع المجمل،وإن كان ظهورها في أحدهما أقوى وأتم من ظهورها في الآخر، فإن اقترنت الصيغة بدليل يؤكد إرادة المرجوح منها، فالحديث من نوع المؤول حسب اصطلاح علماء الدراية ، وإن تجردت الصيغة عن ذلك تكون من نوع الظاهر بالنسبة لاحد المعنيين،ثم ان ظهورها في أحد المعنيين مرة يكون شرعياً كما في ظهور لفظي الصلاة والصيام في المعنى الشرعي وهو الكيفية الخاصة التي أرادها الشارع منهما وأخرى يكون عرفياً ، وثالثة يكون من حيث كثرة استعمال اللفظ في المعنى بنحو يحصل من كثرة الاستعمال آنس بين اللفظ والمعنى على حد تعبير أهل المعاني والبيان ، ومن أنواع الظاهر المطلق والعام ، ونعني بالمطلق أن يكون اللفظ دالا على الماهية التي تتحقق في ضمن الواحد والأكثر، والعام هو الظاهر في اكثر من معنيين من غير تحديد بعدد خاص، فإن دلالة العام على جميع الأفراد التي يصدق عليها عنوان العام ليست بنحو يمتنع ارادة بعضها من لفظه ، هذا كله من ناحية دلالة الألفاظ والصيغ على معانيها ، أما ناحية الاستعمال فاللفظ المستعمل في المعنى مرة يكون مستعملا في المعنى الجزئي ومرة يكون مستعملاً في الكلي أي في القدر الجامع بين المعاني المتعددة وعلى التقديرين مرة يكون بنحو الحقيقة وأخرى بنحو المجاز وثالثة في المعنى المنقول إليه اللفظ، ورابعة في المطلق أو المقيد أو العام ، أو الخاص أو المبين ونحو ذلك من الاستعمالات التي قد تحدث في مقام التخاطب والتي قد تستعمل فيها متون الأحاديث . وفي الوقت ذاته لا يصح الاخذ بالحديث وتطبيق مضمونه إلا بعد الاطمئنان لجهة استعماله بعد أن تتوفر فيه الشروط من ناحية سنده .

والمراد بالسند الذي يعني الباحثين في علم الدراية هو عبـــارة عن مجموع الرواة الذين تناقلوا الحديث واحداً عن واحد حتى ينتهي الى النبي أو الامام (ع) ويسمى سنداً من حيث أن كل واحد يسند الحديث الى الآخر .

كما وأن الأوصاف التي توصف بها الرواية تتفرع على مراتب السند وتختلف باختلافه .

ولا فرق في هذه الجهة بين السنة التي هي عبارة عن الـكلام الصادر عن النبي أو الامام وبين فعل النبي أو تقريره ، وان كان لكل من الفعل والقول والتقرير جهات تخصه ، فالسنة الفعلية إذا وقعت بيانا لتكليف من التكاليف تكون تابعة لذلك التكليف من حيث الوجوب وغيره من الأحكام الخمسة ، وان وقع الفعل من النبي أو الامام ابتداء بنحو لم يكن مسبوقا بسؤال ولا بقرائن تدل على أنه لبيان حكم من الاحكام الشرعية ، فقد قوى الشيخ عبد الصمد في درايته عدم كونه دليلا شرعياً ، واستطرد يقول : ان فعلهم المجرد عن السؤال والقرائن الدالة على جهة صدوره ان كان في الاشياء العرفيـة التي لا تتصل بالتشريع لا يستفـــاد منه اكثر من الإباحة المطلقـة ، وان كان في العبادات يكون دليلا على الرجحان بضميمة أن المعصوم لا يفعـــل المرجوح الراجح إلا لمصلحة تقتضي ذلك .

وأما السنة التقريرية التي هي عبارة عن سكوت النبي أو الامـــام (ع) من عمل يقوم به انسان بمرأى منهم ومسمع هذا السكوت يعتبر منهم اقرارا لذلك العمل ودليلا على جوازه ورجحانه بنحو الوجوب أو الاستحباب ، والا يكون سكوتهما مع عدم المانع عن اظهار الحق اذا لم يكن الفعل مشروعا اقراراً للمنكر والباطل ، وكما ذكرنا تثبت السنة الفعلية والتقريرية بالخبر الحاكي لهما وتجري فيه جميع الاقســام والاحتمالات التي تجري في الخبر الحاكي لاقوال المعصوم وتصريحاته كما ذكرنا .

ثم ان الخبر باعتباره كاشفاً عن قول المعصوم أو فعـــله أو تقريره مرة يكون مقطوع الصدق كخبر الله سبحانه وخبر الانبياء والاوصياء ، وأخرى يكون مقطوع الكذب كخبر مسيلمة بأنه يتلقى الوحي من الله سبحانه ، وكما لو أخبر انســان بخلاف الواقع أو بخلاف المحسوسات ونحو ذلك من الاخبـار الكاذبة ، ومرة ثالثة يكون مظنون الصدق أو الكذب كخبر العادل والفاسق ومرة رابعة يكون مشكوكا أي أن احتمال صدقه مساو لاحتمال كذبه كما لو كان الخبر مجهول الحال ، أو كان معلوم الحال من حيث العــدالة وعدمها ، ولكنه كان محاطا من ناحيتي صدقه وكذبه ببعض القرائن المتعـادلة كما يتفق ذلك أحياناً .

وينقسم الحديث من حيث رواته الى متواتر وآحاد ، والحـديث المتواتر مرة يــكون متواتراً في لفظه ومعناه ، وأخرى يكون متواترا في معنـــاه لا غير ، والاول هو الذي يرويه جـــاعة يحصل العلم بصدقهم ولا بد من حصول العلم في جميع الطبقات فيما لو كانت المسافة بين الرواة والمعصوم بعيدة وتعددت الوسائط كما لو رواه التابعي عن الطبقـــة الاولى من التـابعين عن الصحابي عن النبي ﷺ فان هــذا النوع من المرويات لا يوصف بالتواتر إلا إذا رواه جماعة من تابعي التابعين يحصل العلم بصدقهم عن جماعة من التابعين يحصل العلم بصدقهم أيضاً وعن جماعة من الصحابة يحصل العلم من روايتهم وعن جماعة رووه عن النبي ﷺ ولا يشترط في الجميع العدالة ، ولا غيرها من الشروط التي لا بد منها في اخبار الآحاد ، ولا بد مع ذلك من العلم بأن المخبرين لم يتواطؤوا على الـكذب ، وان لا يكون السامع عالماً بمضمون الخبر من طريق آخر كالحس ونحوه لأنه اذا كان عالماً بمضمونه من أي طريق يفقد الخبر فائدته ، ولا بد من أن يكون ذهن السامع خاليا من كل شبهة تخالف مضمونه ، وان لا يكون معتقداً لخلافه تقليداً واجتهاداً أو من سبب آخر ، ويشترط فيه أيضاً أن تستند جميع الوسائط في اخبـارها الى الحس ، بأن

تسمع الطبقة الاولى من النبي ﷺ وتسمع الثانية منها وهكذا الى ان ينتهي الى الطبقة الاخيرة ، فلو استندوا الى دليل عقلي أو نص قرآني لا يكون الخبر من نوع المتواتر ، ومع ذلك لا يشترط في حصول التواتر عددا معينا وكل ما في الامر أن يبلغ رواته من الكثرة حدا يمتنع فيه افتراض تواطئهم على الكذب ويحصل العلم من اخبارهم مهما كان عددهم أما تحديد المخبرين بعدد خاص، أربعة عشر أو عشرين أو سبعين وغير ذلك مما جاء في مؤلفات أهل السنة ، هذه التقديرات لا أساس لها عند الشيعة .

ويرى أكثر المحدثين أن التواتر اللفظي بهذا المعنى من النوادر بين المرويات الشيعية بل لا توجد بينها سوى بضعة أحاديث من هذا النوع .

ويدعي جماعة من محدثي السنة أن هـذا النوع من التواتر ميسور بين مروياتهم عن النبي ﷺ وعدوا منه حديث من كذب علي متعمدا ، وحديث انشقاق القمر ، واحاديث الترغيب في بناء المساجد والشفاعة وغير ذلك مما أورده صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحاته .

وأما التواتر المعنوي الذي يحصل من رواية جمع للحديث بألفاظ مختلفة مع الاتفاق على المعنى بنحو يحصل العلم بالمعنى المراد من اخبارهم ، هذا النوع من التواتر المعروف بالتواتر المعنوي لا يبعد أن يكون كثيرا بين المرويات الشيعية في الفروع والاصول كما يبدو ذلك للمتتبع في مجاميع الحديث عند الفريقين [1] .

وكما يوصف الحديث بالتواتر يوصف بالشهرة والاستفاضة ، والمراد من المشهور أن يشتهر الحديث بين الرواة ولو في بعض الطبقات ، كما لو رواه

---

(١) انظر مقياس الهداية للمقمقاني ، والوجيزة للشيخ عبد الصمد الحارثي ، والعـدة للشيخ الطوسي .

واحد عن النبي أو الامام (ع) ورواه عن الواحد جماعة ، فيوصف في مثل ذلك بالشهرة حتى ولو رواه واحد عن واحد هكذا وبالتالي رواه عن الواحد جماعة ، وقد مثلوا له بحديث الأعمال بالنيات ، حيث رواه عن النبي واحد لا غير ، ورواه عن ذلك الشخص جماعة ، فاستحق بذلك الوصف بالشهرة.

اما الاستفاضة فلا يوصف بها الحديث إلا إذا رواه أكثر من ثلاثة في جميع مراحله حتى ينتهي الى الراوي الاخير ، وهو في هذه الناحية يلتقي مع المتواتر غير أن الكثرة في التواتر حدها الأدنى أن يحصل منها العلم، والمستفيض لا يشترط به ذلك .

وكما يوصف بهذه الاوصاف يوصف بالغرابة أيضاً اذا اشتمل على بعض الالفاظ الغامضة التي يصعب فهمها ويقل استعمالها في مقام التخاطب ، ويوصف بالندرة أيضاً إذا رواه اثنان أو أكثر عن مصدره، وسبب تسميته بذلك هو ندرة هذا النوع من المرويات عن النبي والأئمة (ع) أو لأنه يصبح قوياً ومعتنياً به فيما لو رواه الاثنان أو الاكثر في جميع مراحله [١] .

ومهما كان الحال فالتقسيم الاولي للحديث في عرف المؤلفين هو المتواتر والاحاد، والنوع الاول لم يتردد أحد في وجوب الاخذ به والتعبد بمقتضاه للعلم بصدوره عن المعصوم ، ومن هذه الناحية يصبح مقطوع الصدور من حيث سنده ، أما من حيث دلالته فهو كغيره من الادلة التي تختلف في مقدار دلالتها وقوة ظهورها، فالحديث المتواتر لا يمتاز عن غيره إلا من ناحية القطع بصدوره ، فان كان نصاً في معناه يجب اتباعه وإن كان ظاهراً يكون كغيره من الظواهر لا يجب التقيد بمضمونه إلا بناء على أن ظواهر الكلام والخطابات القرآنية وغيرها يجب التقيد بها والعمل بمقتضاها .

---

(١) كما نص على ذلك المؤلفون في دراية الحديث .

وأما الآحاد فهو الذي لا يبلغ رواته من الكثرة حداً يحصل منه العلم بصدوره عن المعصوم سواء كان الراوي له واحداً أو أكثر، ولذا فقد عد المؤلفون في دراية الحديث المشهور والمستفيض والعزيز من نوع الآحاد وانتهوا إلى النتيجة التالية ، وهي أن كل حديث يحصل العلم بصدوره عن مصدره الاول نبياً كان أو إماماً يتعين الاخذ به والعمل بمقتضاه إذا كان نصاً لا يحتمل الخلاف في معناه ، أو كان ظاهراً في المعنى ظهوراً يوفر للباحث مرحلة من مراحل العلم الذي يعتد به في مقام التفاهم والتخاطب ، وإذا لم تتوفر في الحديث هذه النواحي فمع العلم بكذب الراوي ولو في القرائن الخارجية يسقط الحديث عن الاعتبار ، إذ لا يمكن والحالة هذه ان يتعبدنا الشارع بما يتناقض مع العلم ومع الظن بصدوره كما لو كان الراوي له واحدا أو أكثر وكان عدلا اماميا،أو اماميا مجهول الحال ، أو مستقيما في دينه وسيرته ولو لم يكن اماميا يصح من الشارع أن يرخص في العمل به ، ومهما كان الحال فالاحاد الذي يشمل المشهور والمستفيض والعزيز لم يعتن المؤلفون والمحدثون قبل القرن السابع الهجري بدراسة اسانيده دراسة موضوعية وتصنيفه الى الاصناف الاربعة كما فعل العلامة الحلي جمال الدين واستاذه احمد ابن موسى بن طاوس[1] حيث انهما صنفا الحديث الى الاصناف الاربعة ودرساه على أساسه وبعدهما مضى العلماء والمحدثون على هذا التخطيط ، بينما ظل الحديث أكثر من أربعة قرون ينقسم الى مقبول ومردود ، فالمقبول هو الذي يرويه العدل الامامي في جميع مراحل السند ، ومثله حديث غير العدل إذا كان مقترنا بإحدى القرائن التي ترجح صدوره ، والمردود هو الذي لم تتوفر فيه هذه الشروط .

ومجمل القول: إن الصحيح حسب التصنيف الاخير ، هو الذي يرويه العدل الامامي أو العدلان في جميع مراتب السند الى أن ينتهي الى النبي أو الامام

(١) المتوفى سنة ٦٧٣ ، والعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ .

(ع)، وأضاف الى ذلك الشيخ عبد الصمد في وجيزته : على شرط أن لايكون شاذا أو معللا،واكد ان هذين القيدين لم يتبناهما أكثر محدثي الشيعة ، في حين أن محدثي السنة قد نظروا إليهما بعين الاعتبار ، ورجح اخيرا عدم التنافي بين صحة الحديث وشذوذه ، ومضى مع الرأي القائل : بأن الحديث الصحيح يجب أن لا يكون معللا ، وفسر المعلل بالحديث المشتمل على سبب غامض موجب لضعف الحديث في سنده أو متنه بنحو لا يتفطن له إلا الماهر في علم الحديث ، وأضاف إلى ذلك : ان العلة في متن الحديث ترجع إلى ضعف تركيبه ، أو مخالفته لقواعد العربية ، أو لدليل قاطع ، ونحو ذلك ، والعلة في السند ترجع الى اشتراك الراوي بين الثقة وغيره ، أو لأن الراوي له رواه عمن لم يجتمع به أو لم يعاصره ، أو لأن الحديث نفسه قد رواه غيره بسند آخر مخالف للسند الاول مع اقترانه ببعض القرائن التي تشعر بعيب في السند ونحو ذلك . واستطرد يقول : وقد تطلق العلة على غير ما ذكرنا ككذب الراوي وغفلته وقطع الحديث وإرساله وغير ذلك مما يوجب ضعفه .

وقد عد المؤلفون في الحديث من أهل السنة المعلل من نوع الضعيف كالمرسل والمنكر والمقطوع .

وجاء في الباعث الحثيث . ان الحديث المعلل هو الذي يطلع الفاحص على علة فيه تقدح في صحته في حين أن ظاهره السلامة .

ويختلف الصحيح في قوته حسب اختلاف اسناده واقترانه ببعض القرائن المؤكدة له ، وأضاف الى ذلك الحارثي في وجيزته:ان الاصحاب قد يقبلون غير الصحيح اذا اقترن بما يرجح صدوره، ويردون الصحيح وغيره اذا خالف الكتاب أو السنة المقطوع بصدورها، او اجماع محقق، لامتناع ترجيح الظن على العلم، وفرع على ذلك أن ما يرويه غير الامامية وان لم تتوفر فيه جميع شروط الصحة إلا ان الامامية لا يحكمون بكذبه ويعتمدون عليه احيانا

لاقتران بعضها ببعض القرائن ، ولذا لم يزل علماؤنا المتقـــدمون والمتأخرون يتداولون نقل صحاحهم وروایاتهم وقد صار ذلك متعارفا بينهم ، وانما نقلها اصحابنا لغاية العمـــل بها وترتيب الآثار عليها ، وبخاصة ما يتعلق منهـا بالسنن والآداب والاخلاق .

ومضى يقول : ان جواز العمل بتلك المرويات التي لم يقم دليل على كذبها وصدقها من الجائز ان يكون لقول النبي: من بلغه ثواب على عمل فعمله اعطاه الله ذلك وان لم يكن الامر على ما بلغه ، او لبعض الشواهد والاعتبارات .

وقد ألحق علماء الدراية بالصحيح ما لو حذف الراوي من السند واحدا أو اكثر من اوله او من وسطه اذا رواه بصيغة تشعر بجزمه وعدم تردده في نسبة الحديث الى من اضافه اليه ، كما لو عبر بصيغة قال او فعل ونحو ذلك من الصيغ التي تعبر عن جزمه وعدم تردده ، وان كان التعبير بغـــير تلك الالفاظ ، كما لو قال روي عن فلان ، او حكي عن فلان فلا يـكون من الصحيح ، لان الراوي في مثـــل ذلك ليس بجازم في نسبة الحديث الى من رواه عنه [1] .

وفرع على ذلك الشيخ عبد الصمد في وجـــيزته ان الشيخ الطوسي في تهذيبه روى احاديث كثيرة ، أسند كثيرا منها لاصحاب الائمة (ع) فما كان منها مذكورا سنده ولو بحسب الضوابط التي ذكرنا فهو من نوع المتصل وما لم يكن داخلا في تلك الضوابط ، فان رواه بصيغة الجزم فهو محـكوم بصحته ويعطى حـــكم المتصل ، وما لم يكن كذلك فلا يكون من نوع الصحيح .

---

(١) ولعل السر في عدم الاكتفاء به في مثـل ذلك هو عدم تحقق الشهـــادة اذا رواه بمثل هذه الصيغ عند من يقول: ان الرواية هي في واقعها شهادة بصدور الرواية ويكفي في هذا النوع من الشهادة شهادة الواحد .

الثاني من أصناف الحديث الحسن ، وهو الذي يرويه الإمامي الممدوح مدحاً يقربه من التعديل على شرط أن لا يكون معروفاً بالفسق أو العدالة ، وأن يكون صحيح العقيـــدة ، وبذلك يكون وسطاً بين الصحيح والضعيف ، ويشترك مع الصحيح في صحة العقيدة وحسن السيرة ، كما يشترك مع الضعيف في ان احتمال الكذب فيه أقوى من احتماله في الصحيح ، وهـــذا النوع من الأحاديث لا يأخذ به الشيعة إلا إذا اقترن بما يرجح صدوره عن المعصوم ، ذلك لأن الادلة التي تدل على وجوب التعبد والتدين بمضمون الروايات لا يستفاد منها أكثر من اخبار العدول في جميع مراتب السند كما سيأتي ذلك في الفصول التالية .

الثالث من أنواع الحديث الموثق ، وهو الذي يرويه الموثوق في دينـــه والمعروف بالاستقامة وحسن السيرة من المنحرفين عن التشيع ، سواء كان من أهل السنة الموثوقين أو من الفرق التي انحرفت عن التشيع كالواقفية والفطحية ونحوهما ، وقد ادخل أهل السنة الحديث الذي يرويه غيرهم من الموثوقين في قسم الصحيح على شرط أن يكون الرواة له من غـــير الشيعة مهما كانت عقيدتهم ، حتى ولو كانوا من الخوارج ، لأن الشيعة على حد زعمهم كذابون وضاعون كما يذهب لذلك أكثر المؤلفين في أحوال الرجال .

الرابع من أصناف الحـــديث الضعيف ، وهو الذي لم تتوفر فيه شروط الأصناف الثلاثة السابقة ، ويوصف الحديث بالضعف بمجرد أن يكون بين رواته متهم بما يوجب الفسق أو الشذوذ في معتقداته عن خطط الإمامية حتى ولو كان الباقون من رواته في منتهى الاستقامة .

وجاء في الوجيزة للشيخ عبد الصمد : ان الحـــديث الواحد قد يروى بطريقين حسنين ، أو موثقين ، أو ضعيفين ، أو يكون أحدهما حسناً والآخر ضعيفاً ، ومع ذلك لايخرج بذلك عن صنفه إلى صنف آخر ، وكل ما في الأمر

انه يصبح بذلك أقوى من الضعيف المروي بطريق واحد كما لا يرتفع الحسن إلى مرتبة الصحيح فيما لو روي بطريقين أو ثلاثة ، ما لم يقترن أحد طرقه ببعض الشواهد التي ترفع من شأنه وترجح جانب صدوره على جانب عدمه رجحانا تطمئن إليه النفس ، أو روي الحديث الحسن بخمسة طرق كلها حسب أصول علم الدراية من نوع الحسن ، ففي مثل ذلك لا يبعد اطمئنان النفس إلى جهة صدوره اطمئنانا يركن إليه العقلاء في أمورهم وسائر أحوالهم ومن ذلك ما رواه علي بن ابراهيم المعروف بصلابة العقيدة والاستقامة عن أبيه الذي مدحه المؤلفون في الرجال ولم يصفوه بالوثاقة ، فأحاديث ولده عنه ينبغي ان تكون من نوع الضعيف ، ولكن والده لما كان في منتهى الاستقامة وفوق الشبهات عند جميع المحدثين ، فقد أعطوا مروياته عنه صفة الصحيح لأنه لا يروي عن المتهمين والمشبوهين ، هذه الأصناف الأربعة هي أصول الاصناف عند الجعفريين منذ ان وضع نواتها أحمد بن موسى المعروف بابن طاوس وتبناها تلميذه العلامة الحلي ومن تأخر عنهما ، ويتصف الحديث بالإضافة إلى ما ذكرنا بصفات أخرى باعتبار ما يعرض عليه سنداً ومتناً بعضها يختص بالحديث الضعيف والبعض الآخر تشترك فيه الأصناف الأربعة ، كالمقبول والمسند والمصنف ، فإن هذه الأوصاف يمكن ان تلحق الأصناف الأربعة ، فالمقبول وهو الحديث الذي تلقاه العلماء بالقبول ، واتفقوا على العمل به ، إما لصحة سنده وسلامة متنه من العيوب ، أو لأنه من أحد الأنواع الثلاثة المقترنة ببعض الشواهد والمرجحات ، وهكذا بالنسبة الى المعنعن والمسند[1] ، فإن الأصناف الاربعة صالحة لهذين الوصفين ومن ذلك

---

(١) المسند هو الذي يتصل سنده بمصدره بنحو يأخذ كل واحد عن الآخر إلى أن ينتهي إلى النبي أو الإمام (ع) والمعنعن هو الذي يرويه الراوي بقوله : روى فلان عن فلان إلى نهاية السند وقد عده أهل السنة من نوع المتصل إذا توافرت فيه الشروط التالية : عدالة الراوي ، ولقاؤه لمن روى عنه ، والسلامة من التدليس .

المشهور والمستفيض ، ويفترقان عن غيرهما من الاوصاف بأن الحديث الموصوف بالشهرة والاستفاضة سواء كان ضعيفاً أو حسناً أو غيرهما لابد وأن يرتفع شأنه بسبب اتصافه بأحدهما ؛ بمعنى أن الضعيف المشهور ، أو الحسن المشهور أقرب إلى الاعتبار من الضعيف الفاقد لهذه الصفة .

وقد فرق محدثو السنة بين المسند والمتصل ، فقالوا : ان المسند هو الذي يتصل بسنده إلى النبي ﷺ ، والمتصل هو الذي يتصل بقائله سواء كان القائل هو النبي أو الصحابي أو غيرهما .

ويدعي الأستاذ صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحاته ان المعنعن كثير في الصحيحين ، وهو في صحيح مسلم اكثر منه في صحيح البخاري ، لأن مسلما لا يشترط اللقاء بين الراوي ومن روى عنه ، وأضاف إلى ذلك ان الرواية في مثل ذلك محمولة على سماع الراوي ممن روى عنه إذا كانا ثقتين متعاصرين[1] .

ويرى بعضهم ان كلمة عن إذا وردت في الحديث النبوي وبخاصة في مرويات الصحابة فهي بمنزلة أخبرنا وحدثنا ونحو ذلك مما يشير إلى السماع واللقاء بين الراوي والمروي عنه .

وألحق بعضهم الحديث المعنعن بالمرسل من حيث عدم جواز الاحتجاج به ما لم يكن الراوي صحابياً ، لأن مراسيل الصحابة بمنزلة المسانيد .

ويدعي الشيخ عبد الصمد في وجيزته ان محدثي الشيعة يعتبرون المعنعن بمنزلة المتصل إذا امكن اللقاء بين الراوي والمروي عنه ، وكان احتمال التدليس منتفياً كما لو كان الراوي موثوقاً به .

---

(١) انظر ص ٢٣٣ و ٢٣٤ من الكتاب المذكور .

الخامس المسلسل وهو الحديث الذي يتفق رواته على عبارات أو صفات ينقلها كل راو عمن فوقه من رجال السند تتعلق بالرواة أو الرواية ، ومن امثلته ما رواه الحاكم وقال : شبك بيـــدي أحمد بن الحسين المقري قال : شبك بيدي أبو عمر عبد العزيز بن عمر ، قال وشبك بيدي صفوان بن سليم ، وهكذا يمضي الراوي في هذا الاسلوب إلى ان ينتهي إلى مصدر الرواية فيقول شبك بيدي أبو هريرة ، ثم يقول : شبك بيـدي رسول الله ﷺ وقال : خلق الله الأرض يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الاربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة إلى غير ذلك من الامثلة التي أوردها المؤلفون عن الحديث المسلسل .

ويدعي المؤلفون في علم الحديث ان التسلسل إذا اقتضته الأمانة في النقل كما لو أراد الراوي أن ينقل الحـديث كما سمعه ، فلا يمنع ذلك من صحته ، وإذا كان التصرف من الراوي فيؤدي ذلك إلى التشكيك في الرواية .

وقال محدثو الشيعة ان التسلسل بهذا الشكل من نوع السخف الذي ترفع عنه محدثو الشيعة .

ومن الأوصاف التي تلحق الحديث الاضمار ، كما لو قال الصحابي أو أحد أتباع الأئمة (ع) سألته عن كذا وأخبرني بكذا أو أمرني بكذا من غـير ان يذكر الخبر باسمه أو بلفظ يدل عليه صراحة أو تلميحاً ، وهـذا النوع قد استعمله رواة الشيعة في موارد التقية والخوف من أعـدائهم وهو من الاضمار الموجب لضعف الحديث لأن الضمير بذاته صالح لأن يرجع إلى النبي وللامام وغيرهما ، وان كان احتمال ارادة أحدهما أقرب من إرادة غيرهما منه ولو بواسطة القرائن .

ومن أصناف الحديث المجهول وهو المروي عن واحد أو أكثر غير معروف بالوثاقة ، في حين ان المؤلفين في الرجال لم يتعرضوا له بقدح أو مدح ، أو كان

من غير المعروفين بين الرواة ، كما لو قال الراوي حدثني رجل أو حدثني فلان عمن حدثه ونحوه ، ذلك من غير فرق بين ان يكون السند بتمامه مجهولاً وبين بعضه وسواء أكان من الاول أو الوسط .

ولو قال الراوي سمعت من الثقة ، فإن بنينا على ان شهادة الواحد تكفي في الموضوعات تصبح الرواية في حكم الصحيح ، وان بنينا على عدم كفايتها فلا ترفع الجهالة ويبقى الحديث من أصناف الضعيف .

ورجح محدثو السنة عدم الاكتفاء بذلك بدون تعيين المروي عنه لجواز اطلاع غيره على بعض العيوب الخفية على الراوي .

ومن أصنافه المرفوع وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ أو أحد الأئمة (ع) كقول الصحابي سمعت رسول الله ﷺ وقول أحد الأئمة عليهم السلام سمعت الصادق يقول كذا ، أو رأيته يفعل كذا ، أو فعلت بحضرته كذا .

وقد قسموا المرفوع إلى صريح وما هو بحكمه ، فالمرفوع للصريح في القول أو الفعل أو التقرير كالأمثلة التي ذكرناها ، وما هو في حكم المرفوع الصريح هو عبارة عن إخبارهم بأمور تتعلق بالأحكام ولا يتطرق إليها الاجتهاد وكالاخبار عن الجنة والنار والقيامة والقبر وبدء الخلق ، ومن قولهم أمرنا بكذا ونهينا عن كذا ومن فعل كذا فله ثواب كذا إلى غير ذلك مما يقوله الصحابي أو أحد أصحاب الإمام عليه السلام .

وقال الشيخ عبد الصمد فيوجيزته : ان ما له حكم المرفوع من الفعل مثل ان يفعلوا ما لا مدخل للاجتهاد فيه كالصلاة بالهيئة المخصوصة ، وما له حكم المرفوع من التقرير كأن يخبر الصحابي أو أحد أصحاب الأئمة انهم كانوا يفعلون في زمن المعصوم كذا وكذا مما يستبعد أن يكون قد خفي على النبي أو الامام (ع) .

ومن أقسامه الموقوف وهو الحديث المروي عن الصحابة أو أصحاب الأئمة (ع) قولاً كان أو فعلاً سواء كان متصلاً أو منقطعاً ، ومن ذلك قول الراوي : كنا نفعل كذا وكان اصحاب الأئمة لا يرون بأساً بكذا وامثال ذلك مما يرويه الراوي بسنده المتصل أو المنقطع الى ان يصل الصحابي او المعاصرون للأئمة من اصحابهم .

ومن اقسامه المنقطع ، وهو الذي لايتصل باسناده إلى النبي أو الامام(ع) كما لو حذف بعض رواته من الأول أو الوسط أو الآخر ، فالمحذوف من أوله واحد أو أكثر يطلقون عليه المعلق ، وليس من المنقطع ولا من المعلق مايرويه الشيخ الطوسي في كتابيه التهذيب والاستبصار عن الحسين بن سعيد وغيره ممن بينه وبينهم مسافة طويلة من الزمن ، وكذا ما يرويه الصدوق في الفقيه عن أحد أصحاب الأئمة في حين انه لم يعاصر أحداً منهم ، بل هو من نوع المتصل ، لأن الوسائط بين الشيخ وبين الحسين بن سعيد[1] الذي روى عن الامام قد أحصاها علماء الرجال والدراية كما احصوا جميع الوسائط بين الرواة عن الأئمة والطبقات المتأخرة ، فهو حينما يروي عن الحسين بن سعيد يرويه عنه بالسند المتصل إليه ويحذف الواسطة بينه وبينه لأجل الاختصار .

وإذا ترك الراوي من وسط السند واحداً أو أكثر فقد سماه المؤلفون في علم الدراية المنقطع بالمعنى الأخص ، ويعنون بذلك قطع آخر السند عن أوله .

والقطع في السند إذا كان خفياً بأن لم يعلم السامع ان الراوي لم يعاصر

---

(١) الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي كان من الثقات الممدوحين هو وأخوه الحسن بن سعيد روى عن الرضا والجواد والإمام علي الهادي ولأخيه الحسن ثلاثون كتاباً كما احصاها المؤلفون في الرجال ، وهو غير الحسين بن أبي سعيد ، بن هاشم ، فانه كان من ثقات الواقفية .

من اسند إليه الحديث يكون هذا الايهام من نوع التدليس[1] وان ترك الراوي من اخبره واحداً كان المتروك أو اكثر ، وسواء كان الترك عن عمد أو سهو فهو من نوع الارسال إذا حصل العلم بعدم ملاقاة الراوي ومعاصرته لمن اسند إليه الحديث .

وقد اختلف الفقهاء والمحدثون في الاحتجاج بهـــذا النوع من المرويات والاعتماد عليها إذا كان الراوي لها جامعاً للشروط المطلوبة في رواة الأحاديث، ورجح جماعة منهم ان الراوي إذا كان متحرزاً من الرواية عن المشبوهين والمجروحين كمحمد بن عمير ، أو صفوان بن يحيى ، وأحمد بن ابي نصر البزنطي وغيرهم من المعروفين بالاحتياط لدينهم والوقوف عند الشبهات يصح الأخـذ بمراسيلهم والاعتماد عليها كمسانيدهم وقد توقف جماعة حتى في مراسيل هؤلاء لأن القائلين بجواز الأخذ بمروياتهم وان كانوا أكثر من المتوقفين فيها إلا انهم لم يتتبعوا جميع مراسيلهم ولم يفحصوها فحصاً جدياً يقطع الشك بهـــا ومن الجائز ان يكون اعتمادهم عليها لمجرد حسن الظن بهم أو من نوع الشهادة على وثاقة رواتها وشهادة الواحد لا تكفي إلا بناء على كفايتها في باب التعديل .

ومهما كان الحال فقد عد المحدثون الارسال من عيوب الحديث ، ونص بعضهم على حرمته ، وجاء عن الامام الصادق عليه السلام انه قال :

« اياكم والكذب المخترع ، قيل له يابن رسول الله : وما الكذب المخترع؟ قال:

« ان يحدثك الرجل بحديث فتتركه وترويه عن الرجل الذي حدثك عنه بلا واسطة .

ومن أقسامه المعضل وهو الذي يسقط من اسناده اثنان أو ثلاثة أو اكثر من ذلك من أوله أو وسطه أو آخره .

---

(١) انظر الوجيزة ومقباس الهداية للمامقاني.

ومن أقسامه الشاذ والمنكر والنـــادر ، فالشاذ والنادر هما المخالفان المشهور وان كان رواته من الموثوقين .

ونص جماعة من المحدثين على ان الشاذ هو المتروك عند الفقهاء والمحدثين وان كان الراوي له ثقة تطمئن النفس الى حديثه وأقواله ، كما نص فريق آخر على ان الشاذ هو الذي لم يحدث بمتنه غير الراوي له .

وأما المنكر فهو الذي يختلف متنه عما يرويه الناس ولم تثبت عـــدالة رواته ولا وثاقتهم .

ومن أقسامه الغريب ، وهو الذي ينفرد بروايته واحد عن المشهورين بالوثاقة والعدالة ، كما لو رواه واحد عن ابن أبي عمر ، أو الحسين بن سعيد ونحوهما ، وبذلك يصبح غريباً لأن أمثال هذه الطبقة قلما ينفرد واحـــد بالرواية عنهم وإن رواه اثنان أو ثلاثة يصبح عزيزاً ، فإن زاد على ذلك يسمى مشهوراً ، ومن افراد الغريب ما لو تفرد الراوي بزيادة في متن الحديث أو سنده ، ويكون غريباً في متنه وسنده كما لو تفرد بروايته واحد لا غير ، كما يكون غريباً في سنده لا في متنه إذا رواه واحد وكان متنه معروفاً عنـــد الكثيرين على شرط أن يكون مصدره واحداً كحديث إنما الأعمال بالنيات على حد تعبير المؤلفين في دراية الحديث .

ومن أقسامه المضطرب ، وهو الذي يقع الاختلاف في متنه وسنده ، كأن يرويه الراوي مرة عن زرارة وأخرى عن ابن ابي عمير ، وثالثة عن بريد العجلي ، أو يرويه مرة زائداً وأخرى ناقصاً ، وثالثة على غـير الكيفية التي رواها أولا وثانياً ، وعندما يكون هـذا التفاوت في الشكل والسند يصبح الحديث في منتهى الضعف ، لأن ذلك يشعر بعدم ضبطه وتحرزه .

ومن أقسامه المقلوب ، وهو الحديث الذي يرويه شخص عن غير الراوي

له عن النبي أو الامام ، كما لو رواه عن الامام محمد بن مسلم فرواه شخص عن محمد بن أبي عمير ، أو عن زرارة ونحو ذلك ، وربما يعد ذلك من نوع الكذب المسقط للعدالة كما رجح ذلك جماعة .

ومن أقسامه المدلس وهو المشتمل على عيب يحاول الراوي اخفاءه ، وهو مرة يكون في السند ، وأخرى في شيوخ الراوي . فالتدليس في السند ، كما لو روى الحديث عمن عاصره من غير أن يسمع منه ، ولكنه يحاول ايهام السامع بسماعه منه كما لو رواه بصيغة قال فلان ، أو عن فلان في حين انه قد أخذه من كتابه أو حدثه به رجل آخر ، ولو رواه بصيغة سمعت من فلان ، أو فلان ، أو حدثني به فلان يكون هـذا النوع من التدليس أفحش من الأول إذا لم يسمع منه ولم يتحدث معـــه ، ويدخل ذلك في الكذب الموجب لسقوط السند عن الاعتبار .

أما التدليس في الشيوخ ، فهو ان يلصق بشيخه اسماً ، أو كنية ، أو لقباً لم يعرفه أحد به ، ولم يعهد من غيره ، وهـذا النوع من التدليس أخف كراهة من الأول على حد تعبيرهم ، لأن عيبه ينحصر في عـدم توفر معرفة الشيخ بعد اعطائه الاسم الغريب ، أو الكنية الغريبة ، وقد يكون للمدلس بعض المبررات التي توجب الركون إلى الحـديث والاطمئنان إليه ، ومن المتفق عليه عند الشيعة ان التدليس من أسباب ضعف الحديث وسقوطه عن الاعتبار ، في حين ان الفريقين الشيعة والسنة يتغاضون أحياناً عن هـذا العيب ويأخذون بالحـديث وكأنه لا عيب فيه ، وأكثر ما شاع ذلك عن الطبقتين الأولى والثانية من التابعين .

ونص المؤلفون في الرجال ان جماعة من كبار المحدثين وحفاظهم قـد أكثروا من التدليس في مروياتهم ، كهشيم بن بشير بن حازم كما جاء في رواية الذهبي ، وسفيان بن عيينـة ، وسلمان مهران المعروف بالأعمش ،

والحسن البصري أحد أعيان التابعين في أواخر القرن الأول ، وعبد الرازق الصغاني ، والوليد بن مسلم الدمشقي ، وسفيان الثوري وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم .

وجاء في توضيح الأفكار المجلد الأول ص ٣٥٣ و ٣٥٤ ان جميع هؤلاء المشاهير في الحديث من رواة الصحيحين ، ولذا فقد حاول جماعة من المؤلفين في الحديث وأحوال الرجال الحاق هذا النوع من مروياتهم بالمراسيل لأن الارسال لا يوجب تجريح الراوي واتهامه في دينه كما هو الحال في التدليس ، وكل ما يترتب على الارسال الحاق الرواية بالقسم الضعيف من أقسام الحديث ، مع العلم بأن الروايات التي نسبت إليهم لا يصح الحاقها بالمراسيل إلا بنحو المغالطة السافرة التي لا يرضاها لنفسه الباحث المجرد .

وجاء في الكفاية في علم الحديث للبغدادي : ان هؤلاء المتهمين بالتدليس لا يظهر منهم انهم يحاولون ايهام السامع بأنهم قد التقوا بالراوي وسمعوا منه كما هو الشرط في التدليس ، وكل ما في الأمر انهم لم يصرحوا بعدم السماع ممن لم يسمعوا منه وتركوا الأمر مبهماً ، وهذا النحو أقرب إلى الارسال منه إلى التدليس بل هو من أفراده كما يظهر من تتبع مروياتهم وأحاديثهم[١] ، وقد وضعهم جماعة في قفص الاتهام كغيرهم من المدلسين من مختلف الطبقات الذين كانوا يحاولون بذلك وضع مروياتهم في مستوى المسانيد ، بهذا النحو من التضليل والتدجيل ، ويجد المتتبع لأحوال الرواة عدداً هائلاً من مشاهير الرواة في مختلف العصور ممن لا يملكون من الدين ما يعصمهم عن الكذب والدجل استعملوا التدليس في أحاديثهم للغاية التي ذكرناها ، وأول ما ظهر هذا النوع من المرويات بين الطبقة الاولى من الرواة عن النبي ﷺ الذين أخذوا من كعب الاحبار ووهب بن منبه وأخيه عبد الله وغيرهم من

---

(١) انظر الكفاية للبغدادي ص ٣٥٧ .

الدساسين مئات المرويات أسندوها إلى الرسول وانتشرت بين أحاديثه لأن جماعة من الصحابة كأبي هريرة وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وسمرة بن جندب وأمثالهم أخذوها من الوضاعين ورووها إلى الناس بشكل يوهم سماعهم لها عن الرسول ﷺ .

قال السيد رشيد رضا : ان كعب الاحبار كان من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين فراجت دسائسه والخدع بها بعض الصحابة فرووا عنه وتناقلوا مروياته بدون اسناد إليه ، ان اشد رواة هذه الاسرائيليات وأشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين وهب بن منبه وكعب الاحبار ، فلا تجد خرافة دخلت كتب التفسير والتاريخ الاسلامي في أمر الخلق والتكوين والانبياء وأقوالهم والفتن الاوهي منهم[1] .

ان الصحابة الذين انخدعوا بكعب الاحبار ووهب وغيرهما ممن اندسوا بين صفوف المسلمين بقصد التخريب والتشويش ورووا عنهما وعن غيرهما قد أسندوا تلك المرويات إلى النبي ﷺ أو إلى أحد الصحابة وبدون ذلك لا يقبلها أحد ولا تتم الغاية من ادخالها بين المرويات عن النبي ﷺ ، ومما لا شك فيه بأن اسنادها إلى غير رواتها الاصليين هو من التدليس والتضليل اللذين انكرهما السنة بين مرويات الصحابة لا لشيء إلا لأن بعض هؤلاء المدلسين من الصحابة ، وبعضهم الآخر قد اعتمد مروياتهم الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ولو افترضنا بأن هذا النوع من مرويات الصحابة من نوع المراسيل تمشياً مع الجمهور بهذا النحو من التلفيق والتضليل ، لو افترضنا ذلك فلا يرتفع شأن تلك المرويات بل تبقى من قسم الضعيف ، لأن الارسال يحط من شأنها حتى ولو كان المرسل من الثقات الممدوحين ويوجب التوقف بشأنها إلا إذا اقترنت ببعض القرائن كما أقرت

---

(١) انظر مجلة المنار من ص ٥٤١ إلى ٧٨٣ .

بذلك أئمة الفقه والحديث من أهل السنة ، وقد جاء عن مسلم صاحب الصحيح في مقدمة كتابه : ان المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالاخبار ليس بحجة ، وقال ابن الصلاح : وماذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقرت عليه آراء جماعة حفاظ الحديث ونقاد الاثر ، وتداولوه في تصانيفهم ، إلى غير ذلك مما جاء عن جماعة من كبار المحدثين ولكن عندما تضايقهم الادلة وتعوزهم الحجة ويجدون أنفسهم في ضيق وحرج يعودون إلى الصحبة التي ترفع المتصف بها إلى مستوى الصديقين الذين لا ينطقون عن الهوى ، ويدعون بأن مراسيل الصحابة في حكم الموصولات لأنهم لا يروون إلا عن صحابي وكلهم عدول لا يمنع الجهل بحالهم من الاخذ بمروياتهم ، كما يقفون نفس الموقف من مرويات كبار التابعين لأنهم حفظوا آثارهم ورووا عنهم مباشرة على حد تعبيرهم[1] وعندما يصلون إلى الطبقة الثانية من التابعين، قالوا بأن مروياتهم قد أخذ بها البخاري وناهيك بمن روى عنه البخاري على حد تعبير بعضهم ، وكل من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة كما نص على ذلك المقدسي .

ومن المغالطات السافرة ما جاء في تدريب الراوي للسيوطي عن الحاكم النيسابوري ، ان أهل الحجاز والحرمين ومصر والعوالي وخراسان وأصفهان وبلاد فارس وخوزستان وما وراء النهر ، لا نعلم احداً من أئمتهم دلس في الحديث ، وأكثر المحدثين تدليسا أهل الكوفة ونفر يسير من أهل البصرة وأما أهل بغداد فلم يذكر عن أحد من أهلها التدليس إذا استثنينا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي الواسطي المكنى بأبي بكر فهو أول من أحدث التدليس فيها كما يدعي النيسابوري .

ومحل الغرابة في هذا النص ان نسبة التدليس لأكثر أهل الكوفة لا سبب

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٤٨ و ٤٩ .

له إلا التشيع الغالب على أهلها وعلى المحدثين فيها ، أما بقية الاقطار التي نفي عن محدثيها التدليس ، فالغالب على أهلها التسنن ، والرواة جلهم ان لم يكن كلهم من السنة ، في حين ان غير الحاكم النيسابوري عدوا جماعة من المدلسين بين الحجازيين المكيين والمدنيين وبين الخراسانيين وغيرهم .

ومهما كان الحال فالتدليس عند الشيعة من العيوب الموجبة لضعف الحديث وعدم جواز الاعتماد عليه مهما كان الراوي له ، وعند السنة يوجب ضعف الحديث إذا لم يكن المدلس صحابياً ولم يكن من الطبقة الاولى من التابعين ، ولابد مع ذلك أن لا يكون ممن روي عنه في الصحيحين كما يستخلص الباحث من كلماتهم المنتشرة هنا وهناك .

ومن أقسامه المدرج ، وهو الزيادة في الحديث بنحو يروي الحديث شخص ، ثم يتبعه بكلام له أو يقره ، فيأتي المتأخر ويرويه مع تلك الزيادة معتقداً انها من أصل الحديث .

ومن الادراج أن يكون عند الراوي حديثان بسندين فيرويهما بسند واحد أو يسمع الراوي حديثا من جماعة يختلفون في سنده أو متنه فيرويه عنهم متفقين ، وإذا وقع ذلك عن عمد من الراوي ليوهم من بعده أن الزيادة من أصل الحديث يكون ذلك من نوع التدليس ، أما إذا وقع من غير قصد منه لذلك بأن يكون الكلام المتصل بالحديث من نوع التفسير ، أو من باب التعليق عليه ، فيأتي المتأخر ويدخله في الحديث ظناً منه انه متمم له ، فلا تدليس في ذلك ، في حين أن الحديث يسقط عن الاعتبار كالاول .

ويدعي الشيخ عبد الصمد أن التهذيب للشيخ الطوسي يشتمل على أحاديث دخلتها بعض الزيادات لأسباب لا تعود إلى المؤلف .

ومن أقسامه الموضوع ، وقد نص المؤلفون في الحديث على أن هذا النوع من الاحاديث تحرم روايته مع العلم بكذبه من أي قسم كان إلا إذا صرح الراوي بكذبه ، ويعرف الوضع باقرار الواضع صراحة أو ضمناً ، أو بوجود بعض القرائن المؤكدة لذلك ، كما يعرف كذب الحديث بضعف تركيبه وتنافر ألفاظه ، واشتماله على مايخالف أصول المذهب أو ضرورة منضرورات الفقه ، أو الإفراط في الغلو بأحـــد الأئمة عليهم السلام ونحو ذلك ، واضافوا ان أشد الواضعين ضرراً قوم قـد تستروا بالزهد ووضعوا أحاديث حسبة في زعمهم فتلقاها الناس بالقبول وانتشرت في كل عصر ، ومن ذلك أحاديث الترغيب والترهيب كما سنتعرض لهذا النوع من الموضوعات في الفصول الآتية .

والذي لا بد منه بعد هذا الإحصاء لما يعترض الحديث من أمور توجب اعطاءه وصفاً جديداً هو أن بعض هذه الاوصاف قد ترفع من شأن الحديث وترجح جانب الاطمئنان به والاعتماد عليه ، كالمعنعن والمسند والمقبول والمشهور وغير ذلك من الصفات التي لا تشكل نقصاً في سند الحديث أو متنه .

فالصحيح المتصف بواحد من هذه الاربعة لايفقد شيئاً من قوته واعتباره ، بل يصبح محلاً للوثوق والاطمئنان أكثر من الحديث المجرد عنها ، أما الصفات الباقية ، فأي صفة منها طرأت على الحديث مهما كان نوعه تفقده اعتبـــاره وقوته ، ما لم يقترن ببعض القرائن التي ترجح صدوره لما ذكرناه من قبل من أن ضعف الحديث لا يعني اعتباره من الموضوعات ، بل كل ما يعنيه هو عدم الاطمئنان لرواته من حيث عـدم الوثوق بدينهم وأمانتهم أو لغـير ذلك مما يعترض الاطمئنان إليه بلحاظ ذاته ، فاذا احيط ببعض الملابسات أو القرائن يزول المانع من الاعتماد عليه ويصبح محلاً للاطمئنان .

ومهما كان الحال فالأقسام التي ذكرناها يشترك فيها السنة والشيعة ، إذا استثنينا منها الموثق فان الجعفريين جعلوه قسيما للصحيح والحسن والضعيف بينما عده السنة من قسم الصحيح واعتبروا التقسيم ثلاثياً وذلك اعتباراً من سنة

٢٧٩ عندما قسم أبو عيسى الترمذي الحديث إلى الأقسام الثلاثة الصحيح والحسن والضعيف ، ولم يعرف هذا التقسيم قبله كما نص على ذلك ابن تيمية ، وأضاف إلى ذلك انهم كانوا يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، والضعيف عندهم كان نوعين نوع لا يمتنع العمل به ، والنوع الآخر لا يصلح للعمل ، وكذلك تقسيم الاخبار إلى الناسخ والمنسوخ والعام والخاص وغير ذلك من التقسيمات لم يعرف إلا في عصر متأخر عن عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، أما الاصناف الأخرى للحديث فيشترك فيها الشيعة والسنة بدون تفاوت بين الفريقين إلا في بعض الاصطلاحات والتفريعات على أصول الاصناف .

ويؤكد المؤلفون في الدراية ان على المحدث والفقيه أن يتنبه للزيادة والنقيصة في السند ، فالزيادة كأن يزيد الراوي في أول الحديث أو وسطه رجلاً آخر كأن يكون الحديث عن الإمام بلا واسطة فيزيد الراوي واحداً أو أكثر بينهما ، والنقص كأن يروي الراوي عن شخص لم يعاصره أو عاصره ولكنه كان بعيداً عنه ، ويمكن للباحث أن يكون على بينة من هذا العيب إذا كان خبيراً بأحوال الرجال ومراتبهم ، وبخاصة أولئك الذين عاصروا الأئمة (ع) ومقدار صلتهم بالأئمة وأصحابهم الذين كانوا يهتمون في تدوين أحاديثهم ويتناقلونها بينهم عندما تتوفر لهم الاسباب لذلك ، كما يجب على الفقيه والمحدث ان يتنبه للناسخ والمنسوخ بين المرويات عن الرسول ﷺ ، فان الاختلاف في الحديثين قد يؤدي إلى الاختلاف في الحكم في الغالب في حين ان اختلافهما ناتج عن كون أحدهما ناسخاً للآخر ، ولا يكون ذلك إلا في حديث الرسول ﷺ ، أما حديث الإمام عليه السلام فلا يمكن افتراض النسخ فيه ، لأن النسخ انما يكون في مرحلة التشريع التي تنتهي بوفاة الرسول ﷺ .

وقد جاء في رواية عاصم بن حميد عن منصور بن حازم انه قال : قلت لابي عبد الله الصادق (ع) : أخبرني عن أصحاب محمد صدقوا عليه ام كذبوا

قال أبو عبد الله عليه السلام : بل صدقوا . قلت : فما بالهم قد اختلفوا ؟ قال اما تعلم : ان الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن مسألة فيجيب فيها بالجواب ، ثم يجيئه بعد ما ينسخ ذلك الجواب فيجيبه بجواب آخر ، فقد نسخت الاحاديث بعضها بعضاً .

وجاء في رواية لأبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم انه قال : قلت لابي عبد الله الصادق (ع) ما بال أقوام يروون عن فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهمون بالكذب فيجيء منكم خلافه ، فقال : ان الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن ، ومعلوم ان الامام عليه السلام لم يقصد ان حديثه يكون ناسخاً لحديث الرسول ، وانما يقصد بذلك أن الحديث المروي عن الرسول قد ينسخ في عصره فيحدث الناس بالناسخ والمنسوخ ، فيكون حديث الامام كاشفاً عن وقوع النسخ في حينه .

ومهما كان الحال فالحديث الذي يجوز الاعتماد عليه من بين تلك الاصناف الكثيرة هو الذي يرويه العدل الإمامي في جميع المراتب التي تنتهي الى الإمام أو النبي (ع) وكذلك الموثق أيضاً ولكن بالشروط التي ذكرناها أما الحسن والضعيف بجميع أصنافهما فليس في الأدلة ما يشعر بجواز الأخذ بهما والاعتماد عليهما في الاحكام والموضوعات ، مع العلم بأن الصحيح والموثق لولا الادلة التي دلت على جواز الاعتماد عليهما كانا كغيرهما من بقية الاصناف ، ذلك لأن عدالة الراوي لا يحصل منها اكثر من الظن بصدور الرواية عن الإمام عليه السلام ويبقى احتمال العدم قائماً وان كان مرجوحاً بالنسبة للطرف الآخر ، وهذا النوع من الرجحان كغيره من سائر الظنون التي لا تغني عن الحق شيئاً لولا الادلة على قيامها مقام العلم فيما يعود الى الآثار الشرعية تسهيلاً على المكلفين من ناحية وحرصاً على امتثال الاحكام من ناحية أخرى ، لأن الاعتماد على العلم وحده في جميع الأمور يؤدي إلى العسر والحرج وبالتالي الى ضياع اكثر الاحكام .

ويتلخص موقف فقهاء الامامية من الاخبار التي يرويها العدول والموثوقون ولو من غير الشيعة على النحو التالي :

لقد ذهب جماعة من فقهاء القرنين الرابع والخامس الى عدم جواز الاعتماد على الخبر الحاكي لقول الإمام أو النبي ﷺ ما لم يقترن بدليل أو قرينة يحصل منها العلم بصدوره عن المعصوم نبياً كان أو اماماً ، واعتمد هؤلاء على الآيات الناهية عن العمل بالظن وعلى بعض المرويات التي تؤكد وجوب التثبت في الأخذ بما يروى عن الأئمة (ع) ومن ذلك ما رواه محمد بن عيسى عن داود ابن فرقد ان أبا الحسن الثالث علي الهادي قال في جواب من سأله عن المنقول عن ابائه واجداده : ما علمتم أنه قولنا فخذوه وما لم تعلموه فردوه إلينا بالإضافة إلى غيرها من المرويات الناهية عن الأخذ بما لا يوافق الكتاب وسنة النبي ﷺ وغير ذلك من المرويات الكثيرة المنتشرة هنا وهناك المتواترة في معناها ومضمونها ، وفي مقابل هذا الرأي ذهب الأكثر الى الأخذ بأخبار العدول والموثوقين .

وألزموا أنصار الرأي الأول بأن الأخبار التي استدلوا بها بعضها من نوع الآحاد الذي لا يجوز الاعتماد عليه كما تزعمون ، والبعض الآخر منها وارد في علاج الخبرين المتعارضين ، فلا يشمل غيرهما مما لا يتنافى مع الكتاب والسنة المقطوع بها .

هذا بالإضافة الى ان النهي عن العمل بما لا يفيد العلم وارد بالنسبة الى المرويات المتعلقة بأصول الدين والاسلام ، وبعضها ناظر الى مرويات من لا يوثق بأخبارهم وأحاديثهم ، ولا خلاف بين الجميع على بطلان هذا النوع من المرويات ما لم تقترن بما يؤكد صدورها عن الأئمة (ع) .

ومجمل القول ان اكثر علماء الشيعة منذ اقدم العصور يعتمدون على مرويات العدول والموثوقين في فقههم ومناظراتهم وقد رجعوا الى مجاميع

الحديث وأخذوا منها كل ما توفرت الشروط المطلوبة في الراوي والرواية ، وتركوا الحسن والضعيف وغيرهما مما كان مشتملا على عيب في متنه او مخالفا لأصل متفق عليه ، أو لضرورة من ضرورات الدين ، اذا استثنينا بعض المقلدة المعروفين الإخباريين فانهم قد أخذوا بكل ما في الكتب الأربعة ولم يترددوا في صدورها عن الأئمة (ع) وقذفوا غـــيرهم بشتى الاتهامات لأنهم عرضوا أسانيدها على اصول علم الدراية وصنفوها الى الأصناف الأربعة كما ذكرنا .

هؤلاء أشبه بحشوية العامة الذين أخذوا بكل الأحاديث علىعلاتها وعيوبها مع منافاة الكثير منها لاصول الإسلام ومبادئه ، وهؤلاء من أي الفريقين كانوا لا يمثلون إلا أنفسهم ولا يعبرون عن رأي الشيعة أو السنة في هــذا الموضوع وغـيره من المواضيع التي قد تختلف فيهـــا الاراء والاتجاهات ، أما الفريق الآخر فقد وقفوا من المرويات موقف الحذر المتثبت فدرسوا تاريخ الرواة وعرضوا مروياتهم على الكتاب والعقل ، فما كان منافياً لحكم العقل أو منافياً للكتاب بنحو لايمكن الجمع بينهما تركوه ،وما لم يكن كذلك ، فان كان راويه من المعروفين بسلامة العقيدة وحسن السيرة أخذوا بمروياته لا من حيث أنها قطعية الصدور ، بل من حيث توفر الأدلة على الاعتماد عليها والعمل بمضامينها وأظهر ادلتهم من الكتاب .

قوله تعالى: « **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » حيث نصت الآية على وجوب التبين والتثبت في الخبر اذا جاء به الفاسق ،ولازم ذلك أن النبأ اذا جاء به غير الفاسق لا يجب التثبت فيه ، وحينئذ اما ان يكون مقبولا وصالحا للعمل به وهو المطلوب ، وان لم يكن مقبولا يكون العادل اسوأ حالا من الفاسق لان خبر الفاسق يخضع للفحص والتأكد من صحته وذاك يتعين للطرح بمجرد وروده ، كما استدلوا ببعض الآيات كقوله تعالى : « **واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » وقوله تعالى : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا**

إليهم لعلهم يحذرون » الى غير ذلك من الآيات التي يمكن بعد التصرف في ظواهرها ان تكون سنداً لانصار هذا الرأي .

ومع ان الآية الأولى اظهر من غيرها في جواز الاعتماد على اخبار الآحاد ، فقد تعرضت للنقد والهجوم من المانعين والمجوزين في آن واحد ، في حين أن بعض النقود الموجهة إليها لا يمكن تجاهلها ولا التخلص منهـــا بوجه يمكن الاطمئنان اليه .

ومن ذلك ان الاستدلال بالآية ان كان من جهة تعليق الحكم على صفة الفسق في الخبر ، فانتفاء الوصف عن الموضوع لا يدل على انتفـــاء الحكم عن الموضوع الفاقد لتلك الصفة كما هو الرأي الراجح عند اكثر الاصوليين ، هذا بالاضافة الى ان القائلين بالمفهوم للتضمية الموصوفة لا يلتزمون به في مثل المقام لعدم التأكد من انتفاء سنخ الحكم حالة انتفاء الصفة التي كانت تربط الحكم بموضوعه ، هذا اذا كان الاستدلال بها على حجية أخبار الآحاد بمفهوم الوصف وان كان الاستدلال بها من حيث تعليق الحكم على الشرط وهو مجيء الفاسق بالخبر ، فيرد عليه ان الشرط في القضايا المشروطة اذا كان علة منحصرة للحكم لا بد وان ينتفي الحكم عن الموضوع عند انتفاء الشرط ، فاذا انتفى الموضوع مع انتفاء الشرط ، فيكون انتفاء الحكم لانتفاء موضوعه لا من حيث انتفاء الشرط ، والمفهوم في الاية بناء على ان وجوب التثبت سببه مجيء الفاسق بالنبأ هو عدم وجوب التبين اذا جاء غير الفاسق بالخبر ، والآية لا تدل ذلك لان المفهوم لوجوب التبين في خبر الفاسق ، هو عدم التبين اذا لم يأت الفاسق به ، وعدمه في مثل ذلك يمكن ان يكون لعـــدم مجيء احد به كما يمكن ان يكون لمجيء غيره به ، والقضايا التي تكون من هذا النوع من القضايا التي تأتي لبيان تحقق الموضوع على حد تعبير الاصوليين ، أي أن الشرط فيها وارد لبيان الحكم عند وجود موضوعه ، كما في قول القائل : اذا قرأت الدرس فاحفظه ، واذا رزقت ولداً فاختنه ، واذا تزوجت فلا تضرب زوجتك ونحو ذلك .

وللاصوليين في مجاميعهم كلام طويل حول هذه الآية لا يعنينا منه أكثر من هذه الإشارة العابرة .

أما بقية الآيات التي حاول أنصار هذا الرأي التعلق بها فلا تجدي نفعاً إلا بعد تأويلها وتحويرها تحويراً لا يناسب مع ظواهرها ومواردها .

وقد استدلوا بالإضافة الى ذلك بالاجماع الذي ادعاه جماعة من الفقهاء والاصوليين ، في حين ان القائلين بعدم جواز الاعتماد على اخبار الآحاد قد استدلوا بالاجماع ايضاً ، مع العلم بأن الاجماع حتى ولو لم يكن معارضاً بمثله لا ينفع حتى في المسائل الفرعية اذا لم يكن محصلا ومشتملا على رأي المعصوم عليه‌السلام ولو تجاهلنا جميع ما قيل حول الاجماع وبنينا على اعتباره من ادلة الاحكام ، وافترضنا وجود اجماع على العمل باخبار الآحاد ، ولكن ليس في كلام المجمعين ما يشعر بأنهم يعملون بأخبار العدول حتى ولو لم تقترن ببعض القرائن والشواهد ، ومع قيام هذا الاحتمال يبطل مفعول الاجماع ولم يعد صالحا للاستدلال به ، لانه لا يكشف عن رأي المعصوم والحالة هذه .

واستدلوا ايضاً بالاخبار والسيرة المتصلة بعصر الامام على الاعتماد على أحاديث الموثوقين في دينهم ، وهما من أصلح الادلة التي اعتمدها أنصار هذا الرأي ،ذلك لأن الاخبار وإن كانت من نوع الآحاد إلا انها متواترة في مضامينها وبعضها مقترن ببعض القرائن التي تؤكد صدورها عن الأئمة (ع) واكثرها تعتمد وثاقة الراوي اساساً للأخذ بالحديث والاعتماد عليه .

وقال الشيخ مرتضى الانصاري في رسائله : وقد ادعي في الوسائل تواتر الاخبار على العمل بخبر الثقة ، إلا أن القدر المتيقن منها هو خبر الثقة الذي يضعف فيه احتمال الكذب على وجه لا يعتني به العقلاء ولا يتوقفون عن العمل به لاجل ذلك الاحتمال كما تشير الى ذلك كلمة الثقة والصادق والمأمون وغيرها من الالفاظ التي وردت في تلك الاخبار ، مع العلم بأن أكثر المرويات حول هذا

الموضوع لم تتعرض للعدالة ، بل جاء في بعض المرويات ما يشعر بالترخيص بالعمل برواية غير العادل ، كما في رواية العدة عن الصادق عليه السلام أنه قال : اذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها في ما روي عنا فانظروا الى ما رووه عن علي عليه السلام هذا بالاضافة الى ترخيصهم بالعمل بكتب بني فضال وغيرها ممن انحرف عن التشيع الصحيح .

واما السيرة على العمل باخبار الموثوقين فلا مجال للتردد في أن الناس في سائر امورهم يعتمدون على من يثقون في دينه وسيرته ويرتبون عليه سائر الآثار من غير فرق بين ما يتعلق منها بامور الدين أو الدنيا ، وبلا شك ان سيرة الناس متصلة بعصر الامام عليه السلام وانه يعلم منهم ذلك وبامكانه ان يردعهم أو ينهاهم عن مثل ذلك على أقل التقادير لو افترضنا أن عملا من هذا النوع يخالف الحق والواقع في حين أنه لم ينه ولم يتعرض لذلك ، مع العلم بأنه لو سكت عما لا يرتضيه منهم مع تمكنه من البيان والردع يكون قد اهمل واجبه وقصر في أداء الامانة الموكولة اليه .

ويجمل القول ان الاعتماد على اخبار الثقات مما جرت السيرة عليه في جميع العصور من غير فرق بين المتعلق منها بامور الدين أو الدنيا ، والمعصوم نبياً كان أو اماما لا يجوز في حقه أن يقر الناس على الخطأ ويسكت عن اظهار الحق ما دام ذلك ميسورا له ولم يرد عنه ما يشير الى ردعهم عن سلوك هذا الطريق .

هذا بالاضافة الى ان التصلب في هذه المسألة والتنكر لاخبار العدول والثقات يؤدي الى ضياع أكثر الاحكام الشرعية ، لان الادلة القطعية والاخبار المحفوفة بالقرائن لا تفي بأكثر الاحكام فضلا عن جميعها ، فاذا تجاهلنا اخبار العدول والثقات والحقناها بأخبار الفساق والمشبوهين لم يعد لنا من سبيل الى امتثال اكثر الاحكام بعد تعسر الاحتياط ، وبلا شك فان العقل في مثل هذه

الحالات لا يرى بديلا عن الاعتماد على الظنون الحاصلة من هذه الاخبار اذا كان الاحتمال المخالف موهوما بالنسبة الى الطرف الآخر .

وقد لخص الشيخ الطوسي في كتابه العدة موقف الشيعة من اخبار الآحاد بقوله : واما ما اخـترته من المذهب وهو ان خبر الواحد اذا كان واردا من طريق اصحابنا القائلين بالامامة ، أو كان عن طريق النبي ﷺ أو عن أحد الأئمة وكان ممن لا يطعن في روايته بنحو يكون سديد النقل ولم يكن هنـاك قرينة تدل على صحته لانه اذا اقـــترن ببعض القرائن يصبح الاعتماد عليه من جهة القرينة .

واضاف الى ذلك ان الشيعة منذ اقدم عصورهم قد اتفقوا على العمل بتلك المرويات التي رووها في مؤلفاتهم ودونوها في اصولهم ، ولم يعرف عنهم انهم انكروا هذا الموقف على احد منهم ، فلولا ان العمل بهذه الاخبار كان جائزاً لبينه الامام عليه‌السلام خلال تلك الفترة الطويلة التي تنتهي بانتهاء مهمة السفراء الاربعة الذين كانوا على اتصال دائم بالامام الثاني عشـــر ، ومضى في تقريب هذا الرأي الى القـول بأن القياس لما كان محظورا عند الشيعة فإذا وجـدوا احدا جنح اليــه واخذ به في بعض الاحيان ولو في مقام الجـدل والاحتجاج رفضوا قوله وتعرض لأعنف الهجمات وأسوأ الاتهامات ، ولو كان الاعتماد على مرويات الآحاد محظورا عند الشيعة كالقياس والاستحسان ونحوهما كما تشعر به بعض النصوص والتصريحات المنسوبة الى بعض اعلامهم .

لو كان الامر كذلك لظهرت آثار ذلك في اقوالهم ومؤلفاتهم بتلك الشدة التي ظهرت فيها آراؤهم حول القياس وغيره ، في حـــين ان الذي ظهر منهم يؤكد جواز الاعـــتماد عليها بضميمة المرويات عن الأئمة (ع) ، فان المتتبع لجميع ما ورد عنهم حول هذا الموضوع يخرج مطمئنا بصدور بعضها عن الأئمة (ع) ومضى يقول : ان المنكرين لجواز العمل باخبار الآحاد من الاماميـة

كانوا يقفون هذا الموقف السلبي من اخبار الآحاد في مقـابل اخصامهم الذين كانوا يعتمدون على اخبار الآحاد لإثبات بعض الاحكام المخالفة لهم والتي دلت اخبارهم على خلافها ، واستطرد في حديثه يستعرض جميع الشبه ويفند جميع الاحتمالات التي يمكن ان تعترض طريقة القائلين بجواز الاعتماد عليها .

والذي تجدر الاشارة اليه ان اكثر القائلين بجواز الاخذ باخبـار الآحاد التي يرويها العدول والثقات فيجميع مراحل السند قد وقفوا عند الاخبـار المتعلقة بالأحكام،أما اذا تعلق خبر العدل بموضوع من الموضوعات فلم يأخذوا به إلا اذا تعدد رواته بأن رواه عدلان أو ثقتان في جميع مراتب السند كما هو الشأن في جميع الموارد التي لا يكفي فيها خبر الواحد أو مطلق الظن إلا إذا قامت الأدلة على اعتباره بالخصوص ، ولكن الأدلة التي اعتمـدها القائلون بحجية اخبار العـدول والثقات وبخاصة سيرة العقلاء والمتشرعة التيهي من أقوى ادلتهم لا تشير ولو من بعيـد الى انهم يعتمدون على الثقات في خصوص اخبارهم بالأحكام ويرفضون المتعلق منها بالموضوعات ، وفي وسـع الفاحص لتلك الأدلة أن يتأكد من هذه الحقيقة،فإن الناس في جميع العصور والحالات وفي ظل جميع الرسالات والنبوات يعتمدون على من يثقون بصدقه وأمانته ويرتبون عليها جميعالآثار سواء تعلقت بالأحكام أوالموضوعات ، وبخاصة اذا كان احتمال الخـلاف بعيدا وموهوما لا يوجب الحيرة والتردد على حد تعبير الشيخ الانصاري في رسائله .

ومجمل القـول ان الأدلة التي استدل بها القائلون بحجية اخبـار العدول والثقات بمجموعها تدل علىحجية الخبر سواء تعلق بالحكم أو بموضوعه،كالعدالة والضرر والنسب والحيـاة ونحو ذلك مما يكون موضوعاً وذا أثر يعود أمره الى الشارع ، وفي غير ذلك لا أجـد ما يبرر الحديث عنشمول الأدلة له لأن الامور الخارجية التي لا تتعلق بالأحكام لايعود أمرها إلىالشارع لكينستجدي الادلة على جواز الاعتماد عليها .

بقي أن القائلين بجواز الاكتفاء بالظن الحاصل من أخبار الثقات في الأحكام وموضوعاتها لم يكتفوا به في اصول الاسلام حيث إنه لا بد فيها من اليقين القاطع للشك ، والظن مهما بلغت قوته لا يمنع من احتمال الخلاف .

وقد لخص الشيخ الانصاري في رسائله موقف العلماء من اصول الاسلام بالأمور الستة التالية .

الاول اعتبار العلم فيها من النظر والاستدلال وهو المعروف عن الاكثر وأضاف الى ذلك ان العلامة قد ادعى اجماع العلماء كافة على ذلك .

الثاني الاكتفاء بالعلم الحاصل ولو من التقليد .

الثالث الاكتفاء بالظن مطلقا سواء حصل من التقليد ، أو من البحث والاستدلال .

الرابع الاكتفاء بالظن الحاصل من الاستدلال .

الخامس الاكتفاء بالظن الحاصل من اخبار العدول والثقات كما ذهب الى ذلك الاخباريون وانصارهم من الحشوية الذين لا يفسحون مجالا للعقل في مقابل الحديث .

السادس الاكتفاء بالجزم والظن الحاصلين من التقليد ، وأنصار هذا الرأي يرون أن وجوب البحث والاستدلال من الواجبات المستقلة المعفو عنها عند تعسرها ، بهذه الآراء الستة يمكن تحديد موقف العلماء من اصول الاسلام .

ولكن الذي يعكس رأي الشيعة منها هو القول الاول،حيث إن الكثرة الغالبة منهم لا تقر غيره من الآراء ، واضاف الى ذلك الشيخ الانصاري أن اصول الدين الذي لا يطلب فيها أولا وبالذات إلا الاعتقاد باطنا والتدين

ظاهراً على قسمين الاول منها ما يجب على المكلف الاعتقاد والتدين به بدون شرط آخر ، وهذه يجب فيها تحصيل العلم من باب المقدمة ، كما هو الحال في سائر مقدمات الواجب المطلق .

والثاني هو الذي يجب الاعتقاد والتدين به عند حصـــول العلم به كالتفاصيل والخصوصيات المتعلقة بالتوحيـد والنبوة وبقية الامور ، وهـذه لا يجب تحصيل العـلم والمعرفة بها ، لأن وجوبها مشروط بالمعرفة فقبلهـا لا يجب الاعتقاد بهـا ، وإذا لم يجب الاعتقاد بها لا يمـكن ان تتصف مقدمتها بالوجوب ، كما هو الشأن في سائر مقدمات الواجب المشـروط الذي لا يجب تحصيل مقدمته ، وانتهى الى القول بأن وجوب التدين بهذه الامور لمجرد الظن الحاصل من الاخبار ولو كانت صحيحـة يكون من الاعتماد على الظن فلا بد من التوقف في مثل ذلك ، واضاف ان الشهيد الثاني في كتابه المقاصد العليـة صرح بأن ما ورد عنه ﷺ من طريق الآحاد في تفاصيـــل البرزخ والمعاد ونحو ذلك لا يجب التصديق به مطلقا والاعتماد عليه في المقام .

وان كان طريقه صحيحا لأن خبر الواحد ظني وقد اختلف في جواز العمل به في الاحكام الشرعية فكيف بالاحـكام الاعتقادية ، ومضى يقـول : ان الشيخ الطوسي في كتـابه العدة قال : ان عـدم جواز التعويل في اصول الدين على اخبار الآحاد اتفاقي إلا من بعض غفلة اصحاب الحديث .

ومجمل القول : ان الامور التي يجب تحصيلها والاعتقـــاد بها كالتوحيد والنبوة والمعاد والجنة والنار والحساب وغير ذلك يتعين على القادر ان يبحث ويفتش ويستعمـل جميع امكانياته للوصول الى الاعتقـاد الجازم ، أما اذا لم يكن قادرا على البحث والفحص كما هو الحال في عوام النـاس وبسطائهم فلا يمكن تـكليفهم بالنظر والاستدلال لتحصيـل العلم ويكفي اعتقادهم بها من أي طريق كان حتى ولو من التقليـد وهو الذي يتناسب مع يسر الاســـلام

وسماحته ، اما الاخبار التي تشعر بوجود الواسطة بين الاسلام والكفر ، وان هؤلاء بينهما،فعلى تقدير صحتها يمكن ان تكون تعبيرا عن واقع حالهم من حيث المكانة التي يستحقونها يوم الجزاء ، ذلك لأنهم لا يستحقون ان يضعهم الله سبحانه في صفوف الموحدين المؤمنين عن علم ونظر وقناعة ، ولا يمكن ان يضعهم في صفوف الجاحدين لأنهم لا ينكرون الله ورسـله ، وكل ما في الأمر انهم لا يملكون وسائل اليقين الجازم بأصول الدين ولا يخرجون بذلك عن الايمان .

وجاء في رواية سليم بن قيس عن أمير المؤمنين أنه قال : أدنى ما يكون العبد مؤمنا أن يعرفه الله تعالى اياه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيه ﷺ فيقر له بالطاعة ، ويعرفه امامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة فقلت يا أمير المؤمنين : وان جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت قال نعم . الى غير ذلك من المرويات التي تشير الى هذا المعنى .

وأما القسم الثـاني من الأمور التي لا يجب الاعتقاد بها إلا بعـد العلم بها كالبرزخ وأحوال الجنة والنار وكيفية الحساب والصراط ونحو ذلك فلا تجب معرفتها بنحو التفصيل ولا الفحص عنها لأنها من مقدمات الواجب المشروط التي لا تجب مقـدمته ، واذا حصل العلم بها من خبر متواتر او آحاد محفوف ببعض القرائن لا بد من التصديق بها ،أما الآحاد المفيد للظن فلا يجب التعبد به وان كان صحيحا كما جاء عن الشهيد في كتابه المقاصد العلية .

وقال الشيخ الانصاري في رسائله : لا يعتبر في الايمان ازيد من التوحيـد والتصديق بالنبي ﷺ وبكونه صادقا في كل ما جاء به وبلغه الى الناس اجمعين وليس المراد معرفة تفاصيل ذلك ، والا لم يكن من آمن بمكة من أهل الجنة، أو كان حقيقة الايمان بعد انتشار الشريعة غيرها في صدر الاسلام ، ولو حصل اليقين بشيء من هذه الأمور بواسطة اخبار الآحاد يجب التصـديق به والالتزام بآثاره .

ومهما كان الحال فلقد اطال الشيخ الانصاري وغيره الحديث عن كيفية التدين باصول الاسلام وتشعب الآراء حولها ، ولكن الرأي الذي يعبر عن رأي الشيعة في هذه المسألة ، هو وجوب الاعتقاد والتدين بها وان على القادر على تحصيل العلم ان يسعى اليه بالوسائل التي توفر له ذلك أما من ليس في مقدوره ذلك ، فيكفيه العلم الحاصل من أي طريق كان ، حتى ولو كان بواسطة التقليد وغيره من الطرق الظنية ، وتكليفه بأكثر من ذلك لا يعدو أن يكون من نوع التكليف بغير المقدور الذي لا يقره العقل والشرع ، هذا بالإضافة الى ان تكليف الجاهل بتحصيل الطرق العلمية يؤدي الى خروج الكثرة الغالبة من الناس عن الايمان ، كما التزم بذلك بعض أعيان الفقهاء ، ولكن انصار هذا الرأي لم تتوفر لهم الأدلة الكافية لتدعيمه ، هذا فيما يعود الى الاصول ، أما التفاصيل والكيفيات فلا يجب الفحص عنها ولا التدين بها إلا اذا حصل العلم بها بالاسباب المتعارفة كما قدمنا .

موقف السنة من خبار الآحاد

لقد سبق ان ذكرنا خلال المباحث السابقة ان الاصول التي وضعها علماء الحديث والدراية من الشيعة للحديث وأصنافه لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن الاصول التي وضعها الباحثون في علم الحديث من أهل السنة ، إذا استثنينا بعض التفريعات والاصطلاحات ، وكما أسرف فريق من علماء الشيعة وفقهائهم فوقفوا موقفاً سلبياً من أخبار الآحاد ولو كانت في منتهى الصحة ما لم تنتـه إلى العلم بصدورها عن المعصوم ، وقف نفس الموقف فريق من علماء السنة ، فاشترطوا أن يكون الخبر مروياً عن طريق عدلين في جميع مراحل السند ، وهؤلاء بين من يدعي أن الصحيح المقبول عند البخاري ومسلم هو الذي يرويه عدلان عن مثلهما ، وبين من لايرى مبرراً لقبول أخبار الآحاد إلا إذا تعدد رواتها ، واقترنت ببعض القرائن المؤكدة لصدورها .

وجاء في المجلد الأول من تدريب الراوي للسيوطي ان جماعة من المحدثين منهم ابن الأثير في مقدمة جامع الاصول وغيره ومؤلف كتاب (ما لا يسع المحدث جهله) ذكروا ان شرط الشيخين في صحيحيهما أن لا يدخلا فيــه إلا ما صح عندهما وهو ما رواه عن النبي ﷺ اثنان فصاعداً ، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر ، وأن يرويه عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة ، ومضى يقول : ان ابراهيم بن اسماعيل بن علية

أحد الفقهاء والمحدثين المتوفى سنة ١٩٣ اشترط رجلين عن رجلين لقبول الحديث ، وأضاف إلى ذلك ان الجبائي قال : لا يقبل الخبر إذا رواه العدل الواحد إلا إذا انضم إليه خبر عدل آخر ، أو كان موافقاً لظاهر الكتاب أو رواه عدل آخر ، أو كان شائعاً ومنتشراً بين الصحابة ، واكثر المعتزلة يرون رأى الجبائي ، ولكن هذين الرأيين لا يعكسان رأى الجمهور الذين يقفون إلى جانب أخبار الآحاد ولو كان الراوي لها عدلاً واحداً ، وهم بين قائل بأنها تفيد العلم القطعي بصدورها عن النبي ﷺ ، وبين من يدعي بأنها لا تفيد اكثر من الظن .

وجاء في التعليقة على الباعث الحثيث ان الذين ذهبوا إلى ان اخبار الآحاد قطعية الصدور ولو كان الراوي لها عدلاً واحداً وهم الكثرة الغالبة من المحدثين ومنهم الحسين بن على الكرابيسي ، والحارث بن اسد المحاسبي وابن حزم في المجلد الأول من كتابه الإحكام في اصول الأحكام ص ١١٩ و ١٣٧ ، وجاء فيه ان خبر العدل الواحد عن مثله الى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معاً ، ومضى المعلق على الباعث الحثيث في سرد أسماء الذين ذهبوا الى هذا الرأى وعد منهم ابن الصلاح وابا اسحق وابا حامد الاسفرايني والقاضي ابي الطيب والشيخ ابي اسحق الشيرازي من الشافعية والسرخسي من الاحناف والقاضي عبد الوهاب من المالكية وابن الزغراني من الحنابلة وأضاف إلى ذلك ان اكثر أهل الكلام واهل الحديث قاطبة يذهبون إلى ذلك ، واضاف الى ذلك ان الحق ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من ان الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء ا كان في الصحيحين ام في غيرهما وهذا العلم اليقيني لا يحصل إلا للمتبحر في الحديث العارف بأحوال الرواة والعلل ، وخلص من ذلك الى القول بأن الفروق التي

وضعها المتكلمون بين العلم والظن انما يريدون بها غير ما نريد[1] .

ومن ذلك تبين ان اكثر محدثي السنة وفقائهم انما يأخذون بخبر العدل الواحد من حيث افادته العلم بالصدور ، ومعه لا يحتاجون الى دليل آخر لجواز الاعتماد على الحديث لأن كل شيء ينتهي الى العلم يقطع العذر ، أما الشيعة فمن حيث أن عدالة الراوي عندهم لا تفيد أكثر من الظن بالصدور ولا تمنع احتمال العدم فيحتاجون الى دليل آخر يرفع من شأن هذا النوع من الظنون الى مستوى العلم من حيث ترتيب الآثار ، لأن الأدلة العامة قد منعت من الاخذ بالظن وألحقته بالشك والوهم .

وحصيلة البحث حول اخبار الآحاد ان موارد الالتقاء بين الفريقين السنة والشيعة تبدو وكأنها معدومة الى أبعد الحدود ، لأن الكثرة الغالبة من السنة يدعون الى ان اخبار العدول تفيد العلم وكل شيء ينتهي الى العلم ينتهي معه البحث ، وعندما يتحدثون عن مرويات الصحيحين لمحمد بن اسماعيل البخاري ومحمد بن مسلم النيسابوري يغالون فيها وكأنها من وحي السماء لأن الاول اختار صحيحه من ستماية الف حديث والثاني من أربعماية الف حديث ، والقلة منهم يلتقون مع الكثرة من الشيعة من حيث ان اخبار العدول لا تفيد غير الظن ، والظن لا يغني عن الحق شيئاً ما لم تقترن ببعض القرائن والمرجحات ، وكل ما في الامر ان الشيعة يدعون وجود الدليل على الاخذ بهذه الظنون وقيامها مقام العلم من حيث ترتيب الآثار الشرعية ، ولا يفرقون بين الكتب الاربعة وغيرها من المرويات المنتشرة هنا وهناك لأن عدالة الراوي واستقامته في دينه وسيرته كل ما توفر لحديثه صفة الظن

---

(١) انظر ص ٣٦ و ٣٧ من الباحث الحثيث للحافظ بن كثير .

بالصدور ، وليست كافية وحدها لإلغـاء احتمال الكذب أو الخطأ ونحوهما ، ولما كان مجرد الرجحان وحده لا يصلح ان يكون باعثاً على التدين والاخـذ بمضمون الخبر ، رجعوا الى البحث عن الادلة التي توفر لهم القناعة والاطمئنان وقد توفرت لهم القناعة من مجموع الادلة التي رجعوا إليها على جواز الاعتماد على مرويات الثقات والعدول إذا لم تصطدم بما هو أقوى واصرح منها ، وعدوا ذلك خروجاً على المبدأ العام القاضي بعدم جواز الاخذ بالظنون إذا استثنينا حفنة من محدثي الشيعة وفقهائهم غالوا في الكتب الاربعة بما يشبه غلو السنة في صحاح الحديث وصحيحي الشيخين ، ولكنهم لم يسرفوا اسرافهم ، ومع ذلك فقـــد تعرضوا لأعنف الهجمات واسوأ الاتهامات من الجمهور الاعظم ووصفوهم بالمقلدة حيناً وبالحشوية حيناً آخر ودأبوا على مقاومتهم حتى ذابت مقالتهم ولم يعد لها وزن عند تمحيص الآراء وتصفية المقالات والاتجاهات .

الفصل الثالث

الكذب في الحديث

من المتفق عليه بين جميع الفرق والطوائف الاسلامية ان الكذب في الحديث قد ظهرت بوادره في عصر مبكر من تاريخ الاسلام، وان بين المرويات عن النبي والأئمة الكرام في مختلف المواضيع عدداً هائلاً قد انتشر هنا وهناك في كتب الحديث والفقه لا يمكن بحال من الاحوال ان نتجاهل اخطاره ونتائجه السيئة التي أصابت السنة في الصميم تلك المرويات التي مزقت الامة شعوبا واحزابا ، ولا يزال المسلمون يعانون من اخطارها حتى اليوم، وستبقى اخطارها عبر العصور تصنع الحجب التي تحول بين حديث الرسول واضوائه وبين الاسلام ومبادئه الخيرة الصالحة لكل زمان ومكان وتضع الحدود والسدود بين المسلم والمسلم والإنسان وأخيه الإنسان، بالرغم من بعض المحاولات التي بذلت ولا تزال تبذل بين الحين والآخر للتنبيه على تلك الموضوعات التي انتشرت بين سنة الرسول منذ القرون الاولى، ولكن ومع الاسف الشديد ان تلك المحاولات سواء أكانت من السنة أو الشيعة كانت تفقد عنصرين هامين لا بد منهما في كل عمل يراد نجاحه ، وهما الاخلاص والصراحة فالسني مثلاً

حينما يكتب في الموضوعات يضع في حسابه أكبر مجموعة من المرويات الشيعية ويتهم رواتها بالكذب والافتراء على الرسول وابنائه ، ويحاول بكل ما لديه من جهد ان يبرر اتهامه هــــذا بوجود بعض الكذابين بين رواة احاديثهم ، ويقف الشيعي نفس الموقف من مرويات الفريق الآخر فيضــع اكبر مجموعة من رواتهم في قفص الاتهام ، في حــــين ان الباحث المجرد لا ينتهي الى كل هذه النتائج اذا درس الحديث دراسة موضوعية واخذ بعين الاعتبـــار جميع الظروف والملابسات التي كانت تحيط بالفريقين ، والى أي حد كانت السياسة تسيطر على جميع الشؤون حتى الدينية منها ، لان للسياسة طابعها الديني ، ومن أجل ذلك كان الحكام يشعرون بالحاجة الماسة الى الدعم الديني لإغراء الجماهير بشرعية حكمهم ، ومن غير الممكن ان يجدوا هم وأعوانهم بين النصوص الدينية من كتاب أو سنة ما يشعر ولو من بعيد بشرعية حــكم يقوم على الظلم والجور واغتصاب الحقوق والاستهتار بالمقدســات وحرية الفرد والجماعة ، وليس أدل على ذلك من تحوير مفهوم الخلافة عمليا ونظريا الى حـــكم فردي يستمد قوته وبقاءه من الاسراف في بذل الأموال واراقة الدماء لا من النصوص الاسلامية ولا من رغبة الشعب وارادة الجماهير ، وقد ظهرت بوادر هذا النظام في مطلع العهد الأموي الذي تتمثل بعض جوانبه في السنين الأخيرة من حكومة عثمان ابن عفان ، وبقيـــة جوانبه الأخرى في حكومة معاوية بن ابي سفيان الذي ادرك الرسول ﷺ والخلفاء الأربعة ومعظم الصحابة ورأى تصلبهم في فرض النظم الاسلامية من جميع جوانبها وظل طيلة حكمه يحاذر الى حد ما ان يتفجر الموقف من حوله لا سيا وفي المسلمين بقية من خيـــار صحابة الرسول وولداه الحسن والحسين (ع) الأمل المنشود لكل مؤمن بالله واليـوم الآخر لذلك كان يداجي احيـــانا واحيانا يستعمل أعوانه لتحوير الحقائق وخلق المبررات لتصرفاته وإعطائها صفة الشرعية فمهد الطريق لمن جاء بعـــده من

حكام تلك الدولة الجائرة فاستعملوا المرتزقة للدس والكذب على الرسول وتضاءل احساسهم بالهيبة التي كانت تعترض غيرهم من الحاكمين واندفعوا مع شهواتهم واهوائهم ومتطلبات اسلوبهم في الحكم الى ابعد الحدود في السر والعلانية ولم ير خليفتهم الوليد بن يزيد ما يمنعه من ان يستنيب جاريته حبابة لتصلي بالناس وهي سكرى ، ويحتفظ بها جثة هامدة أياماً طوالا وقد ملأت جيفتها القصر وهو يردد قول القائل :

فإن تسل عنك النفس أو تدع البكا   فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

ولولا الضجة التي أثارها أهله والاقربون اليه لم يسمح بدفنها ، ومع هذا الإسراف في المنكرات والتمادي في الضلال والشهوات فلقد وجدوا جيشاً من العملاء والنفعيين يساندهم ويموه على الناس بسلامة سلوكهم وصحة تصرفاتهم بأحاديث ينسبها الى الرسول والصحابة زوراً وبهتاناً .

ولو تجاهلنا جميع ذلك نجد ان الذين تصدوا لهذه المواضيع من سنيين وشيعيين قد اهتموا باحاديث الأحكام وتركوا غيرها مما هو مروي في مختلف المواضيع ودونوها في مجاميعهم من غير تعديل أو تمحيص ، وفي الوقت ذاته تجاهلوا تلك التيارات المتضاربة والآراء الغريبة عن تعاليم الاسلام والافتراضات التي ايدتها وروجتها بعض الفرق والأحزاب التي لبست المسوح والتصوف حيناً ومضت تفلسف المعتقدات والمبادىء الاسلامية حيناً آخر الى غير ذلك من الاتجاهات التي كان لها اكبر الأثر في تحوير الحقائق والتلاعب في حديث الرسول والأئمة (ع) هذا بالاضافة الى دور القصاصين والمرتزقة الذين اتخذوا القصص مهنة لهم يستدرون عطف الحكام وعوام الناس فانتشروا في المساجد والنوادي والمجتمعات يحدثون بفضائل الاشخاص والاعمال وصفات الجنة والنار وأهوال المحشر بما لم يحدث به نبي ولا إمام ولا كتاب وانتشر هذا النوع من الحديث بين صحاح الأحاديث حتى امتلأت به المجاميع .

وبشيء من الايجاز فإن حركة الوضع قد تطورت مع الزمن بدون تحفظ كما هو الشأن في كل شيء يتصل بحياة الناس ، وانحطت في اهدافها الى ان اصبحت من وسائل العيش واللهو فلا يجد القصاصون واتباع الحكام ما يمنعهم عن ان يضعوا حديثا متصلا الى الرسول أو الامام في مدح أو ذم أو ترغيب بعمل عن نية سيئة احياناً وعن بلاهة وغباء في بعض الأحيان .

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن غياث بن ابراهيم وقد دخل على المهدي العباسي وهو يلهو بالرهان على الحمام ، فروى له ان الرسول ﷺ قال : لا سبق إلا في خف او حافر او جناح ، فكافأه بعشرة آلاف درهم ولما خرج من مجلسه قال له المهدي : اشهد ان قفاك قفا كذاب على رسول الله لانه لم يقل أو جناح ولكنك أردت أن تتقرب الينا .

والذي لا يجوز التنكر له ان محدثي السنة من أواسط القرن الخامس كانوا اكثر وعياً وادراكا للاخطار التي احاطت بالحديث الشريف من محدثي الشيعة فألفوا بالاضافة الى كتب الرواية واحوال الرجال عشرات الكتب خلال قرنين من الزمن حول الموضوعات وبعضها يحمل هذا الاسم بالذات ، ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن الجوزي العالم الشهير الذي ألف كتابه الموضوعات في في ثلاثة اجزاء خلال القرن السادس الهجري وتوالت بعده المؤلفات في هذا الموضوع فألف السيوطي والفتني وغيرهما بنفس التخطيط والاسلوب واصبحت كتبهم من اجل المصادر واكثرها فائدة لمن يريد أن يكتب في هذه المواضيع .

أما الشيعة فقد تجاهلوا هذا الموضوع وكأنه لا يعنيهم من امره شيء في حين ان الموضوعات بين مروياتهم لا تقل في عددها واخطارها عن الموضوعات السنية ، وكل ما في الأمر أنهم عالجوا مشاكل الحديث عن طريق مؤلفاتهم في علمي الرجال والدراية اللذين يبحثان عن احوال الراوي والرواية ويضعان الخطوط العامة لما يصح الاعتماد عليه وما لا يصح ، ولكنهم لم يحاولوا خلال

هذه القرون الطوال ان يضعوا ولو كتابا واحداً يشتمل ولو على نماذج من الموضوعات في مختلف المواضيع ، في حين انهم لا يزالون يعانون مما تركته تلك الموضوعات من آثار سيئة على المذهب الشيعي البعيد عن الشذوذ والأساطير والخرافات التي ادخلها المرتزقة من اتباع الحكام والقصاصون وقادة الفرق والأحزاب .

وظهر الى جانب هؤلاء وضاعون من طراز آخر كانوا يضعون الحديث بلسان أئمة الشيعة بدافع الغيرة على الاسلام في الترغيب والترهيب ، ويدعمون مقالاتهم وموضوعاتهم بمرويات مفادها ان النبي والامام (ع) قالا : من بلغه ثواب على عمل فعمله ابتغاء ذلك الثواب أوتيه وان لم يكن رسول الله قاله ، يفعلون ذلك تقرباً اليه ويحسبون انهم يحسنون صنعاً وانتشر هذا اللون من الموضوعات بين السنة والشيعة ، ووجد القصاصون من خلاله مبرراً لاساطيرهم التي امتلأت بها المجاميع السنية والشيعية وكان من نتيجة ذلك ان تاه الكثير من الصحيح بين المكذوب ووجد الحاقدون على الاسلام والتشيع مجالا واسعاً للتشويش والتشنيع امضى من اي سلاح آخر واشد فتكا من اسلحة المشركين واعداء اهل البيت كمحب الدين الخطيب وجماعة الوهابية وامثالهم من المأجورين والحاقدين .

متى ابتدأ الـكذب في الحديث

يدعى الذين عالجوا هذه المواضيـع من مؤلفي السنة ان الحديث بقى صافياً وسليا من الكذب والتحوير خلال المدة التي اجتمع فيها المسلمون على الخلفاء الراشدين واستمر على ذلك الى أن انقسمت الامة الى أحـــزاب وشيـع واندس في صفوفها اهل المصالح والاهواء .

وكانت الفتنة التي اودت بعثمان فهزت العالم الاسلامي على حد تعبيرهم ، وكان من نتائجها انتقال الخلافة لعلي بن ابي طالب عليه السلام ، ولكن الاحداث كانت أقوى من ان تسمح للهـــدوء والسلام ان يعودا إلى الدولة ، فحصل الانقسام بين المسلمين وفي معسكره ، وجر هذا الصراع الذي لبس ثوباً جديداً حروباً طاحنة في البصرة وصفين كان من اسوأ نتائجها تلك الهدنة التي نتج عنها رجوع معاوية إلى الشام اقوى مما كان عليه قبل الحرب وظهور الحزب الذي انشق من جيش علي عليه السلام وتمرد على الفريقين علي ومعاوية ، لأن علياً حكم الرجال في دين الله كما يزعمون ، ومعاوية يريد ان يتولى الحـكم رغماً عن إرادة الامة ، وبعـــد استشهاد علي عليه السلام توالت الاحزاب والفرق واتخذت لنفسها الطابـع الديني الذي كان له أبلغ الاثر في تأسيس تلك المذاهب والاحزاب في تلك الفترة من تاريخ الاسلام ، وحاول كل حزب ان يدعم مذهبه وحزبه بالقرآن والسنة ، فتأول بعضهم القرآن كما يريدون ، وفسروا

السنة بما يتفق مع ميولهم ورغباتهم واتجاهاتهم ، ولم يجدوا سبيلا لتحريف القرآن لأنه محفوظ ومكتوب لا يجهله إلا القليل،ووجدوا السبيل سهلا لتأويل السنة وتحريفها فحرفوها وزادوا فيها،ووضعوا آلاف الأحاديث ونسبوها الى الرسول،وبدأت حركة الوضع والكذب تنشط مع نشاط الاحزاب وتتسع باتساعها الى ان بلغت ذروتها في القرن الثاني وما بعده ، وتناولت جميع جوانب حياتهم الخاصة والعامة ، واضافوا الى ذلك ان الشيعة كانوا من ابرز الفرق والأحزاب في هذا الامر فوضعوا آلاف الاحاديث على حد تعبيرهم التي تؤيد خلافة علي وبنيه ، ولم يكتفوا بذلك حتى وضعوا اكثر منها في ذم الخلفاء الثلاثة والطعن عليهم ، وكان على رأس موضوعاتهم حديث الغدير والوصاية الى علي عليه السلام وغير ذلك مما يرفع من شأن فاطمة والحسن والحسين وغيرهم من أهل البيت ، حتى بلغت الاحاديث الموضوعة عن طريقهم في الفضائل وحدها ثلاثمائة ألف حديث على حد زعم الخليل بن احمد في الإرشاد وغيره ، وبعد ان انتشر الكذب الشيعي قابلهم الجهلة من اهل السنة الذين راعهم ما دسه أولئك من الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقابلوا الكذب بكذب مثله ، ولكنهم كانوا اكثر تحفظاً منهم ورعاية لدينهم ، فوضعوا في فضائل الثلاثة بعض المرويات ليقابلوا بها ذلك السيل من مكذوبات الشيعة ، كما وضع انصار معاوية عددا من المرويات في فضله وفضل الامويين وحمص والشام وغيرهما من المدن لما وجدوا تلك الموضوعات الشيعية التي تمس كرامة الامويين وتسيء الى معاوية وحزبه ليقابلوا الباطل بمثله ، وايد جمهور أهل السنة رأيهم هذا ببعض النصوص المنسوبة الى الشافعي وعامر الشعبي ، وحماد بن سلمة وغيرهم من شيوخ الفقه والحديث التي تصف الشيعة والرافضة بالكذب على علي وبنيه، واستطرد السباعي في حديثه عن الموضوعات يقول: وليس من المعقول ان يقترف احد من الصحابة على الرسول ، او يخوضوا في

الكذب عليه ، وهم الذين سمعوه اكثر من مرة يقول : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ويقول : ان كذباً علي ليس ككذب على احد ، من كذب علي اكبه الله في النار، ومن غير المعقول أيضاً ان يجازف احـــد منهم بالنور النبوي الذي خالط قلبه وروحه ليطفئه بوضع حديث في سبيـــل دعم فكرة أو للانتصار على حزب ، او التقرب من شخص ، وان اية محاولة في سبيل اثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل لـكثرة الادلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصي ، بل ان الادلة على انهم كانوا حفظة الشريعة يذبون عن السنة التحريف والتأويل اكثر من ان تحصى ، هـــذا بالاضـافة الى جرأتهم المثالية في الحق ، وهي جرأة لم ترض لهم بأن يســكتوا عن آبائهم وأعز الناس اليهم اذا انحرفوا عن سواء السبيل ، الى كثير من امثال هذه الصفات التي يلصقها الكتاب في الصحابة بما فيهم معاوية بن هند ومروان بن الحـكم والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وامثالهم ممن تمردوا على الرسول والاسلام ومبادئه في حياة الرسول وانطلقوا مع شهواتهم ومصالحهم بعد وفاته الى ابعد الحدود ، لا لشيء إلا ليضعوا الشيعة في قفص الاتهام ويلقوا عليهم وحدهم تبعة هذه الجريمة النكراء ويحملوهم اوزار من افترى على الرســـول الى يوم الدين عملا بالحديث الشريف : من سن سنة سيئة كان عليــه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة .

بهذا التسلسل الملتوي يصور محدثو السنة ومؤلفوهم مراحل الـكذب في الحديث تصويراً لا يستند على المنطق ولا تلمح اليه الادلة من قريب أو بعيد بل تكذبه عشرات الادلة والشواهد ومنطق الحوادث التي رافقت عصر الصحابة ، كما سنبين ذلك خلال هذا الفصل ، ولا يسعنا ونحن بصدد تحديد الزمان الذي بدأ فيه الكذب على الرسول ان نمر بهذا الرأي الذي يعـبر عن رأي الجمهور بدون ان نكشف الاخطاء العلمية والتاريخية التي ينطوي عليهـا

هذا الاسراف بالغلو في تنزيه جميع الصحابة عن الكذب ووضعهم في مستوى القديسين والملائكة الابرار مع انهم مارسوا جميع الفتن والمنكرات بعد وفاته وفي حياته بلغ بهم الحال ان يعملوا على اغتياله وخططوا لتنفيذ جريمتهم وكادت ان تقع لولا ان القرآن الكريم قد كشف امرهم ، هذا بالاضافة الى تخاذلهم عن نصرته في بعض الغزوات وتجسسهم عليه الى غير ذلك مما نص عليه القرآن في سورة التوبة وغيرها ، مع انهم كانوا الى جانبه يرون ويدركون انوار النبوة وسمو الرسالة واخلاص القائد في سبيلها وحرصه البالغ على تطهير نفوسهم واقتلاع بذور الشرك والنفاق منها منذ بعثه الله الى اليوم الذي اختاره اليه .

وأين كان النور النبوي الذي خالط قلوبهم وامتزج بدمائهم على حد زعم الخطيب والسباعي وغيرهما من مؤلفي السنة الذين حاولوا في مؤلفاتهم ان يضعوا الصحابة كلهم في صفوف القديسين وهم يتآمرون على اغتياله ويتقاعسون عن نصرته ، ويدعون بأنه قد أذن لهم في التخلف زورا وبهتانا ، كما جاء في الآية من سورة التوبة :

« قل الله اذن لكم ام على الله تفترون . . . »

وأين كان نور النبوة من أولئك الذين كانوا يفرحون إذا أصابته مصيبة ، كما جاء في الآية :

« وان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك سيئة يفرحوا بها .. »

وهل استطاع الاسلام بمبادئه واخلاص قائده وجهاده المتواصل ان يقتلع بذور الشرك والنفاق من نفس ابي سفيان وولده ، وعمرو بن العاص وغيرهم ممن اسلموا خوفاً وطمعاً ، وتركوا تاريخاً حافلاً بالمخازي والمنكرات ، وهل يستبعد أحد على من كانوا يكيدون للنبي ويتحدون إرادته في كثير من الأحيان ، وجرفتهم الاهواء بعد وفاته إلى حيث تشاء ، هل يستبعد أحد على هؤلاء أن يكذبوا على الرسول ويضعوا الاحاديث في فضل من يحبون

وذم من يكرهون ، هذا بالاضافة إلى أن النبي ﷺ ، لم يقف موقف المهدد والمخوف للكذبة عليه بمختلف الاساليب لولا احساسه بوجود فريق من الكذابين عليه قد انتشروا بين أصحابه وحدثوا عنه بما لم يحدث به ، فلقد وقف في اكثر من مناسبة يهدد ويخوف ويتوعد من يرتكب هذه الجريمة بألفاظ تختلف في نصها ومحتواها ، فقد جاء في بعضها ان الذي يكذب علي يبنى له بيت من النار ، وفي بعضها الآخر ان من يكذب علي يكلف يوم القيامة ان يعقد بين شعرتين ، إلى غير ذلك من الصيغ المختلفة التي وردت حول الكذب عليه كما أحصاها عبدالرحمن بن الجوزي في كتابه الموضوعات[1] وقد عد المحدثون من السنة هذا الحديث من نوع المتواتر لأن الذين رووه عن النبي اكثر من ستين صحابياً على حد زعمهم ومن المستبعد أن يكون اهتمام النبي ﷺ بهذه الناحية بدافع الاحساس والتحسب لما سيحدث بعد عصره من الافتراء عليه ، كما يزعمون ، ذلك لأن ما حدث بعد عصره من الكذب عليه لم يخرج عن كونه مصداقاً للكذب الذي ندد به القرآن الكريم وتوعد عليه بالنار والعقاب في عشرات الآيات ، وليست هذه الاحاديث بأشد وقعاً على الكاذبين واكثر تهويلا من الآيات الكريمة الكثيرة التي وضعت الكاذبين في مستوى الكفار والمنافقين وأورثتهم اللعنة إلى يوم الدين .

هذا بالإضافة إلى أن جماعة ممن رووا هذه الاحاديث رووا أيضاً ان النبي ﷺ لم ينطق بها عفواً ولم يخاطب بها الأجيال البعيدة عن عصره كما يزعمون وذكروا حادثتين وقعتا في حياته بدا عليه منهما الانزعاج فوقف يهدد ويتوعد وأرسل كلمته التي رواها ستون صحابياً أو اكثر .

الأولى منهما كما جاء عن عطاء بن السائب ان عبد الله بن الزبير قال يوماً لأصحابه : اتدرون ما تأويل هذا الحديث ؟ من كذب علي متعمداً ، فقالوا

---

(١) انظر ص ٥٥ من المجلد الأول لابن الجوزي .

لا علم لنـــا بذلك ، فقال : إن رجلا من المدينة عشق امرأة فأتى أهلها فلم يزوجوه منها فلبس حلة وأتى أهلها وقال لهم : ان رسول الله ﷺ قـد بعثني إليكم لكي اتضيف في أي بيت شئت من بيوتكم وكان ينتظران ينـام عندهم ليتصل بتلك المرأة ، فأتى رجل منهم رسول الله فقال له إن فلاناً أتانا يزعم انك أمرته ان يبيت في أي بيوتنا شاء ، فقال: كذب والله ، ثم أرسل رجلاً وأمره ان يضرب عنقه ان تمكن منه ويحرقه في النار ، فلما خرج دعاه رسول الله ونهاه عن احراقه بعد قتله لأنه لا يعذب في النار إلا رب النار ، ورويت هذه الحادثة عن طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه بتفاوت يسير لا يغير المعنى .

والثانية رواها ابن سعد في طبقاته،والطبراني عن المقنع التميمي انه قال : اتيت النبي ﷺ بصدقة ابلنـا وقلت له : ان فيها ناقتين هـدية لك ، فامر بعزل الهدية عن الصدقة ، فمكث اياما وخاض الناس ان رســـول الله باعث خالد بن الوليد الى رقيــق مصر فمصدقهم ، فقلت : والله ما عند اهلنـا من مال فأتيت النبي ﷺ فقلت له : ان الناس خاضـــوا في كذا وكذا فرفع النبي ﷺ يديه حتى نظرت الى بياض ابطه وقال : اللهم لا احل لهم ان يكذبوا علي ، قال المقنع : فلم احدث بحديث عن النبي ﷺ إلا حـــديثا نطق به كتاب او جرت به سنة .

ومهما كان الحال فسواء صحت هذه المرويات أو لم تصح فالمعاصرون للنبي من الصحابة لم يكونوا في مستوى واحد كغيرهم من سائر النـاس في مختلف العصور،فمنهم الصديقون الابرار الذين طهرت نفوسهم الصحبة من الفجور ، والآثام ، ومنهم المسلم الذي لم يبلغ مرتبة هؤلاء ، ومنهم المتستر بالاســـلام الذي يستبيح كل شيء في سبيل تحقيق اهـــدافه ورغباته ، ونحن لا ندعي وقوع الكذب منهم على الرسول في حيـاته بصورة قاطعة ، لان الارقام التي بايدينا لا تنتهي بنا الى هذه النتيجة ، ولكننا لا نستبعده بل نقربه اعـتمادا

على هذه المرويات وغيرها من القرائن والملابسات التي كانت تحيط بهم لا سيما وقد ادانهم القرآن والرسول فوصفهم القرآن بالنفـــاق، كما وصفهم الرســول بالارتداد كما ذكرنا من قبل ، لا نستبعده منهم في مقابل اولئــك الذين يرونه من المستحيلات من غير ان يقـــدموا دليلا واحــداً على ذلك سوى التلاعب بالالفاظ والتهويش بشرف الصحبة وانوار النبوة ومواقفهم المشهورة من الاســـلام .

ونحو ذلك مما لا يفيد الظن فضلا عن القطع باستحـــالته منهم في حياته وبعدها كما يزعمون .

ومجمل القــول انه اذا جوزنا ان يكون عصر النبي خاليا من الـكذب ، فليس بامكان احد أن يثبت خلو عصر الصحابة من الكذب ووضع الاحاديث بالارقام التي تفيد القناعة والاطمئنان الى ذلك .

وبامكان الفاحص ان يجد عدداً من الشواهد والادلة على تفشي الـكذب عليه بين الصحابة انفسهم قبل قيام الاحزاب والفرق بأكثر من عشرين عاماً وقد احس بهذه الظاهرة جماعة من الصحابة فوقفوا موقفاً صلباً من الرواة والمحدثين عن الرسول ﷺ منهم عبد الله بن العباس القائل : كنا نحدث عن رسول الله فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه .

ومنهم علي بن ابي طالب عليه السلام الذي كان لا يقبل الرواية إلا إذا شهــد عليها عدلان من المسلمين ، واحيــاناً كان يستحلف الراوي كما تنص على ذلك بعض المرويات .

ومنهم عمر بن الخطاب الذي ضــرب ابا هريرة بدرته وهدده بالنفي من المدينة ان هو ظل يحدث الناس بما لم يحدث به الرســول ، وقد احس بالفرج عندما مات عمر بن الخطاب فاخذ يحدث بما لذ وطاب ، وحتى السيدة عائشة

كانت تنكر بعض مروياته عن الرسول ، فقد حدث يوماً عنه انه قال : من أصبح جنباً فلا صوم له فانكرتها عليه كما جاء في صحيح البخاري ، وقالت ان رسول الله كان يصبح جنباً ويبقى على صيامه ، ولما كثر الحديث حول هذه الرواية اسندها إلى الفضل بن العباس وكان يوم ذاك قد انتقل لجوار ربه .

وجاء في كتاب اختلاف الحديث للشافعي . ان أبا بكر بن عبد الرحمن قال : كنت أنا وابي عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة من قبل معاوية فقيل له ان أبا هريرة يروي عن الرسول ﷺ انه قال : من أصبح جنباً فلا صوم له وافطر ذلك اليوم ، فقال مروان : اقسمت عليك يا أبا عبد الرحمن لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فتسألهما عن ذلك ، ولما سألها أجابتا بأن رسول الله ﷺ كان يصبح صائماً وأنكرتا على أبي هريرة حديثه ، ولما رجع إلى ابي هريرة بجوابيها بأمر من مروان بن الحكم ، قال له لقد اخبرني مخبر عن رسول الله ﷺ بذلك .

وجاء في رواية فتح الباري لابن حجر ان مروان بن الحكم قال لعبد الرحمن : لتقرعن بجوابها ابا هريرة ، فكره عبد الرحمن ان يكون عنيفاً مع ابي هريرة كما يريد مروان ، ولما اجتمع به في ذي الحليفة وكان له ارض بها ذكر له جواب السيدتين عائشة وأم سلمة ، فقال : كذلك حدثني الفضل بن العباس ، ولما روى عن رسول الله انه قال : الشؤم في ثلاثة الدار والفرس والمرأة انكرت عليه حديثه وقالت : ان رسول الله قال : كان اهل الجاهلية يقولون : ان يكن الشؤم ففي ثلاثة الدار والمرأة والفرس ، إلى غير ذلك من مواقفها معه التي تبعث الريب والشك في مروياته .

وجاء في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة انه لما أكثر ابو هريرة من الرواية عن الرسول وحدث بما لم يحدث به أحد ممن كانوا ألصق به منه واكثر

ملازمة له اتهمه المهاجرون والأنصار وانكروا عليه ، وكانت عائشة اشدهم انكاراً واكثرهم تشهيراً به .

ولما قالت له إنك تحدثت عن رسول الله بأحاديث لم اسمعها منه ، أجابها كا جاء في رواية البخاري وابن كثير : لقـــد شغلك عن رسول الله الميل والمكحلة ، وأما الأنصار فكان يشغلهم الصفق في الاسواق .

كما جاء في تأويل مختلف الحديث ص ٤٩ و ٥٠ ان عمران بن حصين أحد الصحابة الذين اسلموا في السنة السابقة من الهجرة قال: والله اني كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولـكن بطأني عن ذلك ان رجالاً من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت يحدثون بأحاديث ، ماهي كما يقولون واخاف ان يشبه لي كما شبه لهم .

وجاء في ســـيرة أعلام النبلاء ج/ ٢ / ص ٤٣٦ ان بسر بن سعد كان يقول : اتقوا الله وتحفظوا في الحديث ، والله لقـد رأيتنا نجالس ابا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب ثم يقوم فيجعل بعض من كان معنا حديث رسول الله عن كعب وحديث كعب عن رسول الله .

وجاء في كتاب شبهة التشبيه لابن الجوزي ص ٣٨ ان الزبير بن العوام سمع رجلا يحدث فاستمع إليه حتى إذا قضى حديثه قال له : انت سمعت هذا من رسول الله؟ قال نعم ، فقال الزبير: هذا والله واشباهه مما يمنعاني ان احدث عن النبي ﷺ ، لقد سمعت رسول الله يحـدث بهذا الحديث وانا صغير عن اهل الـكتاب فجئت انت تحدث به وتنسبه الى رسول الله وهو ليس من أحاديثه .

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير . ان عمر بن الخطاب قال لابي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله والا ألحقتك بأرض دوس ، كما قال لـكعب

الأحبار : اذا لم تترك الحديث عن رسول الله ألحقتك بأرض القردة[1] الى غير ذلك من الأدلة والقرائن التي تفيد القطع بأن الكذب في الحديث قد انتشر في عهد الصحابة وفي الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ حيث تيسر لضعاف الإيمان والحاقدين والمنافقين ما لم يتيسر لهم في حياته ، حيث الوحي كان لا يخفي عنه اكثر مخططاتهم ومكائدهم ، ويكشف له حتى عما يبيتون ويضمرون من سوء له ولدعوته في بعض الاحيان ، ومن الممكن ان يكون لذلك أثره في عدم تفشي الكذب عليه في حياته ، اما وقد انتقل الرسول الى ربه وانقطع وحي السماء عن اهل الارض ، فلم يعد ما يمنع الحاقدين من بث سمومهم والكيد للاسلام بكل الوسائل ، ومن المقطوع به ان الكذب عليه في الفترة التي تلت وفاته كان اقل منه بعد ان اتسعت رقعة الاسلام ، وتشعبت الامة حيث وجد أعداء الاسلام منفذاً لبث سمومهم وأراجيفهم بين صفوف المسلمين للتشويش على سنته وسيرته ، ذلك لأن الطبقة الاولى من الصحابة كان فيها من يحاسب ويراقب ويحاول الحدّ من نشاط المشبوهين والمتهمين .

وقد اكدت النصوص الصحيحة ان علياً كان يراقب جماعة من المحدثين عن عن الرسول ، ولا يقبل الحديث إلا ان يرويه اثنان من اتقياء الصحابة ، فان لم يكن ذلك يتوقف حتى يحلف له الراوي اليمين بأنه سمعه من الرسول ﷺ ، وعمر بن الخطاب قد هدد وتوعد المكثرين من الحديث كأبي هريرة وأمثاله .

وجاء عن ابي هريرة انه كان يقول ويحدث في خلافة عثمان بما لذ له وطاب ، ويقول للناس : افكنت محدثكم بهذه الاخبار وعمر بن الخطاب حي ، أما والله لأيقنت ان المخفقة ستباشر ظهري . وجاء عنه انه جمع من أحاديث رسول الله وعاءين حدثت بأحدهما في عصر الطبقة الاولى من الصحابة

---

(١) انظر جلد ٨ من البداية والنهاية ص ١٠٦ .

ولكنه لم يستطع ان يحدث بشيء من الوعاء الثاني إلا في الفترة الاخيرة من حياته[1] .

ولو تجاهلنا جميع ما ذكرناه وذكره غيرنا من الادلة التي لا تدع مجالاً للريب في ان الكذب على الرسول قد حدث بعد وفاته : من الصحابة وممن دخلوا في الإسلام في تلك الفترة من النصارى واليهود والمجوس ككعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وغيرهم بقصد التشويش والتخريب ، لو تجاهلنا جميع ذلك واستعرضنا بعض المرويات التي رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين يقدسهما الجمهور الاعظم من اهل السنة ويضعهما في المرتبة الثانية من كتاب الله ، كرواية الجساسة التي نقلها تميم الداري ورواها مسلم في صحيحه بأسانيد مختلفة عن الصحابة وغيرها من المرويات التي اسندها الصحابة الى النبي ﷺ ورواها الشيخان — لا بد وان ننتهي الى احد امرين لا ثالث لهما ، اما تكذيب الصحابة في تلك المرويات، واما اشتمال الصحاح على الاحاديث المكذوبة لو كانت تلك المرويات من موضوعات المتأخرين عن الصحابة ، وهذا ما لم يلتزم به الجمهور الاعظم وحتى السباعي والخطيب وغيرهما ممن يؤكدون سلامة عصر الصحابة من هذه الجريمة . فقد جاء في صحيح مسلم[2] ان رسول الله جمع الناس ووقف فيهم خطيباً ، وكان مما قال : اني ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ، ولكني جمعتكم لأن تميما الداري[3] كان نصرانياً فبايع واسلم وحدثني انه ركب سفينة بحرية

---

(١) انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٦ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٥٢٠ من الجلد الثاني صحيح مسلم .

(٣) هو تميم الداري من نصارى اليمن ، وكان تميم مع قبيلته في قرية من قرى فلسطين وفد على النبي (ص) بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهو من رهبان المسيحية ورجع إلى الشام بعد مقتل عثمان والتحق بمعاوية ونشر فيها مفترياته ودسائسه ، وكان مع ذلك من القصاصين في المساجد والمجتمعات بأمر من معاوية .

مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم ارفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، وانهم دخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره ، فقالوا ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة ، ثم اشارت عليهم ان يتطلعوا إلى رجل في الدير واشارت إليه ، فدخلوا الدير فاذا فيه اعظم انسان رأيناه خلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه ، مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، ولما عرف بأنهم من العرب سألهم عن نبي الأميين ما فعل ، قالوا : قد خرج من مكة ونزل بيثرب ، قال: قاتله العرب ؟ قالوا نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبروه بأنه ظهر على من يليه من العرب وأطـــاعوه ، قال اني مخبركم عني : اني أنا المسيح واني يوشك ان يؤذن لي في الخروج فأخرج واسير في الأرض أربعين يوماً فلا ادع قرية إلا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة فانهما محرمتان علي كلتاهما ، كلما اردت ان ادخل واحدة منها استقبلني ملك بيده سيف مصلت يصدني عنهما . وبعـد ان انتهى النبي ﷺ من هذا الحديث طعن بمخصرته على المنبر وقال : هـذه طيبة ثلاثا ، يعني بذلك المدينة .

وجاء في صحيح البخاري عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال : ان جهنم يوم القيامة تبدو وكأنها في أشد حالة من الغضب تحتج على الله ليفي بوعـده حيث قال : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾ ، فعند ذلك يضع رجله فيها فتمتلىء ويسكن غضبها .

وجاء فيه أيضاً ان النبي ﷺ أثر فيه السحر وغاب عن وعيه ولم يعد يعرف من أمره شيئاً ، واستمر على هذا الحال إلى ان ذهب بعض أصحابه إلى بئر في نواحي المدينة فأبطل مفعول السحر .

وجاء فيه أيضاً : ان بني اسرائيل اتهموا موسى بعاهة في بدنه فنزع ثيابه ووضعها على حجر فمضى بها الحجر يتخطى شوارع المدينة وموسى يعدو وراءه

عارياً ويقول ثوبي حجر، يكررها وأهل المــدينة ينظرون إليه فلم يجدوا به شيئاً[1]. إلى غير ذلك من الأساطير الكثيرة التي روى قسماً منها البخاري في صحيحه، وروى بعضها الآخر مسلم في صحيحه أيضاً. هذه الأساطير من صحاح الحديث عند محدثي السنة، ويكفي في صحتها أن يرويها الشيخان أو أحدهما والنتيجة الحتمية للالزام بصحتها هو صدورهـــا عن النبي ﷺ، ولا اظنهم لو أمعنوا النظر فيها يسمحون لأنفسهم أن يضعوا النبي ﷺ بهـذا المستوى الذي لا يرضاه اي انسان لنفسه ولايليق بأجهل الناس وأغباهم، وهو أجل وأرفع من ان يستمع إلى حديث الجساسة أو يحدث به أصحابه مؤمناً بصحته كما يحاول رواته، ولابد لهم من الالتزام بأحد أمرين كما ذكرنا من قبل، إما تكذيب الصحابة في هذا النوع من المرويات، ولازم ذلك ان عصر الصحابة لم يكن خالياً من الكذب على الرسول كما يدعون، أو الالزام بأن هـــذه المرويات من موضوعات عصر التابعين أو تابعيهم ويلزمهم أن يتراجعوا على كلا التقديرين عن موقفهمُ المتشدد بالنسبة إلى مرويات البخاري ومسلم.

ولو تغاضينا عن كل هـــذه الغرائب والخرافات وعن جميع الشواهد التي تدل دلالة قاطعة على ان الصحابة وضعوا عشرات الأحاديث على الرسول ﷺ وسبقوا المتشيعين لعلي في هذه الجريمة، لو تغاضينا عن كل ذلك فلا يسعنا إلا الوقوف طويلاً مع أحاديث الارتداد، التي اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم، والتي تنص على انهم ارتدوا عن الدين بعـــد النبي ولم ينجُ منهم إلا مثل همل النعم كما جاء في بعض مرويات الشيخين الجليلين.

هذه الأحاديث التي تكررت في صحاح أهل السنة بصيغ مختلفة وفي جميعها يبدو النبي العظيم، وكأنه يعــبر عن حزنه العميق وأسفه الشديد على جهوده المضنية في سبيل الاسلام ومبادئه وتركيزها في نفوس المسلمين عامة

---

(١) انظر صحيح البخاري جلد ٢.

وبخاصة اولئك الذين رافقوه في اكثر المراحل التي مرت بها دعوته ، وكان يحرص اشد الحرص على ان لا يذهب عن دنياهم إلا بعد اقتلاع بذور الشرك والنفاق من نفوسهم وتطهيرها من رواسب الجاهلية وظلماتها المتراكمة عبر السنين الطوال،واعدادهم لحمل الامانة واداء الرسالة والعمل بجد واخلاص في سبيل الله وخير الناس اجمعين ، واذا به بعد هذه الجهود يطل على غدهم المظلم ومصيرهم المحفوف بالمخاطر،فيقف موقف الحزين الكئيب مستغيثاً بربه لينقذهم مما هم فيه من البلاء والعذاب، فيأتيه النداء بأن اصحابك لا تنفعهم شفاعة الشافعين لانهم ارتدوا على ادبارهم من بعدك فغيروا وبدلوا وانحرفوا عن صراطك المستقيم ونهجك القويم الى حيث قادتهم الاهواء والشهوات والمطامع والانانيات فلا ينجو منهم الا القليل القليل، ولم يتخلف عن موكب الارتداد عن سيرتك وتعاليمك الا مثل همل النعم[1].

ومع وجود هذا النوع من المرويات في صحيح شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل وبقية الصحاح التي اعترف بصحتها الجمهور الأعظم من المحدثين والفقهاء نراهم يناقضون انفسهم، حينما يدعون بأنه من المستحيل أن يقدم أحد من الصحابة على الكذب على رسول الله بعد ان عرف جزاء الكذب عليه ، ويضيفون إلى ذلك انه من غير الممكن ان يجازف احد منهم بالنور النبوي الذي خالط قلبه وروحه فيطفئه بوضع حديث في سبيل دعم فكرة ، أو للتقرب من شخص معين، وأن أية محاولة لاتهامهم بهذه الجريمة ستبوء بالفشل

---

(١) وهي الابل التي لا تستطيع اللحاق بالقطيع اما لضعفها او لغير ذلك مما يمنعها من السير مع رفيقاتها ، وبلا شك ان نسبة هذا النوع من النعم الى مجموع القطيع لا تزيد عن الاثنين بالنسبة الى العشرة في الغالب، وقد جاء هذا التعبير كناية عن انه لا ينجو منهم الا القليل القليل.

وتعارضها الادلة القـاطعة على ورعهم وخشيتهم وبعـدهم عن المعاصي والبدع والاهواء [1] .

وبالطبع يحاول أهل السنة بهــذا التصور للصحابة ان لا يفسحوا المجال لتسرب الشك في الخلافة الاسلامية بالشكل الذي صارت عليه، ويريدون ان يضعوا الجميع فوق الشبهات لهـذه الغاية، ولو كان الصحابي كسمرة بن جندب صاحب النخلة الذي كان يؤذي الانصاري باستغلالها ويدخل عليـه داره ولو كان هو وعائلته في وضـع لا يسمح لأقرب المقربين بالدخول عليهم ، في حين انه رفض بيعها للنبي ﷺ بالرغم من الوعود المغرية التي تحفـظ لكل منهما حقه ، فكان من نتيجة هـذا الموقف مع النبي انه اعطى الحق لصاحب الدار بأن يقلع له نخلته، واصدر ذلك المبدأ العـام الذي اتفق عليه اكثر المسلمين سنيهم وشيعيهم « لا ضرر ولا ضرار في الاسلام »، واصبح من المبادىء العامة التي يعتمد عليها الفقه الاسلامي فيما يشبه هذه الحادثة من موارد سوء استعمال الحق ، او كان كمعاوية ومروان والمغيرة وابن العاص وولده عبد الله؛ وطلحة والزبير اللذين تزعما حركة المعارضة لخلافة علي عليه السلام بقيادة السيدة عائشة، وكان من نتائجها ان استشهد ما يقرب من خمسين ألفا أكثرهم من المسـلمين الأبرياء الذين غررتهم السيدة عائشة بوقوفها هــذا الموقف الذي حذرها منه الرسول في أكثر من مناسبة الى غير ذلك ممن مارسوا الفتن وجميع المنكرات، واذا استحال على جميع اصحابه ان يقدموا على المعاصي ويجرأوا على الكذب عليه ويجازفوا بنور النبوة الذي خالط قلوبهم وامتزج بدمائهم وارواحهم على حد تعبير أهل السنة ، فكيف يتصورهم النبي يساقون أفواجاً الى جهـنم ولا يفلت منهم الا القليل، ويدعي بعد ذلك بأن الله سبحانه قد وصفهم بالارتداد

---

(١) انظر السنة قبل التدوين وغيرها من مؤلفات السنة حول هذا الموضوع .

عن دينه وتحريف سنته وتجاهل احــكامه ، واذا كانوا بهـذا المستوى الذي وصفهم به الله ورسوله كما تنص على ذلك المرويات التي اثبتهــا الشيخان في صحيحيهما فلماذا نستبعد عليهم ان يكذبوا على الرسول ويضعوا مئات الأحاديث ليدعموا بها فريقاً أو رأياً ، أو ليشوشوا على الاسلام ومبادئه ما دام الاسلام لم يخالط قلوب فريق منهم كما يؤكد ذلك القرآن واحاديث الارتداد من بعده ، ولماذا لم تحل انوار النبوة بين المغـــيرة بن شعبة وبين المرأة التي زنى بها في البصرة يوم كان واليا لعمر بن الخطاب وقد شهد عليه أربعة من المسلمين بذلك ولكن الخليفة اسقط عنه الحد لأمر لا يعنينا ان نحدد ابعـــاده كما اتفق على ذلك المؤرخون .

ولو تغاضينـا عن ذلك وتركنا للصحابة قداستهم التي تعصمهم عن الخطأ وجميع المنكرات كما يريد أهل السنة، فماذا يعتذر اهل السنة عن كعب الاخبار ووهب بن منبه واخيه عبد الله ، وعبد الله بن سلام وغيرهم ممن دخــلوا الاسلام من اليهودية والنصرانية والمجوسية ووضعوا مئات الأحاديث في التفسير واخبار الامم السالفة وفضائل البـــلدان والاقطار، وغير ذلك مما شاع عنهم وتناقله الرواة والمحدثون جيلاً عن جيل ونسبوا اكثره الى الرســـول ﷺ.

وجاء في تذكرة الحفاظ للذهبي ان كعب الاخبار قدم من اليمن في خلافة عمر بن الخطاب فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، ومات بحمص بعد ما ملأ الشام وغيرها من البلاد الاسلامية بخرافاته اليهـــودية كما فعل تميم الداري صاحب حديث الجساسة بخرافاته النصرانية ، ومما وضعه في فضل البلدان ونسبه الى الرسول انه قال : ليبعثن الله في مدينة بالشام يقــال لها حمص سبعين ألفا يوم القيامة لا حساب عليهم ولا عذاب .

وقال الذهبي في تذكرته: ان وهب بن منبه فارسي الاصل نشأ في اليمن ، وكان جده ممن بعثهم كسرى لنجدة اليمنيين على الأحباش ، واستوطن بهــا

فأخذ عن يهود اليمن كما أخذ الكثير عن النصرانية ، ولما دخل في الاسلام استطاع ان يخدع الكثير من المسلمين فروى عنه ابو هريرة وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم،وكان يقول:لقد قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا ، وظل يتجول في بلاد المسلمين يبث فيها سمومه بأحاديثه واساطيره الى السنة التي مات فيها وهي سنة ١١١ هجرية،وقيل أكثر من ذلك تلك المرويات التي يصور فيها الاسلام وكأنه يقوم على مجموعة من الخرافات والأوهام التي تنفر منها الطباع ولا تستسيغها العقول ، وجاء عنه كما في كتاب التنبيه في الرد على أهل الأهواء والبدع للسلطي ص ٩٩ ان اربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم اربعة وجوه: وجه ثور ، ووجه اسد،ووجه نسر ووجه انسان ، ولكل واحد منهم اربعة اجنحة ، جناحان منها في وجهه يحفظانه من ان ينظر الى العرش فيصعق ، فيهفو بهما لا ينطق إلا بقوله : قدوس الملك القوي ملأت عظمته السموات والارض .

كما جاء عن كعب الاحبار انه قال : الارضون السبع على صخرة، والصخرة في كف ملك،والملك على جناح الحوت ، والحوت في الماء والماء على الريح ، والريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح،وان قرونها معلقة في العرش، الى غير ذلك من احاديث هذه الطبقة التي رافقت الطبقة الأولى من الصحابة وملأت الدنيا بالأساطير وخرافات الامم السابقة واستطاع هؤلاء بدهائهم ومرونتهم ان يجدوا من المسلمين آذاناً تصغي إليهم وقلوباً تتسع لتلك المرويات التي تناقلها الصحابة ومن بعدهم جيلاً عن جيل ، ووجد بها القصاص والمرتزقة ومن يحاولون الكيد للاسلام مصدراً يحقق أمانيهم وأطماعهم ، ولما جاء دور التدوين والتأليف كانت تلك الاساطير قد انتشرت هنا وهناك الى جانب بقية المرويات عن الرسول ﷺ فدونوا كل ما وجدوه بدون تمحيص وتدقيق

فاختلط الحق بالباطل وكانت ولا تزال سلاحاً للهدم والتخريب بيـد الاعداء الى حيث يشاء الله .

وجاء في مقدمة ابن خـلدون ص ٣٦٧: ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والاميـة ، وإذا تشوفوا الى معرفة شيء مما تتشوف اليه النفوس البشرية في اسباب المكونات وبدء الخليقـة واسرار الوجود فإنهم كانوا يسـألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم ، وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، واهل التوراة الذين من العرب يومئذ اهل بادية مثلهم ولا يعـرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهود ، فلما اسـلموا بقوا على ما كان عنـدهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون إليها مثل بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك .

وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سـلام وامثالهم فامتلأت التفاسير من المنقـولات عندهم في امثـال هذه الاغراض وتسـاهل المفسرون في مثل هذه الامور حتى ملأوا كتب التفسير بها .

وقال احمد امين في كتابه فجر الاسلام : ان وهب بن منبه كان من اهل الكتاب الذين اسلموا في وقت مبكر من تاريخ الاسلام ، وله اخبـار كثيرة وقصص تتعلق باخبـار الاوائل ومبدأ العـالم وقصص الانبياء .وجـاء في شذرات الذهب : انه كان قصاصاً بارعاً في هذا الفن .

واما كعب الاحبار او كعب بن مانع فيهودي من اليمن ، وهو من اكثر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين ، اسلم في خلافة ابي بكر ، او في اوائل خلافة عمر بن الخطاب ، وانتقل بعد اسلامه الى المدينة ، ومنهـا الى الشام ، واخذ عنه جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس ، وهما اكثر من روى عنه .

وجاء في الطبقـات الكبرى لابن سعد انه ظل بعد اســـلامه يحرص على قراءة اسفار التوراة وهو الذي اخبر عمر بن الخطاب بأنه سيقتل وذلك قبل مقتله بثلاثة ايام مدعياً أنه وجد ذلك في التوراة الى كثير من امثال هــذه المقالات المنتشرة في كتب التراجم والحديث والتي لا تدع مجالا للريب بأن هذه الفئة قد لبست المسوح وتظاهرت بالاسلام للتشويش والتخريب ، وكان سلاحهم هو إدخال الاساطير والخرافات بين تعاليم الاسلام وأحاديث الرسول فادخلوا عدداً كبيرا ونسبوا اكثره الى الرسول ﷺ زورا وبهتانا ، والشيء الغريب ان اكثر الذين عالجوا هذه المشكلة لم يتنكروا لهذه الحقيقـــة، ومع ذلك يدعون ان عصر الصحابة كان خالياً من الكذب وظل بريئاً الى ان ظهرت الاحزاب والفرق فعنـدها وضعت الشيعة احاديث لا تحصى في فضل علي وبنيه،ووضع اهل السنة في مقابلها ليقابلوا الباطل بمثله على حد تعبيرهم .

قال السباعي في كتابه « السنة ومكانتها في التشريـع »:وأول معنى طرقه الوضاع في الحديث هو فضائل الأشخاص فقد وضعوا الاحاديث الكثيرة في فضل أئمتهم ورؤساء أحزابهم ، وأول من فعل ذلـــك الشيعة على اختلاف طوائفهم ، فوضعوا اول مـا وضعوا حديث الوصيـة فيغدير خم وغيره من الأحاديث حول هذا الأمر ليؤكدوا خلافة علي بعد الرسول ﷺ ، وكما وضعوا الأحاديث في فضل علي وآل البيت وضعوا الأحاديث في ذم الصحابة وخاصة الشيخين ،ومضى المؤلفون حول هذه المواضيع يقولون : ان الرافضة اسرفت في وضع الأحاديث بمـا يتفق مع أهوائها وبلغت من الكـثرة حداً مزعجاً مما دعا الخليل بن أحمد في الإرشاد أن يقول : لقد وضعت الرافضة في فضائل علي وأهل بيته نحواً من ثلاثمائة ألف حديث ، واستطرد السباعي كغيره من مؤلفي السنة في توزيـع الأسباب الداعية الى الكذب في الحديث بعـد انقراض عصر الصحـابة الـذي خلا من كـل أنواع الجـرائم، وبخاصـة هـذا

النوع منها على حد زعمهم،فقال: إن السبب الأول هو الخلافات السياسية التي ظهرت في أواخر خلافة عثمان وأوائل خلافة علي (ر ض) والصراع على الخلافة على حد زعمه كان السبب المباشر في وضع الحديث، وانتهى من ذلك الى أن العراق أول بيئة نشأ فيها الوضع ، وأيد رأيه هذا بما جاء عن الزهري ، حيث قال : إن الحديث يخرج من عندنا شبرا فيرجع الينا من العراق ذراعا ، وبما جاء عن مالك من أن العراق دار الضرب أي أنهم يضعون الأحاديث ، وبما جاء عنه أنه قال : لا تكلم الرافضة ولا تروي عنهم فإنهم يكذبون إلى غير ذلك من الكلمات التي نسبها لجماعة من المحدثين والفقهاء من أهل السنة والتي يتجسد فيها الحقد على الشيعة والتملق للحكام الذين كانوا يطاردونهم ويراقبون جميع تحركاتهم وأحوالهم ، ونحن لا نريد من هذه الدراسة أن نبرىء الشيعة من الكذب في الحديث وأن نضع جميع المتشيعين لعلي (ع) في صفوف الأولياء والقديسين كما فعل أهل السنة بالنسبة بالنسبة إلى الصحابة أجمعين على اختلاف مراتبهم وصحبتهم ومواقفهم من رسالة الاسلام وتعاليمه في حياة النبي وبعد وفاته ، وإنما الذي نريده أن المتشيعين لعلي لم يكونوا البادئين في الكذب ووضع الأحاديث ، وقد أثبتنا بالأرقام التي لا تقبل الجدل أن بين من أسموهم بالصحابة جماعة لم يتورعوا عما هو أفحش وأعظم من الكذب فضلاً عن وضع الأحاديث التي تؤيد ميولهم واتجاهاتهم ، والارقام تؤكد أنهم قد باشروا هذه المهمة بأنفسهم ، ونسبوا إلى الرسول ما لا يمكن أن يحدث به. كما أخذوا عمن كانوا يعتنقون اليهودية والنصرانية والمجوسية . ومن أساطير الأولين عشرات القصص والحكايات وتركوها للأجيال ترويها عن الرسول ﷺ مع ما ترويه من آثاره في مختلف المواضيع ، وفي الوقت ذاته لا يسعنا أن ننكر أن حركة الوضع قد اتسعت لظهور الاحزاب السياسية والعقائدية ، وامتدت إلى خارج المدينة بعد انتقال

الخلافة الى سليل الأمويين عثمان بن عفان ، وأصبح أبو سفيان الاموى يتطلع إلى الحكم وله من ماضيه البعيد وحاضره القريب صفحات سوداء ظلت ماثلة في أذهان الالوف من النــاس ممن امتدت أعمارهم واتصلت حياتهم بتلك الفترة الغارقة في زحمة الفتن والتنافس على الحكم باسـم الدين والإسلام ، في حين أن الاسلام قد عراهم من جميع المؤهلات التي تشدهم الى الدين الجديد ، ولم يستطيعوا خلال تلك المدة التي تربط إسلامهم التقليدي الشكلي بشر كهم المتأصل في نفوسهم ، أن يقدموا للعـــالم ولو بصيصاً من النور يتخلل تلك الظلمات التي تراكمت في نفوسهم ، ولا أن يتفلتوا من حقدهم على الاسلام وعلى البيت الهاشمي الذي يتزعمه علي (ع) بعد الرسول الأكرم ﷺ الغني بماضيه وحاضره بكل المؤهلات التي تشده إلى الحكم ، لولا الاطماع التى سدت عليه الطريق والظروف التي هيأت لغيره أن يحتل مركز القيادة ، ويملك الامر والنهي وتصريف جميع الامور ، وشاءت التقادير والظروف أن يكون الحــزب الأمــوي الحــزب الــوحيــد المعــارض لــلحــاكــم الشــرعــي عــلي ابن أبي طالب (ع) وأن ينضم إلى هذا الحزب فريق من الصحابـة لم تتسع لاطماعهم عدالة علي (ع) ولم يتمكن أن يتغاضى عن سوء تصرفاتهم على حساب الآخرين ، هذا الحزب بعد أن أصبح الحزب الرئيسي الذي لم تتوفر فيه شروط الحاكم بنظر الاكثرية الغالبة من المسلمين، كان يعمل بكل الوسائل لتدعيم مركزه الديني، فسخر ذوي الأطماع والحاقدين على العلويين ممن التفوا حوله لوضع الاحاديث التي ترفع من شأنه وشأن البيت الاموي وتفضيل الخلفاء الثلاثة على جميع الناس . ووضعوا في تفضيل الشام وغيرها من المدن التي كان أهلها يتشيعون لهم على جميع المدن وبقـــاع الارض . ووضعوا عشرات الاحاديث التي تسيء الى علي والبيت الهــاشمي بقصد تضليل الناس والهائهم عما تناقلوه عن الرسول وسمعوه في علي وبنيه كما سنثبت ذلك بالارقام في خلال البحوث التالية .

على ان الذين اختاروا علياً بعد مقتل عثمان لم يعتمدوا على المرويات في فضله عن الرسول (ص) كحديث الغدير والمنزلة والمؤاخاة، وحديث الراية يوم الخندق وغير ذلك مما كان ينوه به الرسول في اكثر المناسبات وكان ذلك معروفاً بين اكثر الصحابة كما نص على ذلك الشيخان في صحيحيهما وجماعة من محدثي السنة ، وإنما اعتمدوا على الكفاءة التي كان يتمتع بها ومكانته العالية بين المسلمين ، فلم تدعُ الحاجة يوم ذاك الى اختلاق حديث الغدير والوصاية وغير ذلك كما يزعم السباعي وغيره ، هذا بالإضافة الى ان المتشيعين لعلي الذين كانوا يرون الخلافة من حقوقه المنصوصة كان اكثرهم من الصحابة، وهم الذين رووا حديث الغدير وغيره من الاحاديث التي تشير الى حقه في الخلافة بعد الرسول الأعظم (ص) ، وقد روى حديث الغدير حسب الإحصاء مائة وعشرون صحابياً منهم ابو هريرة وطلحة والزبير وعائشة وعمر بن الخطاب وولده عبد الله، وجنادة بن الصامت وسلمان الفارسي والعباس بن عبد المطلب وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم فعلاً، كما نص على ذلك الأمين في غديره وغيره ممن الفوا في هذه المواضيع .

وجاء في مسند احمد بن حنبل ان علياً استنطق المسلمين عن حديث الغدير ايام خلافته فشهد له ثلاثون صحابياً بأنهم سمعوه من الرسول (ص)، فعلي (ع) في الفترة التي تقلد فيها الحكم لم يكن فيها ولا في غيرها محتاجاً لاستجداء الوضاعين والمرتزقة ليبرز من خلال موضوعاتهم بطلاً وهمياً ثم يتبخر وكأنه لم يكن شيئاً ، بل كان وما زال وسيبقى في ذهن العدو والصديق والمتشيع وغيره رمزاً للبطولات والفضائل ومثالاً كريماً لاستاذه محمد بن عبد الله، ومدرسته كتاب الله وشريعته الخالدة .

اما غيره من اولئك الدخلاء الذين لم يكن لهم من ماضيهم وحاضرهم ما يؤهلهم لأن يكونوا بين المسلمين الاتقياء فضلاً عن الخلافة التي يجب ان تتوفر

فيها بالإضافة الى الدين القويم اكثر مميزات الرسول وخصائصه ، هؤلاء كانوا في امس الحاجة لشراء الضمائر وتسخير المرتزقة والحاقدين لينسجوا لهم ثوباً من الفضائل والمكرمات ليستروا بـه ماضيهم الاسود وحاضرهم الملوث عن اعين الذين لا يملكون من الوعي والتفكير ما يفرقون بين الجوهر والحصى ، ولكن الذين ينتحلون ما ليس لهم ويلبسون غير ثيابهم سرعان ما يتكشفون على واقعهم ويبرزون من خلال التاريخ بثوبهم الملوث بكل انواع الخزي والعار اقزاماً تتساقط عليهم اللعنات الى يوم يبعثون .

واعود لاكرر بأني لم أقصد بذلك ان انتحل للشيعة ما ليس لهم وان ابرئهم من الكذب على الرسول واهل البيت (ع) وإنما الذي اعنيه واقصده ان الكذب على الرسول ظهرت طلائعه في عهده، واستمر بعد وفاته يتسع وينتشر حسب الظروف والمناسبات بالرغم من رقابة الحاكمين وتشددهم على المفرطين في الحديث والمتهمين بالكذب فيه ، ولما جاء دور الأمويين مارسوه بأنفسهم وسخروا جماعة من اتباعهم ليضعوا لهم الحديث الذي يرفع من شأنهم وشأن الخلفاء والبلدان والاشخاص، وبذلوا الاموال الطائلة في هـذا السبيل ووجدوا من الصحابة من يستجيب لطلبهم ويلبي رغباتهم في وقت لم يكن احد من الشيعة يستطيع ان يذكر علياً او يتجاهر بالتشيع له ، فانطلق الوضاعون في كل بلد يحدثون وينسبون الى الرسول ما يشاؤون من المواضيع التي تخدم مصلحة معاوية واتباعه، ومضى الامويون على سنته وسيرته طيلة حكمهم الذي استمر قرابة قرن من الزمن ، وكان من الطبيعي ان يكون لهذا الموقف من جانب الامويين اثره في نفوس الشيعة والمنتسبين الى التشيع بعد الكبت الطويل والحرج الشديد الذي احاط بأهل البيت وشيعتهم ، وحينما انفرجت الازمة او اوشكت على الانفراج وجدوا سيلاً من المرويات الدخيلة على سنة الرسول (ص) في فضائل الخلفاء وغيرهم وتجريح علي وابنائه، كان من الطبيعي لهم بعد ان تنفسوا ـ ان يحدثوا ليكشفوا زيف تلك المرويات التي انتشرت في

كل مكان ، وأن يضع ضعفاء الايمان من الشيعة بعض المرويات ليقابلوا الباطل بمثله ، وان يستغل الزنادقة والمندسون بين صفوف الشيعة هذا الجو ليضعوا فيه ما يشاؤون . كما سنقدم بعض النماذج من المرويات الشيعية التي تبدو عليها ملامح الوضع في الفصول الآتية من هذا الكتاب .

والذي يؤيد ما ذكرناه من ان الكذب في الحديث لم يكن في بدايته من صنع الشيعة ، ما جاء في شرح النهج للمعتزلي حول هذا الموضوع في خطبة لعلي (ع) تعرض فيها لأحاديث البدع والاخبار المختلفة ، وقد جاء فيها : ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، ولقد كذب على رسول الله (ص) في حياته حتى قام في الناس خطيبـاً ، فقال : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل: منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج ، يكذب على رسول الله متعمداً ، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ، ولكنهم قالوا : صاحب رسول الله رآه وسمع منه ، ولقف عنه فيأخذون بقوله : وقد أخبرك رسول الله عن المنافقين بما أخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمـــة الضلال والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس ، والناس مع الملوك والدنيا الا من عصمه الله .

ورجل سمع من رسول الله شيئاً فلم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو يرويه ويعمل به ويقول : أنا سمعتـــه من رسول الله (ص) فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه ، ومضى الامام (ع) يسرد الأسباب الداعيــة الى اختلاف الحديث ، وكيف جاءت البدع وشاعت بـــين المسلمين ، وأرجع تاريخ الكذب في الحديث الى عهد

الرسول واستمر بعد عهده المنافقون من الصحابة ينسبون اليه ما لم يحدّث به من البدع والمنكرات ، وبخاصة بعد أن اتصلوا بالحكام وولوهم الأعمال وسلطوهم على رقاب الناس مما يسر لهم أن يحدثوا بما يشاؤون بدون وازع من دين أو رادع من ضمير .

وقد لخص الامام الباقر (ع) موقف الحكام الأمويين من الشيعة الذين يتهمهم أهل السنة بأنهم اول من فتح باب الكذب في تلك الفترة من التاريخ بقوله : لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليـائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون بكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به الى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد ، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا الى الناس ، وكان أعظم ذلك وأكبره زمن معاوية بعد مد موت الحسن (ع) فقتلت شيعتنا بكل بـلدة وقطعت الايدي والارجـل على الظنة والتهمة ، وكل من يذكر بحسبنا والانقطاع الينا سجن ونهب ماله وهدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (ع) وجاء بعده الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى بلغ بهم الحال أن الرجل كان يتمنى أن يقال له زنديق أو كافر ولا ينسب الى التشيع لعلي (ع) وحتى صار الرجل الذى يذكر بالخير ، ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة والحكام ولم يخلق الله شيئاً منهـا ولا كانت ولا وقعت ، وهو يحسب انهـا حق لكثرة من قد رواهـا ممن لا يعرف بكذب ولا بقلة ورع .

وهذه الصورة الاجمالية التي أعطاهـا الامام الباقر (ع) لذلك العصر المشحون بالفتن والكذب والافتراء على الرسول وأهل البيت يمكن لأي باحث

مجرد ان ينتهي اليها من خلال الحوادث التي رافقت حكم الامويين وبخاصة في المرحلة الأولى من حكمهم بقيادة سليل البيت الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي قاد الأحزاب والمعارضة ضد الدعوة الاسلامية منذ مطلع فجرها ، كما وان رواية علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتابه الأحداث تدل دلالة قاطعة على الدور البارز الذي قام به معاوية واتباعه في التشويش على سنة الرسول وطمس أضوائها لكثرة ما أدخله هو وأتباعه عليها من الموضوعات في مختلف المواضيع في الوقت الذي كان فيه الشيعة يتسترون في تشيعهم خوفاً على دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

وجاء فيها أن معاوية بعد عام الجماعة وهو العام الذي استتب له فيه الامر كتب كتاباً وجهه إلى جميع عماله جاء فيه : ان برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (ع) واستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة، فكان يتتبعهم وهو بهم عارف لانه كان منهم أيام علي (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الايدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ، وكتب الى عماله في جميع الآفاق أن ينظروا الى شيعة عثمان وصحبه وأهل ولايته والذين يروون له الفضائل وأوصاهم باكرامهم وأن يكتبوا له بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته فأكثروا من فضائل عثمان ومناقبه لما كان يغدق به عليهم من الصلات ويفيضه عليهم من غير فرق بين العرب والموالي ، فكثر الرواة والمحدثون بفضل عثمان في كل بلد ومصر وتنافسوا على ذلك، ولما شاع الحديث في فضل عثمان وبني أمية في جميع العواصم والبلدان وتناقلوه في مجالسهم وفي المساجد وعلى المنابر كتب

الى عماله كتاباً آخر جاء فيه أن الحديث قد نشأ في عـثمان وكثر في جميع الامصار فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في فضل أبي تراب إلا واتوني بناقض له في الصحابة فإن هـذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان ، فقرأ عماله كتابه على الناس فرووا أخباراً كثيرة في مناقب الصحابة لا حقيقة لها ولا واقع .

وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى وأشادوا بذكرهم على المنابر وألقوا تلـك المرويات الى معلمي الاولاد في الكتاتيب فعلموهـا الصبيان والاولاد،وأصبح منالمفروض عليهم أن يحفظوها كما يحفظون القرآن ولم يقفوا عند هذا الحد بل علموها بناتهم ونساءهم وخدمهم ومواليهم فظهر من ذلك حديث كثير كله زور وبهتان ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان من اعظم الناس بلاء في ذلك القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون النسك والخشوع ويفتعلون الاحاديث تقرباً الى الولاة وطمعاً بما في أيديهم من الاموال والضياع والمناصب ، وانتقلت تلـك المرويات منهم الى أيدي الديانيين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فتقبلوها ورووها وهم يظنون أنها من حديث رسول الله ولو علموا بواقعها لـما رووها ولا تدينوا بها ، ومضى الامر على ذلك حتى جاء دور الحجاج بن يوسف فاشتد البلاء على الشيعة وتقرب اليه المتنسكون والمتاجرون بالدين بإعلان البراءة من علي وبنيه وشيعته وموالاة أعدائه وأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم والطعن على العلويين وأتباعهم .

وجاء في شرح النهج ان ابن عرفة المعروف بنفطويـه وهو من أكابر المحـدثين وأعلامهم ، قال في تاريخه : ان أكثر الاحاديث الموضوعة في

فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني امية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بني هاشم [1] .

وجاء في المجلد الاول من شرح النهج ان ابا جعفر الاسكافي احد شيوخ المعتزلة قال : ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير [2] .

لقد لعب عروة بن الزبير دوراً بارزاً في الحديث حتى اشتهر بين فقهاء التابعين، وأكثر مروياته كان يسندها الى خالته عائشة، وقد استغل عداءها لعلي (ع) فحدث عنها وأسرف في صياغة موضوعاته حتى خرجت بشكل كريه ينفر منه القريب والبعيد ، ولكن الحسد والحقد يفتكان في دين الانسان أكثر مما يفتك الذئب الضاري في قطيع من الغنم غاب عنه رعاته .

وليس أدل على ذلك من موقف عبد الله بن الزبير من علي وبنيه كما حدث عنه في شرح النهج وغيره، فقد جاء فيه أنه كان يبغض علياً وينال من عرضه وينتقصه على المنابر وفي المجتمعات ، وأضاف الى ذلك أن عمر بن شبة ، وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير قالوا : إنه مكث أربعين جمعة أيام خلافته يخطب الناس في يوم الجمعة ولا يصلي على النبي (ص) في خطبته ولما سئل عن سبب ذلك ، أجاب بأن له أهيل سوء ، فإذا ذكرته شمخوا بآنافهم .

---

(١) انظر المجلد الثالث من شرح النهج ص ١٣ و ١٥ و ١٦ .

(٢) انظر المجلد الأول من شرح النهج ص ٣٥٨ .

وروى الزهري عن أخيه عروة بن الزبير انه قال : حدثتني خالتي عائشة ان النبي ﷺ قال لها : ان سرك ان تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين ، قالت فنظرت وإذا بعلي والعباس قد اقبلا ، إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي وضعها عروة وأخوه جعفر المعروف بالكذب في الحديث كما نص على ذلك ابن كثير في تاريخه .

ومجمل القول ان الحزب الاموي الذي ظل يعمل في الخفاء نحوا من أربعين عاماً لتقويض دعائم الاسلام بعد أن عجز عن مقابلة الدعوة الاسلامية وجهاً لوجه بشكل علني حينما توفرت له أسباب القوة والحكم، لم يهمه شيء أكثر من تحطيم الجبهة التي كانت بنظر المتدينين من المسلمين صاحبة الحق والأولوية المطلقة في قيادة الأمة ، وكان علي وأبناؤه في الطليعة بين المسلمين يوم ذاك فاتجه في مطلع عهده إلى تكوين هالة من العظمة والقداسة للخلفاء الثلاثة المتقدمين عن طريق أحاديث تنسب إلى الرسول ﷺ ، وفرض على أتباعه وحكام المقاطعات أن يفرضوها حتى على الصبيان الصغار إلى جانب القرآن الكريم الذي اعتادوا أن يعلموه أطفالهم في الجوامع والكتاتيب ، وتيسر له من الصحابة من يبذل له الكثير من دينه لانجاح هذه المهمة فوضعوا في مقابل كل حديث تناقله المسلمون عن الرسول في علي عشرات الاحاديث والمقالات في الخلفاء الثلاثة والصحابة والأمويين وغيرهم ممن يعادي علياً وآله الكرام، واستعمل لتدعيم هذا المخطط كل ما يمكن تصوره من أساليب الضغط والارهاب لانجاح مهمته كما ذكرنا ، ولم يبق أمام الجمهور المتدين إلا الموت أو التشريد ان هم أنكروا شيئاً من تلك المرويات أو تحدثوا بشيء من فضائل علي وبنيه .

وقد أكد هذه الحقيقة أحمد أمين في المجلد الأول من كتابه ضحى الإسلام فقال بعد أن عرض بعض الجوانب من الاسباب الداعية إلى وضع الأحاديث: ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الامويين فعلا قد وضعوا ووضعت لهم

أحاديث تخدم سياستهم من نواحي متعددة ، منها أحاديث في زيادة مناقب عثمان إذ كان هو الخليفة الاموى من بين الخلفاء الراشدين وهم به أكثر اتصالاً من غيره ، مثل حديث ان عثمان تصدق بثلاثمائة بعير بأحلاسها واقتابها في جيش العسرة ، فنزل رسول الله ﷺ من على المنبر وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم ، وأضاف إلى ذلك أن الطبري روى أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في شهر جمادى سنة ٤١ دعاه إليه فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : أردت ايصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ، ويصلح به رعيتي ، ولست تاركاً ايصاءك بخصلة لا تقحم عن شتم علي عليه السلام[1] والترحم على عثمان والاستغفار له وانتقاص علي عليه السلام وأصحابه واقصائهم بكل الوسائل ، واطراء عثمان وشيعته ، والإستماع منهم ، ومضى الراوي يقول :

ان المغيرة أقام في الكوفة والياً لمعاوية سبع سنين واشهر حسن السيرة ، غير أنه نفذ وصية معاوية بأحسن ما يريد ، فكان لا يدع شتم علي وانتقاصه ووضع الأحاديث التي تسيء إليه[2] ، وبالفعل لقد نجح الأمويون في هذا المخطط إلى حد ما وتأثرت به أجيال وظلت تلك الاراجيف تسيطر عليهم زمناً طويلا ، فلقد جاء فيتاريخ ابن عساكر عن أبي يحيىالسكري انه قال: دخلت مسجد دمشق ، فقلت هذا بلد دخله جماعة من الصحابة ، وملت إلى حلقة فيها شيخ جالس ومن حوله جماعة يقص عليهم فجلست معهم ، فقال له أحدهم : من هو علي ابن أبي طالب يا شيخ ؟ ، فقال له : هو خفاق كان في العراق اجتمعت عليه جماعة فقصد أمير المؤمنين معاوية لحربه فنصره الله عليه وانتهى أمره ، قال يحيى : فاستعظمت ذلك وتركتهم فرأيت في جانب

---

(١) أي لا تترك ولا تتجنب شتم علي (ع) .

(٢) انظر ضحى الاسلام ج ٢ / ص ١٢٣ عن الطبري ج ٦ / ص ١٤١ .

المسجد شيخاً يصلي إلى سارية حسن السمت والصلاة والهيئة ، فقلت له يا شيخ : أنا رجل من أهل العراق جلست إلى تلك الحلقة وقصصت عليه القصة ، فقال : في هذا المسجد عجائب يا بني بلغني ان بعضهم يطعن على ابي محمد الحجاج بن يوسف الثقفي فعلي بن ابي طالب من هو وما خطره ، وقد تأثر كثير من الناس بتلك الدعايات والأساليب التي استعملها معاوية وولاته ، ومن أنكر عليهم هذه الافتراءات كان نصيبه القتل والتشريد والتعذيب كما فعل عبدالله بن عفيف الازدي مع عبيد الله بن زياد ، وحجر بن عدي وأصحابه البررة مع زياد بن عبيد ، وميثم التمار ورشيد الهجري وسعيد بن جبير وغيرهم مع الجبابرة والطغاة . وكان الشعبي يقول: ماذا لقينا من علي وآل علي ! ان أحببناهم قتلنا ، وان أبغضناهم دخلنا النار .

ومضى على سيرة معاوية وولاته كل من جاء من بعده من الحكام والولاة ، وفي ظل هذه الظروف القاسية التي استمرت عشرات الأعوام ، انتشر القصاصون ودعاة الأحزاب والفرق كالخوارج والمرجئة والقدرية وغيرهم ، فأضافوا إلى تلك الموضوعات مجموعة أخرى في مختلف المواضيع ، وهكذا توالت المناسبات ، وتعددت الدوافع والاغراض إلى الكذب في الحديث ، وأصبح كل من يحاول أن يثبت رأياً أو يؤيد حزباً ، أو مذهباً أو ينتقص انساناً يود أن يتيسر له حديث ينسبه إلى الرسول ولو بأغلى الأثمان ليعتمد عليه .

ويجد المتتبع عشرات الشواهد على ذلك ، فقد جاء في الموضوعات لابن الجوزي عن أبي أنس الحراني ، ان المختار الثقفي قال لرجل من أصحاب الحديث:ضع لي حديثاً عن النبي ﷺ اني كائن بعده خليفة وطالب له بترة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة وخادم ومركوب ، فقال الرجل : أما عن النبي فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة واحطك من الثمن

ما شئت . فقال المختار عن النبي ﷺ يكون الحديث أجـــدى وانفع ، فقال له المحدث : ولكن العذاب عليه أشد وأبلغ .

ومن ذلك ما جاء عن أئمـة المذاهب واتباعهم فى مختلف العصور حيث كان اتباع كل مذهب يضعون الاحاديث في فضله وذم المذاهب الاخرى ، وفي الغالب كانوا يخترعون سنداً يتصل بالنبي ، أو أحد الصحابة ، فقـــد جاء في فضائل الشافعي عن أحمد بن الحسن الترمذي انه قال : كنت في الروضة فأغفيت وإذا بالنبي ﷺ قـد أقبل فقمت إليه وقلت له يا رسول الله : لقد كثر الاختلاق في الدين فما تقول في رأي ابي حنيفة : فقال اف ونفض يده ، قلت فما تقول في رأي مالك ؟ فرفع يده وطاطأ رأسه ، وقال : أصاب وأخطأ ، قلت : فما تقول في رأي الشافعي ، قال : بأبي ابن عمي لقد أحيى سنتي .

وروى اتباع أبي حنيفة عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة : هو سراج أمتي ، وسيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس هو أضر على أمتي من ابليس . كما وضع أتباع مالك وأحمد بن حنبل عشرات الاحاديث التي تؤيد مذهب كل واحد منهما وتنتقص من الآخرين ، فقد رووا عن الرسول انه قال : يكاد النـــاس يضربون أكباد الابل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة . وانه قـال فى أحمد والشافعي : أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، وقد غالى الحنابلة غلواً مفرطاً في وضع الاحاديث في فضله ، فقد روى ابن الجوزي عن علي بن اسماعيل انه قال : رأيت ان القيامة قـــد قامت ووقف الناس عند قنطرة لا يجوزها إلا من يحمل ورقة ، ورأيت رجلا يختم للنـــاس أوراقاً يجوزون بها ، فسألت عنه فقيل لي هذا أحمد بن حنبل ! إلى كثير من أمثال هــــذه

المرويات التي تفضله على جميع الأولياء والفقهاء[1] .

ورووا لغير هؤلاء من الفضائل والكرامات ما يثير الدهشة والاستغراب ويبعث على الأسف والألم لهـذا الإسفاف والإفراط في الحب والبغض إلى حدود الخروج عن دائرة التصور .

لقد اعتمدت الأحزاب والفرق وغيرهما هذا الاسلوب في ترويج أفكارها وآرائها ونزعاتها ، وكان الحزب الاموي في الطليعة من بين أولئك المخربين ، في الكذب على الرسول ووضع الاحاديث ، لأن المسلمين لا يرون لهم فضلا يرفع من شأنهم في تاريخ الإسلام كما ذكرنا من قبل فوجدوا أنفسهم في امس الحاجة إلى هـذا النوع من المرويات ، وبلا شك ان الشيعة بعـد أن احسوا بالفرج عندما دب الضعف في جسم تلك الدولة ووجدوا تلك الكميات الهائلة من الموضوعات بين المرويات عن الرسول تتحدث بهـا الأجيال في مختلف المناسبات وحيثما اتجهوا ، وسمعوا خطبـاء المنابر وعوام النـاس في النوادي والأسواق يسبون علياً وبنيه بدون تحرج أو تأثم ، حتى أصبح ذلك وكأنه من أفضل السنن التي رغب فيها الإسلام ووعد عليها بالثواب والأجر العظيم.

لما أحس ضعفاء الشيعة بالفرج بعد الشدة ، وكانت أسماعهم قد ملت شتم علي الذي حاول الأمويون أن يصوروه وكأنه من ألد أعـداء الاسلام والانسانية تطوع منهم من لا يملك من الدين والصبر ما يعصمه من الانحدار إلى هذا المستوى وتبنى هـذا الاسلوب الرخيص الذي يترفع عنه العظماء من الاتقياء والصلحاء إلى مقابلة الكذب بمثله والشتم والسباب بلونه ولغته ونسبوا أكثره إلى الأئمة ليكون أقرب الى التصديق واكثر شيوعاً وانتشاراً بين الناس .

---

(١) والذي أرجحه ان هذا الحديث قد وضعه الحنابلة في مقابل الحديث الذي يرويه الشيعة وهو لا يجوز على الصراط إلا من كان بيده صك من علي بن ابي طالب .

على أني أشك في صدور تلك المرويات بما فيها المرويات التي تسيء الى الخلفاء من الشيعة بالرغم من تداولها بينهم منذ زمن بعيد وتدوين اكثرها في بعض مجاميع الحديث الشيعية ، واكاد اجزم بأن أعداء أهل البيت قد حاولوا بكل الأساليب ان يحدثوا فجوة بين السنة والشيعة وأئمتهم فوضعوا تلك المرويات ونسبوها الى الأئمة ، وقد المح الى ذلك الامام الرضا (ع) في حديث له مع بعض اصحابه كما سيأتي في الفصول الآتية ، ومن بين هؤلاء جماعة كانوا يتسترون بالتشيع لينفذوا منه الى بث سمومهم واهدافهم كالمغيرة بن سعيد وصائد النهدي وبيان بن سمعان وأبي زينب وغيرهم من العشرات الذين وضعوا آلاف الأحاديث بين المرويات عن الامامين الباقر والصادق ونسبوها إليهما ، وقد نبه على ذلك أئمة الشيعة في أكثر من مناسبة ، وهؤلاء وأمثالهم كانوا أحياناً يروون الصحيح من احاديث الأئمة ليستروا به كذبهم ، واستطاعوا بذلك ان يخدعوا نقلة الحديث فدونوا ما وجدوه بين ايديهم ، وجاءت الطبقات المتأخرة فأخذته مع غيره ، وبالرغم من تلك الجهود المضنية التي بذلها نقاد الحديث الذين درسوا الرواية وأحوال الرواة بقصد تصفية الحديث من المكذوب ، فلم يوفقوا لاستئصال الفاسد من جسم الحديث ، وظلت المجاميع الشيعية حتى الكتب الأربعة منها تضم بين مروياتها عدداً كبيراً من الأحاديث الموضوعة كما سننبه على بعضها في الفصول الآتية .

ويمكن تلخيص الاسباب الداعية الى الكذب في الحديث من بدايتها الى نهايتها على النحو التالي :

لقد ظهرت بوادر الكذب على الرسول في عهده كما ذكرنا من قبل ، ولما وقف الرسول من هذه الجريمة موقف المتصلب ، وايقن الكذبة ان امرهم سينكشف وسيلاقون جزاءهم العاجل والآجل خفت صوتهم وركنوا وانطووا على أنفسهم كما هو الحال في غيرهم ممن كان يهم بالعصيان والمخالفة ويخشى

العواقب ، وبعـــد وفاة الرسول بدأت الدوافع والأسباب تتدافع ، فأول ما ظهر منها ذلك الصـراع السياسي على الخلافة الذي ظهر بـــين المهاجرين والانصار أولاً وبين علي عليه السلام والمهاجرين ثانياً ، وبعد أن انهزم عن المسرح مرشح الانصار سعد بن عبـادة الذي اخرج من المدينة الى بلاد الشام وقتل فيها بتدبير من الانصار المهاجرين غيلة،وأشاع قاتلوه يوم ذاك بأنه قتيل الجن واذاعوا على لسان جني انه قال :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده ورميناه بسهمـين فلم نخطيء فؤاده

وراجت فكرة اغتيال الجن لسعد بن عبادة ودونها المحدثون والمؤرخون فيما دونوه من حوادث ذلك العصر ، وتحول الصراع بين المهاجرين والانصار إلى التفاخر بالأحساب والانساب والجهاد والتضحيات في سبيل الله .

وروى كل منهـم عن الرسول صلى الله عليه وآله ما يشـير الى بعض الامتيازات التي جعلها الله لكل منها وفضل كل منهما على الآخر ، فقـــد روى الانصار عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبـه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ، كما رووا عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال : آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار وأن الآية:« **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » نزلت في الانصار، وأن عرش الله قد اهتز لموت سعد بن معاذ إلى كثير من أمثال هذه المرويات.

كما وضعوا أحاديث في فضل المهاجرين والقرشيين ، فرووا عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وآله قال : الناس تبع لقريش ، وأن هـــذا الامر فيهم ما بقي منهم اثنان إلى غير ذلك [1] .

---

(١) انظر ج ٢ من صحيح البخاري ص ٢٦٤ وما بعدها .

ولولا الحروب والغزوات والاموال التي غمرتهم بها الفتوحات لتطور النزاع بينهما واتخذ شكلا جدياً كانت له اسوأ النتائج واكثرها اخطارا ، والى جانب هذا الصراع الذي استطاع الحاكمون بأساليبهم ومساعدة الظروف ان يضعوا له حداً ويحدوا من اخطاره ونتائجه ، كان الصراع بين الحاكمين واتباعهم من جهة وبين المتمسكين بحق علي عليه السلام في الخلافة يتحرك باتجاه جديد وباسلوب بعيد عن العنف والاستفزاز ، لا يتعدى علياً واتباعه في مناظراتهم ومطالبتهم بحقه الشرعي ووصايا الرسول والنصوص التي تكررت منه في مختلف المناسبات ، حتى أن موقف السيدة فاطمة عليها السلام مع الخليفة الأول واصرارها على استرجاع فدك وموقفه المتصلب منها بعد ان اقامت عليه الحجة ولم تترك له منفذا ، هذا الموقف وملابساته لم يكن بعيداً عن الصراع في الخلافة .

وعلى أي الأحوال فلقد ادرك الحكام خطر هذا الاسلوب الذي اتبعه علي واتباعه ومدى تأثيره على الرأي العام الذي لا يرى لعلي عليه السلام مثيلاً بين صحابة الرسول صلى الله عليه وآله مما دعا أتباعهم والمؤيدين لهم الى وضع مجموعة من الاحاديث في فضل المهاجرين الأولين والذين استولوا على الحكم بعد وفاته ليقابلوا النصوص التي وردت عن الرسول بمثلها ، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم أنه قال : لما بعث الله النبي صلى الله عليه وآله خرجت تاجراً الى الشام ، فارسل الي عظيم الاساقفة فأتيته ، فقال : هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة يزعم أنه نبي ، قال فقلت هو ابن عمي ، فأخذ بيدي وادخلني بيتاً فيه تماثيل وقال : انظر تر صورته هنا ، فنظرت فلم ار شيئاً ، فأخرجني من ذلك البيت وادخلني بيتاً أكبر منه فيه مثلها ، وقال انظر هل تراه هنا، فنظرت فاذا صوره النبي، واذا صورة ابي بكر وهو آخذ بعقب النبي صلى الله عليه وآله واذا صورة عمر وهو آخذ بعقب ابي بكر ، فقال هل رأيته ، فقلت نعم

هـوذا، قال: اتعـرف الذي هـو آخذ بعقبـه قلت نعم، هو ابن ابي قحـافة، قـال: وهل تعرف الذي هو آخذ بعقبه ، قلت نعم هو ابن عمنـا عمر بن الخطاب ، فقال اشهد أنه رسول الله ، وان هذا هو الخليفـــة من بعده ، وان هذا هو الخليفة من بعد هذا، الى غير ذلك مما ينص على ان الخليفة من بعده ابوبكر[1]

ومن ذلك ما رووه عن دحية بن خليفـة الكلبي انه قال : لقيت قيصر بكتاب رسول الله ﷺ وهو بدمشق فادخلت عليه خالياً، فناولته الكتاب فقبل خاتمه وفضه وقرأه ثم وضعه على وسادة امامه ، ودعا بطارقته وزعماء دينه فقـام فيهم على وسائد بنيت له ، ثم خطبهم وقال : هـذا كتاب النبي الذي بشر به عيسى المسيح واخبر انه من ولد اسماعيل ، فنخروا نخرة عظيمة وصاحوا فأومأ اليهم بيده ان اســـكتوا ، ثم قال انا جربتكم لارى غضبكم لدينكم ونصركم له وصرفهم ، ثم استدعاني من الغد فاخلاني وآنسني بحديثـه وادخلني بيتاً عـظيـماً فيه ثـلاثمـائـه صـورة ، فـإذا هي صـور الأنبيـاء والمـرسلين فقال انظر من صاحبـــك من هؤلاء ، فنظرت فاذا صورة النبي ﷺ كانما ينطق فقلت هوذا فقال صدقت ، ثم اراني صورة عن يمينه فقال من هذا قلت هذه صورة رجل من قومه اسمه ابو بكر الصديق ، فأشار الى صورة اخرى عن يساره فقلت هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر بن الخطاب ، فقال إنا نجد في الكتاب ان بصاحبيه هذين يتم الله امره ، قال دحية: فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرته بما جرى ، فقال : صـــدق بأبي بكر وعمر يتم هذا الأمر [2]

وقد اشار الى ما ذكرناه ابن أبي الحـديد في شرح النهج حيث قال : فلما رأت الشيعة ما وضعته البكرية في صاحبهم من الأحاديث ، أوسعوا في وضع

---

(١) انظر ص ١٣٥ من نهاية الأرب الجزء السادس النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب .

(٢) انظر صفحة ١ ج ١ من الجزء السادس نهاية الارب .

الاحاديث في علي عليه السلام ثم قابلهم البكرية بمطاعن كثيرة في علي وولديه ونسبوه تارة الى ضعف العقل وأخرى الى ضعف السياسة وحب الدنيا والحرص عليها[1] ولما جاء دور الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مثل أنصاره نفس الدور الذي مثله أنصار ابي بكر وزادوا على ذلك ، لا سيما وان القرشيين كانوا أشد نقمة عليه من سلفه لانه حاول ان يحد من نفوذهم وغطرستهم ويحدد لهم تصرفاتهم ، فاتهموه بالفظاظة وسوء الخلق ، فوضع له انصاره عددا من الاحاديث التي ترفع من شأنه ، فرووا عن عائشة أنها قالت: لما ضمني الفراش مع رسول الله قال لي: يا عائشة ان حسنات عمر بن الخطاب اكثر من نجوم السماء ، وأنه لحسنة من حسنات ابيك ، وان رسول الله قال: لما أسري بي إلى السماء رأيت فيها خيلا ملجمة مسرجة لا تبول ولا تروث ولا تعرق ، رأسها من الياقوت الاحمر وحوافرها من الزمرد الاخضر وابدانها من العقيان الاصفر ، ذوات أجنحة ، فقلت لمن هذه ، فقال جبرائيل: هذه لمحبي أبي بكر وعمر يزورون الله عليها ، وانه قال : لو قعدت الف سنة احدث في فضائل عمر بن الخطاب لم انته منها ، وهو مع ذلك حسنة من حسنات ابي بكر الى غير ذلك من عشرات الاحاديث التي وضع قسما منها انصاره ليقابلوا بها احاديث الوصية وغيرها مما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام [2] ، كما وأن هناك أحاديث كثيرة لا يكاد الباحث يشك وهو يقرؤها بأنها وضعت لتأييد الحزب الأموي في عصر مبكر من تاريخ الاسلام يوم اتجه المسلمون الى محاسبة عثمان على محاباته المروانيين والمقربين اليه فاخذ أنصاره يروون عن الرسول في فضله وفضل البيت الأموي مثل قولهم: ان النبي صلى الله عليه وآله قال دخلت الجنة فتناولت تفاحة

---

(١) انظر ج ٣ من شرح النهج ص ١٧ .

(١) انظر اللآلىء المصنوعة ص ٣٠٠ وما بعدها المجلد الاول للسيوطي .

منها ولما كسرتها خرجت منها حوراء اشفار عينها كريش النسر ، قلت لمن انت : قالت لعثمان بن عفان ، وقولهم أنه قال لعثمان : أنت ولي في الدنيـا والآخرة ، وان الجنة تبرق له إذا خرج في الليلة الظلمـاء ، وقولهم: إنه قال لمعاوية إنك أحد الامناء السبعة وانك ستزاحمني على باب الجنة ،ونحو ذلك مما أورده السيوطي في اللآلىء،وابن الجوزي والفتني في موضوعاتها . هذا النوع من المرويات وضعوه ليمتصوا نقمة الجماهير الاسلامية التي امتـدت الى خارج العاصمة تحاسب وتراقب تصرفاته وتصرفات عماله ، ولكنها لم تجدهم شيئاً بعد أن وجد المســلمون أنفسهم أمام خطر يهدد مقدرات الامة ومقدساتها بسبب تصرفات تلك الطغمة من حاشيته وبني عمومته ، ولما انتقلت الخـلافة الى علي عليه السلام بعد مقتل عثمان اتخذ الصراع على الحكم شكلا جدياً لم يعرف له تاريخ المســلمين مثيلا من قبل ، واشترك فيـه بالاضافة الى الحزب الاموي جماعة من الصحابة غرروا بزوجة النبي السيدة عائشة وتســتروا بمعارضتها للحكومة الشرعية ، واتخذوا من مقتل عثمان مبرراً لمعارضتهم ، ورجعـوا يترحمون عليه ويتحدثون بحسناته بعد ان قذفوه بالانحراف عن سنة الرسول وسيرته وألصقوا به مالا يجوز على أحد من الناس،وحملوا علياً عليه السلام مسؤولية قتله لتضليل الرأي العام وكسب اكبر عدد لتأييد حركتهم الانفصالية ، وتم لهم بهذا وغيره من وسائل الاغراء والتضليل احتلال البصرة لفترة من الزمن مما اضطر علياً عليه السلام الى الوقوف بحزم وشدة في وجه تلك الحركة قبل ان يستفحل خطرها ، وكانت المعركة الحاسمة التي انتهت بانتصـار علي عليه السلام ومقتل جماعة من زعماء تلك الحركة الانفصالية والتحقت فلولهم بمعاوية الذي تحصن بالشام في بداية الامر بانتظار النتائج التي تسفر عنهـا المعارضة التي انتقلت من المدينة بقيادة الشيخين طلحة والزبير ، وزوجة النبي التي كانت بنظر العامة من أقرب زوجاته الى قلبه وروحه .

وبلا شك ان الذين التحقوا بمعاوية بعد الفشل الذريع الذي منيت به حركتهم في البصرة كمروان بن الحكم وعمرو بن العاص وولده عبد الله وآل ابي معيط ، والطامعين في الاموال والحكم من الصحابة لم يكونوا يملكون من الدين ما يردعهم عن الكذب على الرسول لرفع مستوى المعارضة التي تزعمها معاوية بن ابي سفيان ، لأن الحديث عن الرسول (ص) كان يرفع ويضع ، بل هو امضى من الاسلحة التي كانت تستعمل يوم ذاك ، وبلا شك ان حديث ابن العاص الذي يقول فيه : ان الرسول قال : ان آل ابي طالب ليسوا لي بأولياء ، ومرويات عروة بن الزبير التي نسبها لخالته عائشة ، من اراد ان ينظر الى رجلين من اهل النار فلينظر الى هذين ، تعني بذلك علياً والعباس وقولها المزعوم : ان رسول الله اوصى بأن تقطع يد علي بن ابي طالب ، وما رواه ابن العاص من دعاء النبي لمعاوية ، وانه قال : في دعائه اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب .

وما جاء عن ابن عباس انه لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح، جاء العباس الى علي وقال له : قم بنا يا ابن الأخ الى رسول الله فسار إليه فسألاه عن ذلك فقال : ان الله جعل ابا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له تفلحوا واطيعوه ترشدوا ، وانه قال يوماً لجبرائيل وقد مر بهما ابو بكر ، اتعرفه يا جبرائيل ، قال نعم : انه لفي السماء اشهر منه في الارض ، فإن الملائكة لتسميه حليم قريش، وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك[1] الى غير ذلك من عشرات الاحاديث التي وضعها معاوية وانصاره في بداية ذلك العهد، حتى لا تكون الفضائل وقفاً على علي وحده. هذه الاحاديث وغيرها من موضوعات ذلك العصر كما ذكرنا .

قال احمد امين في فجر الاسلام : وتلمح احاديث كثيرة لا تكاد تشك

---

(١) انظر اللآلىء المصنوعة ج ٢ ص ٢٩٤ .

وانت تقرؤها انها وضعت لتأييد الأمويين ، واضاف الى ذلك : ان ابن عرفة قال : ان اكثر الأحاديث المروية في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني امية تقرباً إليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بني هاشم، ومضى يقول: ويتصل بهذا النحو احاديث وضعها الوضاعون في تفضيل القبائل العربية ، ذلك ان هذه القبائل كانت تتنازع الرياسة والفخر والشرف فوجدوا في الاحاديث باباً يدخلون منه الى المفاخرة كالذي وجدوه في الشعر ، فكم من الاحاديث وضعت في فضل قريش والانصار وغيرهم ، واحاديث وضعت في تفضيل العرب على العجم والروم فقابلها الموالي بوضع احاديث في فضل العجم وغيرهم من العناصر الاخرى ، وقد اشتد هذا النوع من الصراع في العصر الاموي حيث كان الامويون يعملون على احياء مظاهر الجاهلية بجميع اشكالها وتذويب الروح الإسلامية التي لم تفاضل بين جنس وجنس ، ولا لون ولون إلا بالأعمال الصالحات التي تعود بالنفع على الأفراد والجماعات .

وبلغ من احتقارهم للموالي واستغلالهم للكسب والربح ، ان الكثير من اعيان الصحابة والمسلمين كانوا يملكون مئات العبيد عن طريق الشراء والأسر ويستعملونهم كما يستعملون بقية ممتلكاتهم من الحيوانات التي تدر عليهم الربح، فيفرضون عليهم مقداراً معيناً في كل يوم، وعليهم ان يعملوا بما يملكون من صنعة او عمل لتوفير تلك الضريبة لأسيادهم وإلا يتعرضون لأسوأ المعاملات والعقوبات ، ومن اجل ذلك كانوا يكدحون ليلاً ونهاراً ليضيفوا الى ثروات اسيادهم دخلاً جديداً في كل يوم .

وجاء عن الزبير بن العوام وغيره من اثرياء المسلمين انهم كانوا يملكون نحواً من الف من العبيد والموالي ويستعملونهم للربح كما يستعملون قطعان الغنم والابل، وقد شجع الأمويون هذا الاسلوب من الاستغلال والاذلال ، وكان شعارهم (السواد بستان قريش) يعنون بذلك ان ما عدا القرشيين من الموالي والعبيد وسائر الناس يجب ان يستغلوا لخدمة اسيادهم القرشيين الحاكمين وغيرهم ،

وحاول الحكام وغيرهم ان يبرروا سوء معاملتهم للموالي وغيرهم فوضعوا احاديث في تفضيل العرب على غيرهم من سائر الناس ، كما وضعوا احاديث في فضل قريش على غيرها ، فقد روى زياد بن عاصم القطان عن ابي هريرة ان الرسول (ص) كان يقول : ابغض الكلام الى الله تعالى الفارسية وكلام الشياطين بالخزرية، وان كلام اهل الجنة بالعربية وانه قال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله من وحي قط على نبي إلا بالعربية، الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التي تشير الى تفضيل العرب على غيرهم، كما نسبوا إليه انه قال: لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان ، وانه قال : لا يعاديهم احد إلا اكبه الله على وجهه في النار، كما جاء في رواية البخاري، وانه قال : احبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي ، وانه كان يقول : لا خير في الحبش إذا جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا ، وانه قال لعمه العباس يحذره من العبيد والموالي : يا عم لا تكرمهم فإنهم إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا فسقوا، وجاء عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله (ص) يقول : النبط قتلة الانبياء واعوان الظلمة، وانه قال : لو علم الله في الخصيان خيراً لأخرج من اصلابهم ذرية يعبدون الله ولكنه علم انه لا خير فيهم ، وان النبي (ص) قال : دعوا الحبشة ما دعوكم واتركوا الترك ما تركوكم . الى كثير من امثال هذه الموضوعات مع العلم بأن اكثر الفقهاء والمحدثين كانوا في عصر التابعين من الموالي ، واشتهر منهم جماعة واتجهت الانظار إليهم كعكرمة مولى عبد الله بن العباس وعطاء بن يسار وزيد بن مسلم ، ومولى سعيد بن المسيب، ونافع مولى عبدالله بن عمر، وعمر بن دينار المعروف بين فقهاء المكيين ، وعطاء بن ابي رباح ومحمد بن سيرين ، واسلم مولى عمر بن الخطاب ، ومجاهد ، وعطاء بن عبد الله الخرساني ، والحسن بن يسار ، فقيه البصرة، وسعيد بن جبير فقيه الكوفة، ويزيد بن حبيب، وكان بربري الأصل

وعنه أخذ الليث بن سعد وغيره ، الى كثير من الفقهاء الذين كانوا المرجع في الفقه والحديث في مختلف العواصم ودور العلم .

هؤلاء كانوا يحاولون بكثرة مروياتهم ان يوجهوا الانظار إليهم ويرفعوا من شأن الموالي .

وتؤكد النصوص التاريخية أنهم قد وضعوا بين المرويات التي أخذوها عن أسيادهم أعداداً كبيرة نسبوها إليهم ، واشتهر بين هؤلاء عكرمة مولى عبد الله بن العباس وحينما ضج النـاس من كذبه حبسه مولاه علي بن عبد الله في الكنيف ، وقال سعيد بن المسيب لمولاه ، اياك ان تكذب علي كما كذب عكرمة على عبد الله بن العبـاس ، هذا بالإضافة إلى أنه كان الداعيـة الأول لفكرة الخوارج في المغرب كما تؤكد ذلك النصوص الموثوقة .

وممن اشتهر بالكذب من هؤلاء ابن جريج الرومي المتوفى سنة ١٥٠ وكان متهما بين المحدثين بالكذب ووضع الأحاديث كما جاء ذلك عن البخاري والذهبي في تذكرة الحفاظ ، وساعد هؤلاء الموالي على الاكثار من الرواية ووضع الاحاديث ان اسيادهم كانوا من اعـلام الفقه والحديث ، ولم يكن التدوين شائعاً في ذلك العصر كما يجب ، بل كان أكثر العلماء لا يستسيغه كما ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب ، فأخذوا عنهم اكثر مروياتهم وأضافوا إليها ما شاء لهم الهوى والغرض ، ولما جاء دور التدوين لم يكن الذين نشطوا الى هـذه المهمة على مستوى المسؤولية والاخلاص لخدمة السنة وتصفيتها مما علق بها من موضوعات الامويين والموالي ومفتريات العناصر الاخرى ، بل كان بـين اولئك الذين تطوعوا للتدوين وجمعه من الحفاظ والفقهاء والقصاصين جماعة لم يثبتوا في وجه الطعون والاتهامات الموجهـة إليهم كابن شهاب المعروف بالزهري وابي بكر ابن حزم ، وعطـاء بن رباح ، والاعرج عبد الرحمن بن هرمز ، وسـليمان بن يسار ، وكان الزهري ، ومحمد بن عمرو بن حزم من اقرب العلماء الى الامويين

اما الزهري محمد بن مسلم فقد كان داعية للأمويين ولاه يزيد بن عبد الملك القضاء،واختاره هشام بن عبد الملك معلما ومؤدباً لأولاده،وأنهى حياته وهو الى جانب الامويين ومن أفضل المقربين عندهم،ومن غير المعقول ان يقرب الحكام إليهم من لا يقر ظلمهم وفسادهم في الارض وبخاصة جبابرة الامويين الذين لم يكن يعنيهم شيء أكثر من احياء مظاهر الجاهلية الأولى بكل مظاهرها وأشكالها كما تؤكد ذلك أكثر النصوص .

وجاء في المصادر الموثوقة : ان عبد الملك بن مروان قد استعان بالزهري لما ضج المسلمون من منعهم عن الحج الى بيت الله الحرام عندما كانت الحجاز تحت سيطرة عبد الله بن الزبير ، فوضع له الزهري الحديث المعروف :

لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس ، ونسبه الى الرسول ﷺ .

وروى له ان الرسول ﷺ قال : الصلاة في المسجد الاقصى تعدل الف صلاة في غيره،الى غير ذلك من الاحاديث التي رواها في بيت المقدس ليكون في مرتبة مسجد النبي وبيت الله الحرام ، وكان عبد الملك يحاول من وراء ذلك أن يحمل الناس الى الحج اليه بدلاً من مكة المكرمة ، وسواء صح عنه ذلك أم لم يصح فصلته الاكيدة بالامويين لم يستطع احد من أنصاره أن يتهرب منها ، وتكفي وحدها لأن تضعه في صفوف المتهمين والمشبوهين .

وروى الخطيب البغدادي عن عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد تلميذ الزهري ان الوليد بن ابراهيم الأموي جاء إلى الزهري بصحيفة وضعها أمامه وطلب اليه أن يأذن بنشر أحاديث منها على أنه سمعها منه ، فأجازه الزهري على ذلك من غير تردد كثير ، وقال له من يستطيع أن يخبرك بها غيري .

وحدث معمر بن راشد عنه أنه قال : لقد أكرهنا هؤلاء الأمراء على أن

نكتب احاديث ، وهذا الحديث يشكل اعترافا من الزهري بأن الحكام كانوا يسخرون فريقاً من البارزين بين المسلمين لهذه الاغراض ولو بالاكراه والاغراء والحديث كان يسعفهم في تحقيق أغراضهم كما تسعفهم القوة والقسوة .

وأما ابو بكر بن حزم فكان من اتباعهم المقربين ، وقد انتدبه عمر بن عبد العزيز لكتابة أحاديث أهل المدينة وفرض عليه أن يستعين بعمرة بنت عبد الرحمن وكان يوم ذاك والياً على المدينة ، والمدينة مصدر الحديث بطبيعة مركزها السياسي والديني ، ولأن المحدثين في مختلف البلاد الاسلامية قد أخذوا عنها ونسبوا كل ما جمعوه ودونوه الى صحابة الرسول ﷺ ، وكان حريصاً على تدوين مرويات خالته عمرة بنت عبد الرحمن التي نشأت في حجر عائشة وأخذت عنها حتى اصبحت الراوية الأولى لها بعد ابن اختها عروة بن الزبير الذي نسب اكثر مروياته وموضوعاته إليها ، وبالفعل فلقد باشر ابن حزم بتنفيذ أمر الخليفة الصالح فجمع آلاف الاحاديث التي كان يحدث بها الرواة والقصاصون في المدينة من غير تحقيق في أسانيدها ولا دراسة لمتونها،ولم يكن بوسعه يوم ذاك ان يفعل أكثر من ذلك لان المرويات كلها عن طريق الصحابة،والمحدثون قد اسندوا كل ما عندهم إليهم وكانت احاديث أبي هريرة وكعب الاحبار وغيرهم ممن سخرهم معاوية ليضعوا له الحديث فيفضائل الخلفاء والامويين وفي الطعن على علي وبنيه قد شاعت بين أهل المدينة وانتشرت بين أحاديث الرسول ، وكان ابن حزم نفسه ممن ساهم في وضع الاحاديث وساعد على ذلك بطبيعة مركزه السياسي الذي يفرض عليه ان يتجاوب مع الحاكمين قبلأن يأتي عمر بن عبد العزيز الى الحكم،وبلا شك فإن عمر بن عبد العزيز كان بريئاً يحاول الحد من فوضى المحدثين التي طغت على السنة وغيرت معالمها ، ومن غير البعيد أن تكون غايته اصلاح ما افسده أسلافه ، كما حاول ان يصلح ما افسدوه في سياستهم وادارتهم لامور الرعية،

ولكن القدر قد عاجله قبل ان تصل اليـــه تلك المجاميع التي دونها ابن حزم وغيره [1] .

وقد دافع الخطيب والسباعي في كتابيها « السنة قبل التدوين » و « السنة ومكانتها من التشريـع » عن الزهري بحماس وحرارة وحاولا وضعه في مرتبة القديسين ، في حين أنهما يعترفان بصلته الاكيدة بالامويين وارتباطه الوثيق بخمسة من خلفائهم كانوا يغدقون عليه العطاء ، وكان هو بدوره يبذل بسخاء ويمد للناس على الطرقات موائد الثريد والعسل،واضاف السباعي الى ذلك أنه مر يوماً بماء من مياه العرب فشكا اليه أهل الماء أن عندهم ثماني عشرة عجوزاً ليس لهن من يخدمهن ، ولم يكن يملك يوم ذاك درهما واحداً ، فاستلف ثمانية عشر ألفـا واخدم كل واحدة منهن جارية ، وكانت له رحلات تعليميـة الى الاعراب يعلمهم ويفقههم ، فاذا كان في الشتاء أطعمهم عسـلا وزبدا ، واذا كان ذلك في الصيف أطعمهم عسلا وسمناً، فاذا تراكمت عليه الديون مرة بعد أخرى قضاها عنه الخلفاء ، الى غير ذلك من الامثـلة الكثيرة التي اوردها السباعي على افراطه في العطاء وتبذيره الاموال ، وفي الوقت ذاته يقـول السباعي:بأن والده كان فقيراً لا يملك شيئاً، وهو إلى جانب عبدالله بن الزبير في حروبه مع الامويين وتركه شاباً حدثا لا مال له ولا متاع ، فنشـأ يتيما يستعين على قوته بأخ له كان أكبر منه سناً ، وبعد أن بزغ نجمه واشتهر بين أعلام عصره التجأ الى الامويين وبقي معهم الى ان وافته منيته في ضيعة له تدعى ادامى من قرى الحجاز على الحدود المتاخمة لفلسطين [2] .

ومن رجع الى تاريخ الامويين وسوء صنيعهم مع من كانوا يشعرون منه عدم الرضا عن تصرفاتهم فضلا عن معارضتهم ، ومواقفهم المخزية مع الرعيـة

---

(١) كما نص على ذلك في قواعد التحديث ص ٤٧ .

(٢) انظر السنة للسباعي ص ٣٨٧ و ٣٨٨ .

واستغلال ثروات الشعوب وتبذيرها على شهواتهم وأهوائهم ينتهي حتما إلى ان الزهري لم يكن يعتمد على خزينة الدولة الاموية في اسرافه ولم يضعوها تحت تصرفه لينفق منها ما يشاء بدون قيد أوشرط ويضع موائد السمن والعسل لجميع الناس إلا بعد أن مشى في ركابهم واستغلوه باسم الدين والاسلام لصالحهم، واصبح اسير عطائهم وهباتهم .

لقد اعدوا له مقصورة في قصورهم يعلم فيها الحديث والدين إلى جانب مقاصير البغايا والجواري والراقصات وحوانيت الخمر ليضعوا هذه مقابل هذه، واغدقوا عليه في العطاء أكثر من سواه لأنه مستعد أكثر من غيره لان يروي لهم عن الرسول ما يشاؤون مما يرفع من شأنهم ويضع من شأن علي وبنيه الهداة الكرام ، وقربوه إليهم وابعدوا غيره من العلماء لأن غيره لم يسمح له دينه أن يروي لهم عن الرسول أن الحج إلى بيت المقدس يغنيهم عن الحج إلى بيت الله الحرام ، والصلاة في بيت المقدس أفضل من الصلاة في مسجد الرسول والبيت الحرام .

لقد اسرف الزهري في الحديث الذي يؤيد عروش الأمويين فأسرفوا في عطائه ، واقرهم على ظلمهم وسوء صنيعهم مع الرعية واستهتارهم بالقيم والمقدسات فأقروا تبذيره وتبديد الاموال واقتناء الضياع، ان الحاكم كالتاجر الجشع المحتكر الذي يبحث عن الربح من أي مصدر كان،ولا يضع في حسابه مدى ما تحدثه أرباحه بالمستهلكين من اضرار ونكبات، ولا يدخل في حدود التصور أن يقضي هشام بن عبد الملك ديون الزهري وقد بلغت ألف ألف كما جاء في رواية ابن عساكر عن الشافعي من غير ان يدر عليه هذا العطاء السخي ربحا أسخى من عطائه، وهو المعروف بالشح والبخل بين خلفاء هذه الاسرة.

والقائل لعامله على مصر في جواب كتاب كتبه اليه يستجديه العفو والعطف على الشعب المصري الذي نكب اقتصادياً نتيجة لانقطاع الامطار

وضعف الانتاج: « احلب الدر فاذا جف فاحلب الدم »، ويحق لكل انسان أن يسأل هؤلاء الذين يدافعون عن الزهري بصلابة وحرارة ويبرئون، الامويين من استغلال المقربين إليهم من العلماء لماذا قربوا إليهم الزهري وأغدقوا عليه العطاء وأبعدوا بقية اعلام ذلك العصر كسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأمثالهما من العلماء ونكلوا بجماعة منهم حتى مات سعيد بن المسيب من سياطهم .

ويدعي السباعي وغيره أن هشاماً شتم الزهري وأمره بالرحيل عنه لانه أبى أن يروي له أن الآية : « **والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** » ، أنزلت في علي عليه السلام فقد جاء في الصفحة ٣٩٦ عن ابن عساكر ، أن هشاماً سأل سليمان بن يسار أحد فقهاء الموالي عما تعنيه الآية ، فقال له سليمان : ان المعني بها هو عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال له هشام : كذبت هو علي ابن ابي طالب ، فأقره ابن يسار على ذلك ، ووجه نفس السؤال الى الزهري، وأجابه بنفس الجواب، ولكنه بقي صامداً مصراً على رأيه بالرغم من التهديد والوعيد الذي لقيه من هشام بن عبد الملك وأخيرا أمره بالرحيل عنه كما يدعي السباعي ، ولكنه يعود فيؤكد بانه بقي معهم الى آخر نفس من حياته ووفى عنه من ديونه البالغة ألفي ألف ، وفى عنه منها الف الف ، وبقي من اقرب المقربين بهم طيلة حياته ، ومع ذلك فهو من الزهاد والصلحاء وصلته بهم ليست صلة ضعيف بقوي ولا مخدوع بخادع ، بل صلة واثق بدينه معتز بعلمه يغضب ويثور اذا حرفت حقيقة من حقائق التاريخ والمحرف الحاكم عن الحق الى الباطل ومن الهدى الى الضلال ـ كما يدعي السباعي ـ مع العلم بان تاريخ الامويين حافل بالشواهد والأدلة على أنهم قد نكلوا وشردوا كل معتز بعلمه ودينه وكل من يعارض سياستهم واسلوبهم في الحكم .

وجاء في ضحى الاسلام عن بعض الحكام أنه قال: ان الملوك يتحملون كل شيء إلا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك ومعارضة الحاكم.

ومهما كان الحال فاذا جاز على الزهري أن يكون من الطراز الممتاز في تاريخ الانسانية كما يزعم السباعي ، فلا يجوز عليه أن يكون محظياً بعطفهم وعطائهم وقربهم إلى الحد الذي يصوره انصاره ومحبوه ، لأن اتباع الحاكمين لا يبلغون هذه المرتبة إلا إذا كانوا في منتهى الطاعة والاستسلام ، ينفذون رغباتهم كما يريدون ، ويروون لهم عن الرسول ﷺ أنه قال : إن الله اذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات كما اراد الوليد بن عبد الملك من الزهري ان يروي له ويشيع بين الناس ، ويروي لهم ان الآية : « **والذي تولى كبره له عذاب عظيم** » نزلت في علي بن أبي طالب كما فعل سليمان بن يسار ، عندما قال له الوليد لقد كذبت : انها نزلت في علي بن ابي طالب ، فقال له صدقت يا أمير المؤمنين وأنت أعلم بما تقول ! أما إذا خالفهم وانكر عليهم جورهم واستئثارهم، فمن غير المعقول ان يحظى بقربهم وعطائهم السخي الذي كان يحظى به الزهري وأمثاله من العملاء المدللين عند حكام العباسيين والامويين الذين رووا للامويين أن الرسول قال : طوبى للشام ، فقال له الراوي ولمَ ذلك يارسول الله ، فقال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها ، وأنه قال لمن طلب منه أن يختار له بلداً يسكنه ، عليك بالشام فأرضها خيرة الله في ارضه يجتبي إليها خيرته من عباده ، وروى لهم الزهري عن الرسول أنه قال : إن الله سبحانه نقل قرية من قرى الشام الى الطائف لتنبت لهم الفواكه فالطائف من أرض الشام .

ورووا لهم بسند يتصل بسالم مولى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إن الشيطان أتى العراق فباض فيهم وأفرخ ، ثم أتى مصر فبسط عبقريه وجلس ، ثم أتى الشام فطردوه . وجاء في رواية ثانية عنه أن ابليس دخل العراق فقضى حاجته فيها، ودخل الشام فطردوه حتى بلغ ميسا، ومنها ذهب

الى مصر فباض فيهـــا وفرخ وبسط عبقريه ، وجميع الروايات التي تصف الرحلات التي كان يقوم بها ابليـس على كثرتها تؤكد أنه لم يجد في الشـــام وبلادها ملجأ ، وأكثر البلاد حفاوة به كانت العراق ومصر [1].

كما رووا عن النبي ﷺ أنه قال : ان الشام معدن الاسلام ، وأنه قال في حديث رواه مجاهد عن ابن عباس : ان الله تكفل لي بالشام وأهله ، وكان يؤكد على المسـلمين بأن يهاجروا الى بلاد الشام وبخاصة منطقة عسقلان لأنها ستكون في خير وعافية عندما تدور الرحى على حد تعبير الراوي .

وجاء عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : اربع مدائن في الدنيا من الجنة مكة والمدينة وبيت المقـــدس ودمشق ، واربع مدائن من النار روميه والقسطنطينية وانطاكية وصنعاء ، وقد اكثروا من الرواية في فضل بلاد الشام ومدنها وبخاصة عسقلان فقـد رووا عن النبي في فضلها عشرات الاحاديث ، وجاء في بعضها ان اهل مقبرة عسقلان يزفون الى الجنة كما تزف العروس الى زوجها ، وانه يحشر منها سبعون ألفا يشفع كل واحد منهم الى مثل ربيعة ومضر [2] :

وأكثر هذه المرويات عن الزهري وسليمان بن يسار ومجاهد وسالم مولى ابن عمر وغيرهم .

وكما صنع الامويون صنع العباسيون حينما جاءوا الى الحكم ، فلقد وضعوا هم واتباعهم من المرتزقة مئات الاحاديث في مختلف المواضيع بما في ذلك فضل البلدان،ومن بين تلك المرويات احاديث تشيد بفضل خراسان ومدنها

---

(١) ويبدو من ذلك ان مصرا يوم ذاك كانت ناقمة على سياسة الامويين، ومن الجائز ان تكون ميول المصريين يوم ذاك الى العلويين اكثر من ميولهم الى الامويين .

(٢) انظر ص ٤٦٠ من اللآليء المصنوعة وما بعدها .

ومناطقها ، ويغلب على الظن انها من موضوعات العهد العباسي حيث انطلقت الثورة ضد الامويين من خراسان ومناطقها بقيادة ابي مسلم الخراساني واختارها المأمون بعد ذلك مقراً له ، هذا بالاضافة الى ان الغزو الفارسي قد اتسع في جسم الدولة العباسية وتغلب الغزاة على اكثر المراكز الحساسة فيها واصبحت العواصم العربية تعج بالفرس الوافدين إليها من خراسان وجهاتها وبقية المدن والمقاطعات الايرانية .

فقد رووا عن علي عليه السلام حديثاً طويلاً جاء فيه ان بخراسان مدينة يقال لها مرو أسسها ذو القرنين وصلى فيها عزير، انهارها سياحة وارضها فياحة على كل باب من ابوابها ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها الآفات الى يوم القيامة ، ويمضي الراوي في حديثه عن مدن خراسان الى ان يقول : وان لله بخراسان مدينة يقال لها الشاش القائم فيها والنائم كالمتشحط بدمه في سبيل الله ، وان لله بخراسان لمدينة يقال لها بخارى ، وان رجال بخارى آمنون من الصرخة عند الهول اذا فزعوا، مستبشرين اذا حزنوا فطوبى لبخارى يطلع الله عليهم في كل ليلة اطلاعة فيغفر لمن شاء منهم ويتوب على من تاب منهم ، ويستمر الراوي يعدد مدن خراسان ومناطقها فيذكر منها طوس وخوارزم وجرجان وقومس وسمرقند وغيرها ويذكر ما اعده الله من الكرامات لكل واحدة منها كما رووا احاديث عن الرسول في فضل قزوين وجرجان وبغداد والبصرة وغيرها [1] .

وذكر السيوطي في كتابه الخلفاء فصلا بعنوان الاحاديث المنذرة بخلافة بني امية يشتمل على مجموعة من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله تنـــدد بالامويين وحكامهم ، وبعده فصلا بعنوان الاحاديث المبشرة بخلافة بني العباس يشتمل على الاحاديث التي ترفع من شأن العباسيين وتبارك في عهدهم وحكمهم .

---

(١) انظر ص ٤٦٧ وما بعدها من المصدر السابق .

وبلا شك ان هذا النوع من الأحاديث من موضوعات العهد العباسي الذي استغل فيه الحكام المحدثين والادباء لمدحهم وتفضيلهم على من سواهم ، وكان الأدب والحديث من افضل ما يتقرب به المرتزقة من الحكام في ذلك العصر .

وحكى الصولي ان احد اتباع العباسيين عاتب البرامكة في اغداقهم على الشعراء وحرمانه فقال له الفضل : ان سلكت مذهب مروان بن حفصة في ذم العلويين اوصلك شعرك الى ما تريد ، فقـــال : والله لا استحل ذلك ، فأجابه الفضل بقوله: كلنا يفعل ما لا يحل له فلك بنا وبسائر الناس أسوة ، فنظم القصيدة المشهورة التي يقول فيها :

اعم نـــبي الله اقــرب زلفـــة	اليه ام ابن العم في رتبة النسب
وايهـــما اولى بـــه وبعهـــده	ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عبــاس احق بتلكمُ	وكان علي بعــد ذاك على سبب
وابنـــاء عباس هـــو يرثونه	كما العم لابن العم للارث قد حجب

ولما انشدها الرشيد اجازه عليها بعشرين ألفا .

وروى لهم المحدثون فيما رووه في فضائلهم وكرامتهم ان رسول الله ﷺ قال للعباس: اذا كان غداة الاثنين فائتني وولدك حتى ادعو لك دعوة ينفعك الله بها وولدك قال: فغدونا اليـــه فألبسنا كساء ثم قال : اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ، اللهم احفظه في ولده . كما رووا لهم انه قال : الخلافة في ولد عمي حتى يسلموها الى المسيح ، وانه بشره في رواية ثالثة بأربعين خليفة من ولده وسمى له بعضهم باسمه .

كما رووا لهم احاديث تشير الى ان المهدي الذي اخـبر عنه النبي ﷺ هو من ولد العباس ،وقد لقب المنصور ولده محمد بالمهدي لهذه الغاية، وجاء في رواية الاغاني ان المنصور حينما اراد ان يأخذ البيعة لولده المهدي من بعده كان

ولده جعفر يعترض عليه في ذلك فامر باحضار الناس وقام الخطباء والشعراء فتكلموا واكثروا من ذكر فضائله وفيهم مطيع بن اياس،فقال مطيع : حدثنا فلان عن فلان ان النبي ﷺ قال : المهدي منا محمد بن عبد الله وامه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، فقال رجل من الحضور اسمه العباس : نعم لقد سمعت هذا ، الى غير ذلك مما يعسر علينا إحصاؤه[1] .

ويجب ان لا يفوتنا ونحن نتحدث عن الموضوعات واسبابها ذلك الصراع الحاد الذي ظهرت بوادره في النصف الثاني من القرن الأول بعد ان اختلط العرب بغيرهم من الامم التي انضمت الى الاسلام وحملت معها من تعاليمها وثقافتها ما لم يعرفه المسلمون ولم يدخل بين تعاليمهم،وكان من نتائج هذا الاختلاط ان ظهر الخلاف بين المسلمين انفسهم وتباينت آراؤهم في كثير من المسائل التي تتصل بالعقائد،وأصبح لكل رأي انصار واتباع،فظهرت فكرة الارجاء من قصور الخلفاء واصبحت ديناً لهم كما تؤيد ذلك رواية ابن عساكر عن النضر ابن شميل وجاء فيها ان النضر قال:دخلت على المأمون ، فقال كيف اصبحت يا نضر فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال: ما الارجاء؟فقلت:دين الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم، وقد اتخذوه ديناً لهم في مقابل الاحكام القاسية التي نادى بها الخوارج وتعصبوا لها محاولين بذلك ان يجعلوا لثورتهم الصبغة الدينية ليربحوا عطف العامة وتأييد الخاصة من اتقياء الناس وعلمائهم الذي راعهم استهتار الامويين بالمقدسات وتعاليم الاسلام فأدانوا حكام الامويين بالكفر من خلال تكفيرهم لمرتكبي الكبائر ، مما اضطر الحكام ان يحتفظوا بصفة الايمان بواسطة الموالين لهم الذين قالوا: ان الذنب مهما كان نوعه وخطره

---

(١) انظر ص ١٢٥ و ١٢٦ من ضحى الاسلام الجزء الثاني وص ٢٤٠ و ٢٤١ جزء ٣ .

لا يخرج الانسان عن كونه مؤمناً مسلماً ، وكان شعارهم لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، واذا استرعى الله عبداً أمر الامة كتب عليه الطاعات ولم يكتب عليه المعاصي،ونسبوا ذلك الى الرسول ﷺ ، ومن بين هاتين النزعتين ظهرت فكرة الاعتزال،وكانت في بدايتها فكرة تمثل الاعتدال بالنسبة إلى غلو الخوارج في التشديد على العصاة ، وافراط المرجئة في التسامح معهم إلى أبعد الحدود .

واستمر الاعتزال يتسع بعد ان كان محدودا حتى تدخل في امور الدين كلها ، وحكم العقل فيما لا نص فيه،وتأول النصوص التي لا يستسيغ العقل ظواهرها ومحتوياتها ، وكان من الطبيعي على أصحاب هذه النزعة ان يقفوا من الحديث موقف الحذر الناقد ، ويبحثوا عن عيوبه من الداخل والخارج،واتسع الخلاف بينهم وبين المحدثين الى ان بلغ حدود التكفير والتفسيق ، وظهر الانقسام بين المسلمين فيمختلف العواصم والبلاد وكان صوت المعتزلة يرتفع عالياً في اغلب الاحيان وبخاصة عندما يجدون من يساندهم ويتبنى آراءهم من الحكام ، ويخفت حيناً آخر عندما يقف الحكام الى جانب الفريق الثاني ، كما حدث ذلك بالفعل حينما تبناهم المأمون والمعتصم وخذلهم المتوكل ومن جاء من بعده ، وكان بين الفريقين من لا يتورع عن وضع الاحاديث التي تؤيد رأيه وتسيء الى اخصامه .

وإلى جانب هذه الاتجاهات ظهر اتجاهان آخران في عصر مبكر من تاريخ الاسلام أثارا جدلا حاداً بين المسلمين وتطور الصراع فيهما وامتد عبر القرون الطوال،وساهم فيه العلماء والمحدثون والمعتزلة وغيرهم من جميع الفرق والاحزاب ، هذان الاتجاهان كانا من ابرز الخلافات في العقائد واكثرها تعقيدا وغموضاً ، وهما القدر بمعنى الاختيار ، والجبر الذي يعود الىأن جميع الافعال مردها إلى الارادة الألهية التي لا يملك معها الانسان من امره شيئاً .

وبالاضافة إلى هذا النوع من الخلاف في العقائد والاصول ظهر نوع آخر من الخلاف أدى الى انقسام الفقهاء على انفسهم ، وبرز هذا الخلاف بشكل اكثر وضوحاً وتصلباً بين الحجازيين الذين اعتمدوا الحديث في احكام جميع الحوادث حتى الذي تجدد منها بعد التطور الذي طرأ على حياتهم ، وبين العراقيين الذين كانوا بطبيعة مركزهم الجغرافي على صلة وثيقة بالامم المتحضرة، وتضاعف هذا الاتصال بعد الفتح الاسلامي لتلك الاقطار المجاورة لهم فطرأ تبدل ملموس في حياتهم واوضاعهم مما اضطرهم الى البحث والتفتيش عن حلول جديدة لاكثر المشاكل والحوادث التي لم يعرف المسلمون نظيراً لها من قبل في حين ان الحديث كان مصدره الحجاز ، والحجاز كانت دار الضرب على حد تعبير بعضهم ، وأول بلد ظهر فيه الكذب في الحديث كما ذكرنا من قبل .

وجاء عن أبي حنيفة أنه لم يصح عنده من احاديث الحجازيين اكثر من سبعة عشر حديثاً ، وسواء صح عنه ذلك أم لم يصح فمما لا شك فيه ان الكذب في الحديث قد شاع بين الحجازيين منذ عصر الصحابة ، ولم يعد حديثهم محلا للوثوق والاطمئنان مما دعا فقهاء الانصار إلى الانكماش عنه وعدم الاطمئنان اليه،والبحث عن احكام تلك الحوادث عن غير طريق تلك المرويات فاعتمدوا على العقل في استخراج العلل والمصالح واعطوا لكل حادثة حكماً يناسبها ، وبلغت الخصومة اشدها بين هذين الفريقين،ولم يعد احدهما يطمئن لمرويات الآخر واحكامه التي يستخرجها ويتهمه بالكذب على الرسول ﷺ .

وقد صور ابن قتيبة في كتابه « تأويل مختلف الحديث » موقف الفرق والاحزاب والفقهاء من الحديث بعد ان استعرض الفرق والأحزاب ونزعات الفقهاء والمحدثين فقال : ان كل طائفة من هذه الطوائف المختلفة في المبادىء التي تعتمد عليها قد روت الاحاديث المختلفة التي تؤيد مذهبها واتجاهها .

وتعلق كل فريق منهم لتـأييد مذهبه بأحاديث مختلفة تزيد من شـكوك المرتابين وتفسح لأهل الاطماع والاهواء ان يستعملوه في سبيـل مصالحهم كما يشاؤون ، وبلغ بهم الاسفاف ان يضعوا الحديث في تفضيل المرض على الصحة والغنى على الفقر والقلق والخوف على الراحـــة والاطمئنان ونحو ذلك تسلية لأولئك المنكوبين .

وفي مقابل ذلك وضع انصار الاتجاه الثاني بعض الاحاديث في مقابلها ، كما وضع القصاصون والمحدثون عدداً من المرويات في تفضيل بعض الحيوانات كالفرس والابل والاتان والانعام ، وذم بعض الحشرات والنباتات والبقـــاع والجبـال ونحو ذلك ، فرووا أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق الخيل أوصى الى ريح الجنوب أني خالق منك خلقاً فاجتمعي ، فاجتمعت فامر جـبريل فأخذ منها قبضة فخلق منها فرساً كميتا وقال له: قد خلقتك فرساً وجعلتك عربياً وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم. في حديث طويل جاء فيه ان الفرس أفضل من البراق وغيره من المخلوقات [1] .

كما رووا في فضل غيرها من الحيوانات والأنعام والنباتات بعض الاحاديث تفضلها على الخيل وغيرها من المخلوقات [2] . لا يعنينا من الاشارة إليها اكثر من تأييد النص الذي نقلناه عن ابن قتيبة من كتابه تأويل مختلف الحديث.

والواقع ان أخصام أبي حنيفة قد تجنوا عليه كثيراً وألصقوا به ما لم يقله وما ليس فيه ، فهو لم يقف من الحديث موقفاً سلبياً كما يزعمون ، كما وانه

---

(١) ويبدو ان واضع هذا اللون من الاحاديث كان يتاجر بالخيل ويقتنيها.

(٢) انظر نهاية الارب لاحمد بن عبد الوهاب النويري .

لم يكن ايجابياً مع الحديث يأخذ به مهما كان لونه كما كان يصنع بعض معاصريه من الحجازيين ، لقد ادرك ما تعرض إليه حديث الرسول ﷺ وما ألصق به زوراً وافتراء ، فاضطر في كثير من الأحيان إلى استنباط العلل وقياس غير المنصوص على المنصوص، فاتهموه بالاستهتار بسنة الرسول وانه يأخذ بالقياس حتى مع وجود الرواية ، واحصوا عليه أنه افتى بنحو من مائتي مسألة خالف فيها سنة الرسول، وادعى ابن عبد البر في الانتقاء ان محمد بن اسماعيل البخاري قد جرحه وعـــده مع الضعفاء والمتروكين ، وأضاف إلى ذلك ان الشيخين البخاري ومسلما لم يرويا عنه حتى ولا رواية واحدة .

وقال الاستاذ احمد امين في كتابه فجر الاسلام : ان النزاع بين المدرستين مدرسة الرأي والحديث كان على أشـــده ، ووجه كل فريق قوارص اللـوم للآخرين ، ووضعت الأحاديث لتأييد كل مدرسة منهما، واشتدت العصبية الى حد أنه إذا نسبت مدرسة الحـــديث رواية الى الرسول ﷺ نسبت اليـه مدرسة الرأي رواية تعاكسها ، فقد روى عنه اهل الحديث أنه قال : يوشك رجل منكم متكئاً على أريكة يحدث عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، الا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله .

وروى أهل الرأي في مقابل هذا الحديث ان رسول الله ﷺ قال : ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وكيف اخالف كتاب الله وبه هداني الله ؟.

هذا ومن الصعب ان تتوفر القناعة للباحث في اسـانيد الروايات ومتونها بكذب هـاتين الروايتين ، وكل ما في الأمر ان انصـــار النزعتين اتخذوهما اساساً لوضع الاحاديث التي تؤيد اتجاهها .

ويجد المتتبع عشرات الاحاديث تؤيد انصار الرأي ، كما يجـد في مقابلها ما يؤيد انصار الحديث وينهى عن العمل بالرأي واستعماله في الحلال والحرام وقد تخطى الوضاع هــذه الناحية الى وضع احاديث تبشر بأبي حنيفة قبل مولده بعشرات السنين وتنوه باسلوبه ونزعته التي اتبعها في فقهـه ، واضافوا إلى ذلك ان الرسول نفسه هو الذي وضع نواة القياس وارشد الى الرجوع اليه عند فقدان النصوص في كتبه ورسائله التي كان يزود بها القضاة والمفتين خارج المدينة وفي مقابل ذلك ظهرت طائفة من المرويات على الرسول تحذر من الأخذ بالقياس ومن انصاره والعاملين به،ومن أبي حنيفة بشخصه واسمه، فرووا عن الرسول انه قال : سيكون في أمتي رجل اسمه النعمان اضر عليها من ابليس، وحذرهم منه كما حـذرهم من الابالسة والشياطين. الى كثير من امثال هـذه المرويات التي اتسمت بطابع الحزبية العنيفة للاشخاص والآراء والمذاهب.

وبجمل القول ان الدوافع على الكذب في الحديث لم تقتصـر على الجانب السياسي ولم يـكن الجانب السياسي في يوم من الايام اشد تأثيراً من الجوانب الأخرى،مع العلم بأن الدوافع السياسية كانت اسبق من غيرها إذا استثنينا بعض العناصر التي اندست في صفوف الصحابة وتسترت بهذا الوصف وقامت بدور ملموس في وضع الاحاديث لغـرض التخريب والتشويش كما ذكرنا في الفصول السابقة .

وقـد اوجز القاضي عياض كما جاء في تاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص ٨٢ الحالة التي وصل إليها الحديث في العصر الاموي والدوافع على الكذب فيه بما حاصله:ان الوضاعين على حد تعبيره كانوا اقساما ، فمنهم من كان يضع عليه ما لم يقله ترفعاً واستخفافاً ، كالزنادقة وأشباههم ، ومنه من كان يضع خشية وتديناً كجهلة المتعبدين الذين وضعوا الاحاديث في الفضائل والرغائب ومنهم من كان يضع إغراباً وسمعة وتعصباً كفسقة المحدثين ومتعصبي المذاهب

ومنهم من كان يضع الاحاديث تنفيذاً لرغبـــة الحكام وطلب العذر لهم فيا ارتكبوه من الجرائم والمنكرات، ومنهم من كان يأخذ كلام العرب والصحابة وينسبه الى الرســول لهوى في نفسه ، الى غير ذلك من اصناف الكذابين على الرسول ﷺ .

وبلا شك ان الدوافع التي اجملها القاضي عياض على الكذب في الحديث في العصر الأموي قد تضاعفت وتنوعت في العصور التي تأخرت عنه فقد جـاء دور جماعة من المتشيعين لأهل البيت (ع) الذين ظلوا زمناً طويلاً يسمعون شتم علي على المنابر وفي المساجد والمجتمعات ، ويرون الاحاديث المكذوبة على الرسول في فضل الخلفاء والامويين تفرض حتى على الصبيان الصغار وتدخل في مناهج التعليم في الكتاتيب وفي الحلقات ، هؤلاء عندما دب الضعف في جسم تلك الدولة الجائرة، وظهرت طلائع الحزب المعارض ووجدوا بين ايدي الناس سيلاً من المرويات المكذوبة وبعضها كان يتناول علياً وبنيه بكل أنواع الإساءة ـ لم يتورعوا ان يضعوا بعض الاحاديث في الفضائل وانتقاص الخلفاء ونسبوها إلى الأئمة (ع) في حين أنهم كانوا يعارضون بحزم واصرار كل من يحاول ان يضعهم فوق مستوى الناس ، أو ينتقص أحداً من الخلفاء وصحابة الرسول الأبرار ، وجاء دور الفرق الشيعية في تلك الفترة من تاريخ المسلمين التي تعددت فيها الاحزاب وتضاربت فيهـــا النزعات والاتجاهات حتى بين المحدثين والفقهاء،هذه الفرق التي استعملت الحديث فيا استعملته من الوسائل لتأييد الافكار التي تبنتـــها ونشطت في ترويجها والدعاية لهـا كالكيسانية والزيدية ، والفطحية وغيرها ، وكان من اخطر الدخلاء على التشيع جمـاعة تظاهروا بالولاء لاهل البيت ، واندسوا بين الرواة وأصحاب الأئمة (ع) مدة طويلة من الزمن استطاعوا خلالها ان يتقربوا من الامامين الباقر والصادق

واطمأن إليهم جمع من الرواة، فوضعوا مجموعة كبيرة من الاحاديث ودسوها بين احاديث الأئمة وفي اصول كتب الحديث ، كما تشير الى ذلك بعض الروايات ، وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن مقلاص الاسدي الذي يكنيه الشهرستاني بأبي زينب ، والمقريزي بابن أبي ثور ، والمغيرة بن سعيد، وبزيع بن موسى الحائك ، وبشار الشعيري ، ومعمر بن خيثم، والسري وحمزة اليزيدي وصائد الهندي ، وبيان بن سمعان التميمي ، والحرث الشامي ، وعبد الله بن الحرث وغير هؤلاء ممن لا يسعنا استقصاؤهم ، وكان بشار الشعيري وحمزة اليزيدي ومعمر بن خيثم ، وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد من دعاة الالحاد والغلو ، فلقد ادعى بشار بأن علياً هو الإله ، وقال بالتناسخ ، وجاء عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لمرزام وكان جارا لبشار ، قال له: إذا قدمت الكوفة فقل له : يقول لك جعفر : يا فاسق يا كافر يا مشرك أنا بريء منك قال مرزام : فلما قدمت الكوفة بلغته الرسالة ، فقال بشار : وقد ذكرني سيدي؟ قال نعم ذكرك بهذا ، فقال له جزاك الله خيرا، واما معمر بن خيثم فقد احل جميع المحرمات ، واما حمزة فكان يدعي بأن أبا جعفر يأتيه بالوحي في كل ليلة ، وأما بيان فلقد ادعى النبوة بعد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وأما المغيرة بن سعد فلقد ادعى النبوة وكان اكثرهم اتباعاً لأنه كان يستعمل السحر والشعبذة والأساليب التي تضلل البسطاء والمغفلين .

وجاء عن أبي الحسن الرضا انه قال: كان بيان يكذب على علي بن الحسين فأذاقه الله حر الحديد ، وكان المغيرة يكذب على أبي جعفر الباقر، وكان محمد ابن فرات يكذب على أبي الحسن موسى بن جعفر، وكان ابو الخطاب يكذب على أبي عبد الله الصادق .

وجاء عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ان جعفر بن محمد كان رجلا صالحاً

مسلماً ورعاً فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون يقولون حدثنا جعفر ابن محمد ، ويحدثون بأحاديث منكرة كلها كذب على الامام جعفر بن محمد يستأكلون بها الناس كالمفضل بن عمر وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضاعين ونسبوا اليه انه قال : ان معركة الامام تكفي عن الصلاة والصيام،وان علياً في السحاب يطير مع الريح ، وان الله إله السماء والامام إله الارض ، الى غير ذلك من المقالات [1] .

وتؤكد المرويات الصحيحة عن الامام الصادق عليه‌السلام وغيره من الأئمة ان المغيرة بن سعيد وبياناً وصائد الهندي وعمر النبطي والمفضل وغيرهم من المنحرفين عن التشيع والمندسين في صفوف الشيعة وضعوا بين المرويات عن الأئمة عدداً كبيراً في مختلف المواضيع .

وجاء عن المغيرة أنه قال : وضعت في اخبار جعفر بن محمد اثني عشر الف حديث ، وظل هو واتباعه زمناً طويلاً بين صفوف الشيعة يترددون معهم الى مجلس الأئمة (ع) ولم ينكشف حالهم إلا بعد ان امتلأت اصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم كما تشير الى ذلك رواية يحيى بن عبد الحميد السابقة .

وجاء في الكشي عن الامام الصادق عليه‌السلام انه قال: كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المتسترون بأصحاب أبي يأخذون كتب أصحاب أبي فيدفعونها الى المغيرة فيدس فيها الكفر والزندقة ويسندها الى أبي ثم يدفعها الى اصحابه ليبثوها بين الشيعة ، وبلا شك كان هو واتباعه ينسبون الرواية المدسوسة الى الموثوقين من اصحاب

---

(١) انظر اتقان المقال ص ٣٦٨ .

الأئمة حتى لا ينكشفوا على واقعهم، هذا بالاضافة الى فريق آخر من الوضاعين كانوا يضعون الاحاديث التي تنفر الناس منهم ، كما يرشد الى ذلك قول الامام الباقر عليه السلام لقد رووا عنا ما لم نقله ولم نفعله ليبغضونا الى الناس .

وجاء في رواية الصدوق عن الرضا عليه السلام ان ابراهيم بن أبي محمود قال له : يا بن رسول الله ، ان عندنا اخباراً في فضائل امير المؤمنين وفضائلكم اهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم افندين بها ؟ فقال الامام الرضا عليه السلام : يا بن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام : أحدها الغلو ، وثانيها التقصير في أمرنا ، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا ، فاذا سمع السامع الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا ، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا ، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا باسمائهم ثلبونا بأسمائنا ، وقد قال الله سبحانه : « **ولا تسبوا الذين كفروا فيسبوا الله عدواً بغير علم** » ، إلى أن قال يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة .

وعقب التستري في كتابه الأخبار الدخيلة على هذه الرواية بقوله : واظن أن الاخبار التي روتها العامة في تفسير قوله تعالى : « **والنجم إذا هوى** » ان الله يشير بذلك إلى النجم الذي هوى في بيت علي عليه السلام كبرهان على إمامته ، هذا التفسير من الموضوعات التي اشار إليها الامام الرضا ، لأن أصغر النجوم هو أكبر من الأرض إلى نجوم السماء ، فكيف يعقل استيعاب دار علي لنجم لا تستوعبه الأرض بكاملها [١] .

ومهما كان الحال فرواية الصدوق عن الرضا عليه السلام تعبر تعبيراً صادقاً عن

---

(١) انظر الاخبار الدخيلة ص ٢١٦ و ٢١٧.

واقع اكثر الموضوعات في الفضائل والمثالب لأن أعداء أهل البيت قد استعملوا جميع الأساليب لإيجاد فجوة بينهم وبين الناس، فسلكوا هذا الطريق بعد أن وجدوا أن حرب الإبادة تدر عليهم العطف وتقربهم من الناس ونجحوا في هذا الاسلوب إلى حد ما ، فدسوا بين مروياتهم مئات الأحاديث في شتم الخلفاء والصحابة ، وفي إعطاء الأئمة صفة الخالق المدبر والاتكال على ولاية علي وبنيه ، وظلت آثار هذه الموضوعات تعصف في الأذهان وتعبث في الأفكار والعقول حتى يومنا هذا، بالرغم من تلك الجهود المخلصة التي توالت للكشف عن تلك الموضوعات وتصفية الحديث والعقيدة مما علق بها من آثار تلك الموضوعات ومفاسدها .

القصص

لقد شاع القصص بين العرب في أيام جاهليتهم ، وكان المحور الذي تدور حوله أحاديثهم هي الحروب ، وأيامها كيوم داحس والغبراء ، ويوم الفجار ، ويوم الكلاب ، ويوم ذي قار ، والهوى وأخبار العاشقين، والأشعار المنسوبة إليهم ، وعن السحر والكهانة وأخبار الجن وغير ذلك مما يعبر عن عقلية العرب في جاهليتهم ويمثل أدبهم وحياتهم ، وقيل لبعض أصحاب الرسول ﷺ بماذا كنتم تتحدثون إذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث عن أخبار الجاهلية. وأكثر ما شاع بينهم من القصص أخبار الجن والسحر والكهانة، وقد أخذوا الكثير من هذا النوع عن الامم المجاورة لهم كالفرس والرومانوالسريان والأقباط وغيرهم منالأمم التي كانوا يتصلون بها في رحلاتهم وأسفارهم ، والتي تسربت إليهم من أخبار الهنود واليونان والمسيحية واليهودية والديانات الأخرى التي كانت تظهر بين الحين والآخر في البلاد المتاخمة لهم ، وحتى بين القبائل العربية نفسها ، وقد نقل المؤلفون في السير وأخبار العرب والأمم التي سبقت ظهور الاسلام ألواناً من القصص والأساطير في مختلف المواضيع ، وأكثر ما يلفت النظر منها أن الكثير من الاساطير التي ينسبها الاخباريون إلى العصر الجاهلي لها نظائر بين اخبار الامم الاخرى ، كأحاديثهم عن السحر والسحرة وعن الجن وأخبارها والكهان

الذين يدعي الاخباريون أن العرب كانوا يلجأون إليهم في المهمات والخصومات واكتشاف ما يجري عليهم في حاضرهم ومستقبلهم .

ومهما كان الحال فلقد أسرف القصاصون القدامى في اخبارهم عن الحروب والغزوات والعشق والعاشقين والسحر والجن والكهان وغير ذلك مما كان شائعاً بين الجاهليين أنفسهم، وزاد فيها القصاصون بعد ظهور الاسلام وشوهوا بعض حقائقها ، كالذي نراه في أخبارهم عن ربيع بن ربيعة بن مسعود المعروف بسطيح ، وعن شق بن صعب بن يشكر ، وعفيراء ، وخطر بن مالك الذي عمر نحواً من مائتي عام على حد زعمهم، ومن القصص الذي حدث بها عنه لهيب بن مالك اللهيب بعد ظهور الاسلام أنه قال : حضرت عند رسول الله فذكرت له الكهانة ، وقلت له يا رسول الله نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم وذلك أنا قد اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة وثمانون عاماً وهو أعلم كهاننا ، فقلنا له يا خطر : هل عندك علم عن هذه النجوم التي يرمى بها ، فإنا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها ، فقال : ائتوني بالسحر اخبركم بالخبر ، فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غد عند السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينيه ، فناديناه يا خطر فأومأ إلينا أن اسكتوا فأمسكنا ، فانقض نجم من السماء ، فصرخ الكاهن أصابه أصابه ، خامره عقابه ، عاجله عذابه ، احرقه شهابه، يا ويله ما حاله ، بلبله بلباله عاوده خياله .

ومضى الراوي في حديثه بهذا الاسلوب ، إلى أن قال : ثم أمسك الكاهن طويلاً ، وقال : يا معشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان ، أقسمت بالكعبة ذات الأركان ، والبلد المؤمن بالسكان ، قد منع السمع عتاة الجان ، بثاقب بكف سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشان ، ينعث بالتنزيل والقرآن، تبطل فيه عبادة الأوثان . فقلنا له يا خطر : ومن هو ، فقال والحياة والعيش

انه من قريش ، ما في حكه طيش ، ولا في خلقه هيش ، يكون في جيش ، وهكذا استمر يحدث بهـــذا النوع من السجع إلى أن انتهى لنسبه واسمه في حديث طويل .

وأغمي عليه ثلاث ساعات على حد زعم الراوي ، كل ذلك والنبي ﷺ يستمع الى هذه الاسطورة معجباً بأسلوبها ومضمونها كما يدعي الراوي .

وقد حدث القصاص عن جماعة من الكهان بأنهم قد اخبروا عن النبي ﷺ قبل ظهوره بعشرات السنين، منهم الكاهن المعروف بسطيح وعفيراء وغيرهما بهذا الاسلوب ، كما حدثوا عن الجـان وتقمصها بالأصنام وتزويدهم بالمعلومات عما كان وسيكون ، ومن ذلك ما جـــاء عن اسلام عمر بن الخطاب بعد ان كان من أشد الناس عداوة لمحمد ﷺ ودعوته، فلقد رووا عنه أنه أخذ سيفه وذهب يتحين الفرص لقتله، فمر بقوم من خزاعة، وقد اعتمدوا صنماً لهم يريدون ان يتحاكموا إليه ، فقالوا لعمر ادخل معنا لتشهد الحكم ، فدخـل معهم ، فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفاً من جوفه يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام   ما انتم وطائش الاحـــلام
ومسند الحكم الى الاصنام   اصبحتم كرائع الاغنـــام

في أبيات كثيرة يقول فيها :

محمــــد ذو الـبر والاكرام   أكرمه الرحمـــن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام   يأمر بالصـــلاة والصيـــام
والبر والصـــلات للارحام   ويزجر النـــاس عن الآثام

ومضى الراوي يقول : فلم يحضره أحد الا اسلم، غير أن عمر بن الخطاب مضى في طريقه الى حيث يكون النبي ﷺ فالتقى بجماعة من بني سليم قد

تنافروا الى صنم لهم اسمه ضمار ليحكم بينهم،فادخلوا عمر بن الخطاب معهم عليه ، فلما دخلوا على الصنم سمعوا هاتفاً من جوفه يقول :

اودى الضمار وكان يعبد مرة   قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى   بعد ابن مريم في قريش مهتد
سيقول من عبد الضمار ومثله   ليت الضمار ومثله لم يعبد

فتغير رأي عمر بن الخطاب وذهب الى النبي واسلم على يده .

ورووا اساطير من هذا النوع كانت السبب المباشر في اسلام جماعة من وجوه العرب كانوا يهزأون ويسخرون من دعوة الرسول‌منهم وائل بن حجر، وكان ملكا مطاعاً في قومه ، ومازن الطائي الذي اخبره الجن من جوف الصنم بظهور النبي ﷺ، وأمره بأن يؤمن بدعوته في قصة طويلة رواها في المجلد السادس من نهاية الارب مع ما رواه من أخبار الجن وتقمصها بأصنام العرب [1] .

ومن ذلك ما رواه عن جبير بن مطعم عن أبيه أنهم عرفوا بنبوة محمد وظهوره بمكة من صنم كانوا يعبدونه قبل أن يعلن النبي عن دعوته بمدة من الزمن .

ومن الذين اسلموا عن طريق الأصنام عبد الله بن ساعدة الهذلي ، وروى القصاصون عنه أنه قال : كنا نعبد صنما يقال له سواع،وكانت لي غنم جربت فسقتها إليه وأدنيتها منه أريد بركته ، فسمعت مناديا من جوفه يقول : العجب كل العجب‌سدلت الحجب، ورميت الجن بالشهب،ونزل خير الكتب ، على خير العرب. في حديث طويل لا يعنينا منه أكثر من هذا المقدار ، الى

---

(١) انظر ص ١٥٧ وما بعدها ج ٦ من نهاية الارب طبع بيروت — تصوير .

كثير من امثال هؤلاء .

كما جاء في نهاية الارب ، والمجلد الاول من مروج الذهب للمسعودي ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ، وقد اكثر هؤلاء وغيرهم من المؤرخين القدامى من القصص عن البحار وعجائبها والفرسان وبطولاتها ، والكهان واحاطتهم بما كان وسيكون ، واستخدام الاقباط والسريان والرومان وغيرهم للسحر في حروبهم وغيرها مما يحتاجون إليه ، والعشق والعاشقين وأخبارهم وأشعارهم وغير ذلك من القصص الذي لا يشك الباحث في احوال تلك الامم بأن تلك الأخبار أكثرها من موضوعات العصور الاسلامية الاولى بعد ان اصبح القصص فناً يتعاطاه الندماء في قصور الخلفاء والامراء بالاسلوب الذي يرضي سادة القصور وسيداتها ويوفر للقصاصين العطاء الجزيل والعيش السعيد الى جانب الجواري والمغنين التي كانت تعج فيها قصور الحكام والامراء ، يوم اصبح المحدثون والوعاظ يتاجرون بالدين ، ويتخذون الحديث والوعظ وسيلة للعيش وتنفيذ رغبات الحاكمين، وقد وضع القصاصون والوعاظ مجموعة كبيرة من الاحاديث لا تقل اخطارها على السنة النبوية واحاديث أهل البيت عن اخطار المرويات التي وضعها اتباع الحاكمين والزنادقة وقادة الفرق والاحزاب التي تفرعت عن الاسلام والتشيع لتأييد مذاهبها واتجاهاتها ونزعاتها .

هذه المجموعة من القصص والأحاديث قد ادخلت على الحديث وعلى تاريخ المسلمين الكثير من اساطير الامم التي سبقت ظهور الاسلام ، وكانت ولا تزال وستبقى سلاحاً يعتمد عليها دعاة الهدم والتخريب ما دامت في بطون كتب الحديث والتاريخ الى جانب الصحيح السليم فيها هنا وهناك .

وتكاد الروايات تتفق على ان جماعة ممن كانوا يمتنقون المسيحية واليهودية قد حاولوا ان يدسوا بين تعاليم الاسلام بعض الاساطير بقصد التشويش والتخريب وظهرت نتف منها في عصر الرسول ﷺ ، ولكنه بحرصه على

رسالته ورعايته استطاع ان يكشفهم ويحبط دسائسهم ، وكان أحـد هؤلاء تميم الداري من نصارى اليمن الذين دخلوا الاسلام في السنة التاسعة من هجرة الرسول ، وهو بطل اسطورة الجساسة والدجال اللذين اشرنا إليهما في موضـع سابق من هذا الكتاب ، ونشط في عصر الخليفة الثالث عثمان بعد ان رخص له في ارتياد المجالس والمساجد في يومين من كل اسبوع يحدث فيهما بأساطيره من اخبار الامم السالفة وغيرها مما يحقق له اهدافه بالاسلوب الذي يوجه إليه الانظار ، ويلفت اليه أكبر عدد من عوام الناس .

وجاء من بعـده وهب بن منبه المعروف بـين المؤرخين والمحدثين بقصصه واخباره عن الامم والاديان ، وصاحب أبي هريرة الذي أخذ عنـه وحدث بمروياته وكان منهـا دعاؤه الثاني الذي كان يخشى ان يحدث به يوم كان عند من وصفوهم بالصحبة بقية من دين .

ولعل وهباً وكعب الاحبار من أعظم المصادر لقصص الانبيـاء وأساطير الماضـين كما ذكرنا من قبـل ، وعلى اساسها قد وضع جماعة من المفسرين تفاسيرهم لبعض الآيات والسور التي لا تزال كتب التفسير مشحونة بها . وظلت حركة القصاصين تتسـع مع الزمن حتى استغلهم الحكام لاغراضهم السياسية ، وكان أول من استعملهم لذلك معاوية بن ابي سفيان ، فقـد ولى رجلاً أمر القصص على الناس اذا فرغ المصلون من صلاة الصبح ، وكان يتجه الى من معه في المسجد فيذكر الله سبحانه ، ويصلي على رسوله ، ثم يدعو للخليفة واهل بيته وجنوده واتبـاعه ، وينتقل بعد ذلك الى الدعـاء على اخصامه والمحاربين له وجميع من خالفه ولم يقر له بالطاعة [1] .

ويدعي اليعقوبي في المجلد الاول من تاريخه ان الحسـن بن علي عليه السلام مر

---

(١) كما جاء في خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٥٣ .

يوماً بقاص يقص على باب مسجد رسول الله ﷺ فقال له: ما انت ؟ فقال: أنا قاص يا بن رسول الله.فقال له كذبت ! محمد القاص ، قال الله تعالى : « فاقصص القصص » ، قال : أنا مذكر ، فقال له كذبت، محمد المذكر ، قال الله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر » ، قال له فما أنا ؟ قال له الحسن أنت المتكلف من الرجال .

وجاء في فجر الاسلام عن كتاب للقضاة للكندي ان كثيراً من القضاة كانوا يقومون بمهمة القصاصين الى جانب مهنة القضاء بأمر من الحاكمين ، وان أول من قص بمصر سليمان بن عمر التجيبي سنة ٣٨ ، وولاه معاوية امر القضاء الى جانب القصص ، ثم عزله عن القضاء واعده للقصص لا غير [١] .

ويبدو من هذه الرواية وغيرها انه كان للقصاصين مركز بين مراكز الدولة يوليه الخليفة لمن يراه صالحاً لهذه المهمة كغيره من موظفي الدولة ، غير ان القاص لا بد وان تكون له الصبغة الدينية لأنه بالاضافة الى الدعاء للخليفة وانصاره والدعاء على خصومه يقوم بمهمة الارشاد والترغيب في عمل الطاعات ويفيض في وصف الهبات والمثوبات والعقوبات ونحو ذلك من وصف الحور والقصور وما الى ذلك ، ويجعل لما يحدث به سنداً يتصل بالنبي أو الامام .

وجاء في الاغاني ان بشار بن برد مر بقاص يقول : ان رسول الله قال : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة صحنه ألف فرسخ في مثلها وعلوه ألف فرسخ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ في مثلها ، فالتفت بشار الى قائده وقال : بئست الدار والله هذه في كانون الثاني .

وجاء عن بعضهم انه كان يقول : اذا استحسنا امراً جعلناه حديثاً، واذا

---

(١) انظر فجر الاسلام ص ١٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٧٠ .

اتهمهم أحد بالكذب على الرسول ، ولم يستطيعوا التخلص منـه التجأوا الى أسلوب آخر ، وقالوا : نحن نكذب له لا عليه لترقق قلوب العامة .

وقال بعضهم: لما رأينا الناس قد تلهوا عن القرآن ببعض الاحاديث وفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق وضعنا أحاديث في فضل السور والقرآن لنصرف الناس عما اشتغلوا به الى كتاب الله .

وظل القصص يتطور وينتشر حتى اصبح مورداً للمرتزقة ووسيلة من وسائل الاستجداء ، فكان القصاص يحدث بعد الصلاة بالغرائب التي تلفت الانظار إليه وتثير عواطف العامة وينسب حديثه الى الامام عليه السلام والرسول ﷺ ولا يرى في ذلك اثما وزورا ، فاذا فرغ من حديثه بسط رداءه فيدفع له كل انسان حسب مقدرته ، ولا يبالي بما تقوله الخاصة ما دام يجـد من العامة من يسمع له ويتطلع إلى هذا النوع من الحديث الذي يدر عليـه العطاء ويمنحه احترام العامة وتقديرهم .

وجاء في موضوعات ابن الجوزي عن أبي جعفر بن محمد الطيالسي انه صلى احمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد بالرصافة في بغداد فقـام قاص بين تلك الجموع وقال : حدثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله ﷺ قال : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طـيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان. ومضى في حديث طويل يبلغ نحواً من عشرين ورقة على حد تعبير الراوي يعدد الهبات التي يمنحها الله في مقابل هذه الكلمة ، فجعل احمد بن حنبل ويحيى بن معـين ينظر كل واحـد منهما الى الآخر مستغربا ، وسأل كل منهما صاحبه إذا كان قد حدثه بذلك فحلفا بأنهما لم يسمعا بذلك غير الساعة، ولما فرغ الرجل من حديثه وأخـذ نصيبه من الحضور أشار إليه يحيى بيده فجاءه مسرعاً وهو يظن بأنه سيدفع له شيئاً ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ قال :

يحيى بن معين واحمد بن حنبل ، فقال أنا يحيى وهذا احمد بن حنبل ، والله ما سمعنا بهذا ابدا بين أحاديث رسول الله ، فقال له : لم ازل اسمع ان يحيى ابن معين أحمق فلم اتحقق ذلك إلا الساعة ، كأن ليس في الدنيا غيركما ، لقد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وقام عنهما كالمستهزىء بهما .

وجاء في كتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي ان الشعبي في أيام عبد الملك بن مروان نزل تدمر ، فسمع شيخاً عظيم اللحية يقول : ان الله خلق صورين في كل صور نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة ، قال الشعبي : فرددت عليه وقلت له : ان الله لم يخلق الا صورا واحدا وإنما هي نفختان فقال لي يا فاجر : انما يحدثني فلان عن فلان وترد علي ، ثم رفع نعله وضربني بها وتتابع الضرب علي ممن معه فما اقلعوا عني حتى قلت لهم ان الله خلق ثلاثين صورا .

وجاء عن ابن جرير الطبري أنه سمع أحد القصاصين يفسر قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا » ان الله سبحانه يجعل لمحمد ﷺ مكاناً على العرش الى جانبه فأنكر عليه ذلك ، وكتب على باب داره ما ينزه به الله تعالى عن ذلك ، فلما فهم القصاص ذلك اوعز الى العامة فأخذوا يقذفون داره بالحجارة حتى سدوا عليه طريقه ، وبلغ من استيلائهم على العامة ان أم أبي حنيفة أو غيره من العلماء احتاجت حكماً من أحكام الشريعة فسألت ابنها فأجابها فلم تقبل منه ورجعت الى بعض القصاصين ، فلما وافق ولدها في الرأي أخذت به .

وجاء في المنتظم لابن الجوزي ان ابا بكر الآدمي المتوفى سنة ٣٦٨ كان من احسن الناس صوتاً وكان يسمى صاحب الألحان فحج مرة مع بعض الصلحاء ، فلما انتهوا إلى المدينة وجدوا رجلا ضريرا قد جمع حلقة من الناس

في مسجد الرسول ﷺ وجلس بينهم يقص عليهم ويروي لهم الاحاديث المكذوبة والمفتعلة فلم يجدِ الانكار عليه ولم يجدوا طريقاً لتفريق الناس عنه إلا بالايعاز الى ابي بكر بقراءة القرآن بصوته الساحر ، فلما شرع في القراءة توجه إليه العامة وانصرفوا عن الضرير .

وكانت المعارك تشتد وتستعصي حتى على الحاكمين أحياناً بين السنة والشيعة في بغداد وغيرها بسبب أحاديث القصاصين من السنة والشيعة، ويحل الخراب والدمار في محلاتهم بسبب أحاديثهم في الفضائل والمثالب ، وأحياناً يتفق القاص السني مع زميله الشيعي ويقف كل منهما الى جانب في الأسواق العامة ، فيحدث الشيعي بفضائل علي عليه السلام والسني بفضائل أبي بكر وعمر فإذا مر الشيعي يدفع لمن يحدث بفضائل علي وأهل البيت والسني يدفع الى الطرف الآخر،ويستولى عليهم الحماس أحياناً فيبذلون لكل منهما بسخاء ، فاذا كان آخر النهار يجتمعان في خلوة بعيدة عن الانظار ويتقاسمان الناتج بينهما [1] .

وقد استعمل بعضهم أساليب الدجل والاحتيال بالاضافة الى وضع الاحاديث فقد جاء في كشف الاسرار للجوبري ان قصاصاً قد استعمل قرداً وعلمه السلام على الناس والتسبيح والسواك والبكاء في بعض الاحيان ، فاذا كان يوم الجمعة بسط له سجادة في الجامع وأركبه بغلة ومشى بين يديه والقرد يسلم على الناس ويرد لهم التحية ، وكل من سأله عنه أجابه بأن هذا من أبناء الملوك وقد اصابه السحر حتى اصبح على هذه الحالة ، فاذا دخل الجامع وقف القرد على السجادة في المحراب وصلى ركعتين وسبح بعدهما واستاك، ثم يقف القاص بين تلك الجموع ويقول : من أصبح معافى فان لله عليه نعم لا تحصى، اعلموا ان هذا القرد الذي ترونه بينكم والله لم يكن في زمانه احسن منه شباباً ولا

---

(١) انظر يتيمة الدهر للثعالبي ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٣ ، كما جاء في الحضارة الاسلامية للمستشرق آدم متز .

اطوع منه لله ، ولكن المؤمن معرض لقضاء الله وقدره، وكان من قضاء الله ان هذا الذي ترون قد زوجه والده ابنة أحد الملوك فأقام معها مدة طويلة ، فقيل لها انه قد عشق مملوكا له فأدركتها الغيرة فخرجت الى بيت أهلهـــا وسحرته واصبح كا ترون ، وقد سألناها ان ترفع عنه السحر بعـد ان هجره والده وأخرجه من مملكته فادعت ان لها عنده اثاثا قيمته مائة ألف دينار ، وتخلف عليه من أصل هذا المبلغ عشـــرة آلاف دينار ، ويطلب مساعدته للخروج من تلك الازمة التي ألمت به ويبكي القرد عنـد ذلك فترق له القلوب ولا يخرج من الجامع إلا بمبلغ كبير من المال وهكذا يصنع في كل بلد يدخلها .

وقد بلغ من تأثير القصاصين على العامة وتفننهم في مختلف الاساليب التي تدر عليهم العطاء ، انهـم اصبحوا يستخفون بالعامة ولا يراقبون الخاصة ما دام عوام الناس الى جانبهم ، فقد جاء في الحضارة الاسلامية المجلد الثاني ان بعض القصاصين كان يأكل وهو سائر في شوارع بغداد فاعترضه عثمان الوراق وقال له : ويحك اما تستحي ان تأكل وأنت في الطريق ، فقال له: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تستحي وتحتشم ان تأكل وهي تراك؟ فقال لا قال : فاصبر حتى اعلمك ان عامة من تراهم اشبه بالبقر ، فقام بين الناس يقص عليهم ويعظهم حتى اجتمع عليه خلق كثير واشتد الزحام حوله ، ثم قال : أيها الناس روى لنا غير واحـد عن الرسول ﷺ أنه قال : من بلغ لسانه ارنبـة أنفه لم يدخل النار فلم يبـق من ذلك الحشد أحـد إلا واخرج لسانه يومي به نحو ارنبة أنفه ، فقال له عثمان الوراق صدقت كل واصنـع ما شئت .

ويدعي ابن الجوزي وغيره ممن تعرضوا لاحوال القصاص ان الاسرائيليات وما يتصل بها كانت من مواردهم الرئيسية التي اعتمدوها في قصصهم ، وكانوا يحاولون ان يظهروا بمظهر من لا يجهل شيئاً ولا يعجزه الجواب عن شيء ولا ولا يتورعون عن الاجابة عن كل واقعة ولو كانت وهمية ، فقد سئل بعضهم

عن العصفور لمَ سمي بهذا الاسم ؟ اجاب لأنه عصى وفر .

وادعى بعضهم بأنه يعرف اسم العجل الذي عبده بنو اسرائيل ، واسم الذئب الذي أكل يوسف ، فقال له بعض الحضور : ان الذئب لم يأكل يوسف فأجابه إنه يعرف اسم الذئب الذي لم يأكله ، وكانوا مع ذلك يظهرون بمظهر النساك والعباد ، ويضعون على وجوههم مادة صفراء ليظهروا بمظهر من انهكتهم العبادة ، وبعضهم يضع في عينيه مادة توجب سيلان الدمع دجلا وتضليلا للعوام لإيهامهم بالبكاء خوفاً من الله سبحانه،ويتعمدون أحياناً بإلقاء أنفسهم من على المنبر وهم يتحدثون عن النار وأهوالها وأخطار يوم القيام، الى كثير من هذه الحالات التي فضحت أساليبهم وألجأت الحكام في أواخر القرن الثالث الهجري الى منعهم من الدخول الى المساجد،فأصدر المعتضد العباسيمن ينادي في مدينة السلام ان لا يقعد في الطريق ولا في المسجد قاص ومنجم وعراف وأكد على مطاردتهم ومنعهم من دخول المساجد [1] .

وقد عدهم ابن الاثير في تاريخه مع المشعوذين ، في حين ان القصاص القدامى كانوا موضع تقدير العامة والعلماء لأن قصصهم لم تكن بعيدة عن الدين ولم تبلغ الحالة التي بلغتها في القرن الرابع وما بعده ، ولعل الصيغة التي غلبت على القصاصين في أواخر القرن الرابع الهجري كانت السبب في تحول الانظار الى طائفة المذكرين الذين ظهروا في ذلك العصر ، ويدعي المقدسي ان المذكر كان يجهد نفسه ليوجه الانظار اليه ويصرف العامة عن القصاصين واستطاعت هذه الفئة ان تربح ثقة الخاصة من العلماء الذين كانوا يوجهون العامة الى حلقاتهم ومجالسهم .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٦ ، وتاريخ أبي المحاسن ج ٣ ص ٦٧ كما جاء في المجلد الثاني من الحضارة الاسلامية للمستشرق آدم متز .

وجاء في كشف المحجوب ص٢٣٥ عن أبي طالب المكي ان حضور الرجل مجالس الذكر أفضل من صلاته،وصلاته أفضل من حضور مجالس القصاصين[١]

وحدث بعض القصاصين يوما فقال : ان في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيــل بلق من ذهب ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة طوال يجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث يشاء الله . الى غير ذلك من مئات الأحاديث في وصف الجنان وعجائبها ، والى جانب هذا اللون من احاديث القصاصين نجــد كتب الحديث مشحونة بلون آخر من الموضوعات فيمعجزات الانبياء والاولياء كان القصاصون والوعاظ يستدرجون بها العامة الى مجالسهم ويستدرون بهــا هباتهم وعطاءهم ، يتصدر القصاص مجلس العامة ، أو يرقى الواعظ منبراً أعد لهذه الغاية فيحمد الله ويصلي على نبيه ، ثم يروي لهم ما لفقه من غرائب الكرامات والمعجزات ، وأخبار الاسكندر وعين الحياة وأخبار ابن ابي الدنيا الذى شرب منها وعاش آلاف السنين حتى أدرك القرن الرابع الهجري ، واخبار جنة عاد وعجائب قصــورها وجواهرها وأشجارها ، وغــير ذلك من غرائب الاســاطير والاخبار كما سنتعرض لذلك في الفصول الآتية من هذا الكتاب ، وقد نجـح القصاصون الى حد ما فى عرضهمللكرامات والمعجزات واسرافهم فيها فوضع قصاص السنة آلاف الكرامات للخلفاء والاولياء والصلحاء زورا وافتراء على الله وعلى الاســلام ، كما وضع قصاص الشيعة مع ما وضعه اعداء الأئمــة عدداً كبيراً من هذا النوع للأئمة الهداة (ع) ولبعض الصلحاء والاتقياء ، في حين ان الأئمة كانوا في غنى عن كل ذلك وقد لعنــوا كل من يضعهم فــوق مستوى الانسان وبغير المنزلة التي وضعهم الله بها .

---

(١) انظر نفس المصدر ص ١٠٦ من تاريخ الحضارة الاسلامية .

وقال الامام زين العابدين عليه السلام ، حينما احس بضعفاء الايمان من المتشيعين ينظرون إليـــه والى آبائه وكأنهم فوق مستوى المخلوقين وادرك بأن أعداء الأئمة يروجون لهذه الأفكار ، حينما احس بكل ذلك وقف موقف المتصلب من هذه الأفكار المسمومة وقال : حببونا الى الناس ولا تقولوا فينـا ما ليس بنا فنحن عبيد لله لا نقدر أن نجلب لأنفسنا نفعاً ، ولا ندفع عنها ضرا ، لنا ذكر في كتاب الله ونسب من رسول الله وولادة طيبة ، هكذا قولوا الى الناس ، ولعن الله من يقول فينا ما لم نقله في أنفسنا .

وأينما اتجهت في كتب الحديث ما كان منها في التراجم ، أو الفضائل ، او ثواب الطاعات والاعمـال ، أو تواريخ الانبياء وأحـــوالهم ومصائبهم ، أو الاخلاق والاحكام والجنة والنار ـ تجد آثار القصاصين والوضاعين من الزنادقة والمندسين في صفوف المسلمين والتشيع بارزة في اسلوبها وصياغتها وتركيبها ومنتشرة هنا وهناك لها طابعها الخاص واسلوبها البعيـد عن منطق الانبيـاء والأئمة الكرام (ع) .

والى القراء مثلا من مروياتهم ، فقـد رووا عن محمد بن علي بن الحســين عليه السلام أنه قال : ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو أراد راكب الجـواد ان يســير في ظلها لسار فيه مائة عـام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياط اخضر ، وافنانها سندس واستبرق ، وثمرها حلل ، وطعمها زنجبيل وعسل ، وبطائحها ياقوت احمر وزمرد اخضر ، وترابها مسك وعنبر وكافور اصفر ، وحشيشها زعفران ، يتفجر من اصلها السلسبيل والمعين والرحيق ، واصلها مجلس من مجالس الجنـــة يألفونه ومتحدث يجمعهم ، فبينما هم يوماً في ظلهـا يتحدثون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبا جبلت من الياقوت ، ثم نفخ فيها الروح مزمومة بســلاسل من الذهب كأن وجهها المصابيح نضـارة وحسنا ، وبرها خز احمـر ومرعزي ابيض مختلطان لم ينظر الناظرون الى مثلها حسناً وبهاء ، ذلل من غير مهانة ، نجب من غير رياضة ، عليها رحائل الواحها من الدر

والياقوت مفضضة باللؤلؤ والمرجان صفائحها من الذهب الاحمـر فأناخوا لهم تلك النجائب ، ثم قـــالوا لهم : ان ربكم يقرئـكم السلام ويستزيركم لتنـظروا إليه وينظر إليكم وتكلموه ويكلمكم وتحيوه ويحييكم ويزيدكم من فضـــله ومن سعته انه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم ، فيتحول كل رجل منهم على راحلته وينطلقون صفاً واحـدا معتدلا لا يفوت شيء منه بشيء ولا تفوت اذن ناقة اذن صاحبتها، ولا يمرون بشجرة من اشجار الجنة إلا اتحفتهم بثمرها وزحلت لهم عن طريقهم كراهية ان ينثلم صفهم ، فلما وقفوا على الجبار تبارك وتعالى اسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم في عظمته العظيمة، وجاء في الرواية ان الله بعد ان رحب بهم واستمع الى حديثهم وتبادل واياهم الحديث والثناء قال لهم : انظروا الى مواهب ربـــكم الذي وهب لكم ، فاذا بقباب في الرفيع الأعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان ابوابها من ذهب و ياقوت وفرشها من سندس واستبرق، وهكذا يمضي بعيـدا في وصف تلك القصور وتعداد معادنها ومحتوياتها، ثم ينتقل الى مشهد آخر من مشاهد الجنة فيه من البرازين المصنوعة من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان، والولدان الذين سخرهم الله سبحانه لقيادتها ، فيركبها اهل الجنة وتمضي بهم بين قصور الجنة واشجارها وثمارها وانهارها وحورها الى ان تصل بهم الى بيوتهم في حديث طويل يستغرق بلا شك مع القصاصين اكثر من ساعتين ، ثم ينتقل بهم الى وصف نساء أهـــل الجنة ، فيروي لهم عن أبي هريرة وغـيره من صحابة الرسول انه قال : ان الرجل ليتزوج بخمسمائة حـــوراء وأربعة آلاف بكر ، وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا ، ويصوب نظره إليها اربعـين سنة لا يصرفه عنها، وهكذا ينتقل من واحدة لاخرى لا يمل ولا يكل ويكرر الجماع بصورة مستمرة يعاودها المرة تلو الاخرى فيجدها عذراء لا يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها على حد تعبير الراوي عن ابي هريرة ، ويضيف الراوي الى ذلك ان ادنى أهل الجنة منزلة له ثلاثمائة خادم ، ويقدم له الطعام في كل يوم بثلاثمائة صفيحة من ذهب في كل صفيحة لون ليس في الاخرى ، وان له من

الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه في الدنيا ، والواحدة منهن مقعدها ميل في ميل ، ويمعن القصاص في وصف الحور والولدان والقصور والاشجار وطيور الجنة ومهاتها ، وكيف يأكل أهل الجنة من اجنحتها ما لذ لهم وطاب من انواع المأكل والفواكه الى غير ذلك من الغرائب بالاساليب التي تغري العامة والمغفلين، وحينا يتحدثون عن أهل النار يحاولون ان يضعوا في اذهان المستمعين لها بأن الشفعاء والوسطاء لن يدعوا احدا فيها مهما بلغت جرائمه إذا كان في قلبه مقدار حبة خردل من الايمان .

فقد جاء عن القاص المدني اسماعيل بن رافع [1] ان رسول الله ﷺ قال : ان النار يقع فيها خلق كثير من خلق ربك أوقعتهم أعمالهم ، فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تتجاوز ذلك ، ومنهم من تأخذه الى انصاف ساقيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه الى حقوية ، ومنهم تأخذ جسده كله إلا وجهه ، لان الله حرم صورته عليها ، ويضيف الى ذلك ان رسول الله يقول : ياربي شفعني فيمن وقع في النار من امتي ، فيقول الله : اخرجوا من عرفتم فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم احد ، ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع ، فيقول الله : اخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار من الايمان فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من وجدتم في قلبه ايماناً ثلثي دينار ، ثم يقول : ثلث دينار ، ثم يقول : ربع دينار ، ثم يقول قيراطاً ، ثم حبة من خردل ، فيخرج اولئك حتى لا يبقى منهم

---

(١) لقد كان احد القصاصين المتجولين بين المدينة والبصرة واستقر بها أخيراً وجاء في تهذيب التهذيب ص ٢٩٥ من المجلد الاول انه كان من المتهمين بالكذب على الرسول (ص) يحدث بالغرائب والمنكرات وكانت وفاته في العشرة الثانية من القرن الثاني كما نص على ذلك البخاري .

احد ، وحتى لا يبقى في النار من عمل خيراً قط ، ولا يبقى أحداً له شفاعة إلا شفع ، حتى ان ابليس يتطاول بما يرى من رحمة الله رجاء ان يشفع له ، ثم يقول جل شأنه بقيت وأنا أرحم الراحمين ، فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم ، فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان ، فينبتون امثال الذر مكتوب في رقابهم «الجهنميون عتقاء الرحمن» يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ، ما عملوا خيراً لله قط ، فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم [1] .

الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التي وضعها القصاصون حول رحمة الله وسعة مغفرته وعفوه .

وقد أوتي هؤلاء مقدرة وبراعة في العرض وخيالا واسعاً في التصوير والاغراء، قل ان تجد اسطورة من اساطيرهم بدون سند يربطها بصحابي يسندها الى النبي ، أو برجل من اتباع الأئمة يسندها الى الامام عليه السلام واحياناً يختلقون اشخاصاً واسماء ويجعلون منها سنداً يربط حديثهم بالنبي أو غيره من الأئمة والأولياء ، فاذا اعترضهم سائل قالوا : انا نحفظ هذا فكلما استحسنا امرا اجريناه حديثاً وألحقنا به هذا السند .

وقد امعن القصاص والوعاظ في الكذب على الرسول فنسبوا اليه وعودا وأقوالا في الزهد في الدنيا وفضل البلاء والفقر والمرض والجوع والايام والساعات والاذكار والادعية ، واسرفوا في عرضهم المكافأة التي يلقاها الانسان اذا صلى ركعتين في بعض الليالي أو الايام ،أو صام يوماً أو أكثر من بعض الشهور أو سعى لزيارة بعض الاولياء والاتقياء، فأعطوه على كل ركعة مئات القصور

---

(١) انظر الله والانسان لعبد الكريم الخطيب ص ٤٥١ و ٤٥٢ .

وآلاف الحور والولدان والاثاث المصنوع من الزبرجد والياقوت والمرجان ، وعلى كل يوم صامه او خطـوة مشاها الى زيارة ولي أو عيـادة مريض آلاف الحسنات واسقطوا عنه آلاف السيئات ، وكان له اجر الف حاج والف معتمر وثواب من صبر واحسن عملا كأيوب وأمثاله من النبيين والصديقين كما جاء في بعض المرويات وفرشوا له طريق الجنة بالورود والرياحين حتى ولو لم يفعل بعد ذلك من الطاعات شيئاً ، بل وحتى لو فعل المنكرات كما تصرح بذلك بعض مروياتهم .

وجاء في تفسير علي بن ابراهيم ان الامام جعفر بن محمـد قال : من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه دمع مثل جنـاح البعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبـد البحر، الى غير ذلك من المرويات التي سنعرض بعضهـا حسب المناسبات في الفصول الآتية من هذا الكتاب .

وحتى لا يتسرب الشك الى هـذه الموضوعات وتبقى عنصـرا مؤثرا على العامة تشـدهم الى تلك الحلقات التي كانت تملأ المساجد والنوادي وتوفر لهم الهبات والعطاء ، فقد وضع القصاصون احاديث لتدعيم مروياتهم واساطيرهم وزيفوا لها الأسانيد التي تربطها بالنبي والأئمة بأسلوب يوحي بصحتها ، ويزف لهم البشائر بالحصول على تلك الدرجات التي وعدهم القصاصون بهـا ، فرووا لهم ان ان الامام عليه‌السلام قال : من بلغه ثواب على عمل فعمله رجـاء ذلك الثواب اعطيه وان لم يكن رسـول الله قـاله ، وان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : من حدث عني حديثا هو لله رضاً فأنا قلته وبه ارسلت الى غير ذلك من المرويات بهذا المعنى ، وقد أخـذ بها الشيعة والسنة ، واستخرج الشيعة منها قاعدة اضافوها الى مدارك الاحكام واصولها اطلقوا عليهـا قاعدة التسامح في ادلة السنن ، مع العـلم بأن أسانيدها لم تتوفر فيها شروط العمل بالرواية ، لأن بينهم من هو متهم في دينه وبينهم من هو مجهول الحال اذا استثنينا رواية واحدة عدها بعض المحدثين من قسم الصحيح لان الراوي لها من الممدوحين في كتب

الرجال ، مع العلم بأن مجرد ذلك لا يمنـــع من رد الرواية اذا كانت مخالفـة لكتاب الله أو للخبر المقطوع بصدوره ، على ان هذا النوع من المرويات على تقدير صدوره فلا بد وان يكون المراد من البلوغ الذي نصت عليه هو البلوغ بالطرق التي تطمئن اليه النفس لا غيره .

وقد نص كتاب الله على حرمة الكذب وتوعد الكاذبين بالعذاب والعقاب الشديد ولعنهم اكثر من مـــرة في مختلف المناسبات ، ولم يستثن من ذلك الكذب في الطاعات والخيرات ، كما وان الرسول حيـنما توعد الكاذبين عليـه ولعنهم كما جاء في قوله : من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار ، لم يستثن هذا النوع من الكذب عليه ، ولا يستطيع احـد ان يدعي بأن الكذب في الطاعات لا يعد كذبا ، وقد اعترف القصاص بأنهم يكذبون على الرسول، وكان عذرهم في ذلك أنهم يكذبون له لا عليه .

ومن الغريب ان الفقهاء قـــد عدوا الكذب من الكبائر ومع ذلك فقد تساهلوا في هذا النوع من الاحاديث المكذوبة ، وأمعنوا في البحث عن أدلة الأحكام متناً وسندا فضعفوا الحديث واسقطوه لأقل شبهة في سنده أو متنـه ولما جاؤا الى احاديث الترغيب والتخويف والفضائل وقفوا الى جانبها متجاهلين كل ما قرروه في اصولهم وفقههم لا لشيء إلا لان القصاص والوعاظ قد رووا لهم عن الرسول والامام انهما قـالا من بلغه ثواب على عمل فعله أوتيه وان لم يكن رسول الله قاله !

والاغرب من ذلك ان المتأخرين ممن الف في اصول الفقه من علماء الشيعة قد أخذوا بهذه المرويات بدون تحقيق في مضامينها ولا تمحيص لأسانيدها وعلى اساسها قالوا : بأن المرويات المتعلقـة بالسنن كالتي تجري على ألسنة الوعـاظ وغيرهم سواء كانت من نوع المسانيد أو المراسيل يمكن اعطاء مضامينها حقه من الرجحان أو الاستحباب حتى ولو لم تكن صادرة عن المعصوم ، لقاعدة

التسامح في أدلة السنن التي انتزعوها من احاديث من بلغـــه ، وكانت تلك الاحاديث من وحي السماء، بدعوى ان احاديث من بلغه لا يخلو مؤداها عن احد الامور الثلاثة التالية :

الاول : أن تكون ناظرة الى حصول الثواب الذي وعد به المخبر مهما كان نوعه ومقداره عندما يأتي الانسان بذلك العمل رغبة في الثواب الموعود به .

الثاني : أن تكون ناظرة الى الأمر بالعمل الذي اخبر الواعظ أو الراوي بترتيب الثواب عليه ، وبذلك يصبح العمـل مستحباً وراجحاً ، ويكون المعنى المتحصل من قول الراوي (فعمله ابتغاء ذلك الثواب أوتيه) هو الامر بالعمل بصيغة الإخبار ، أي اعمل ما بلغك ثواب عليه .

الثالث : ان تكون واردة لبيان جواز الاخـذ بالاخبار الضعيفة الواردة فى مقام الترغيب في الطاعات ، بمعنى ان الشروط التي لا بد من توفرها في الاخبار كالوثاقة والعدالة والاتصال وموافقة الكتاب وغيرها ، هذه الشروط يمكن الاستغناء عنها في هـــذا النوع من الاخبار ، فتكون اخبار من بلغه حاكمة على الادلة التي دلت على اعتبار تلك الشروط في أخبار الآحاد [1] .

الى غير ذلك من التصرفات والتأويلات البعيدة عن ظواهر تلك المرويات لان المعنى الظاهر منها لا يتعدى الاحتمال الاول ، ولكن الاخـذ بها يتوقف على صدورها عن النبي أو الامام (ع) ، وقد ذكرنا أن اسانيدها لم تتوفر فيها الشروط المطلوبة وانها من صنع القصاصين والوعاظ ليؤكدوا بها مروياتهم في الترغيب والترهيب التي يستدرون بها عطف الناس وهباتهم ، وعلى تقدير صحتها فالبلوغ الذي ارشد النبي أو الامام الى الاخذ به هـــو البلوغ الذي

---

(١) انظر التقريرات في الاصول العملية للشيخ محمد علي الكاظمي ص ١٥٠ .

تطمئن إليه النفس كما ذكرنا، أقول ذلك في حين أني لا استبعد بعض مرويات القصاصين والوعاظ وغير الموثقين وان لم تكن مستوفية للشروط المطلوبة في الراوي والرواية ، إذ ليس كل ما يرويه غير الموثوق في دينه مكذوباً لجواز ان يصدق الكاذب أحياناً ، ولكن الذي ادعيه ان الاخذ بجميع مروياتهم واعتبارها في مستوى الصحيح ولو من حيث ترتيب الآثار عليها كما هو المستفاد من اخبار من بلغه مع العلم بأن أكثرها مكذوبة عليه أو مبالغ فيها بنحو لا يستسيغه العقل ولا يقره منطق الشرائع والاديان ، جعلها في هذا المستوى يشجع الكذبة والمرتزقة من الوعاظ على المتاجرة بالدين واستغلال المستضعفين، وفي الوقت ذاته ربما يخدر السامع عن العمل ويبعث في نفسه روح الاتكال على الثواب الموعود به عندما يسمع ان الدمعة التي لا تزيد عن جناح بعوضة اذا خرجت من عينه حزناً على ما أصاب أهل البيت (ع) يغفر الله له بسببها جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر كما جاء في رواية علي بن ابراهيم عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام .

وهل يرجو المستضعف من عوام الناس غير الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين العاملين بأوامره والمنتهين عن نواهيه، فاذا اهدى له القصاصون على صلاة ركعتين يصليهما في ليلة من ليالي رمضان الف الف حسنة وقصورا في الجنة من الزبرجد والياقوت وعشرات الجواري والحور، كل جارية مقعدها ميل في ميل كما جاء في بعض المرويات التي تصف الحور العين ، وتمحو من سجله آلاف السيئات ، فلماذا يجهد نفسه بعد ذلك في الطاعات واجتناب السيئات .

وعلى كل حال فلقد مضى القصص يتحرك بنحو آخر منذ القرون الاولى وبخاصة عند الشيعة بعد ان اجتاحتهم تلك الهزات العنيفة والنكبات القاسية من واقعة الطف الى غيرها من الجرائم التي صبغت الأرض بدماء الأولياء والصلحاء والابرياء في العصرين الاموي والعباسي فأضاف الوعاظ والقصاصون من خطباء المنابر الى تلك النكبات عشرات القصص من صنع الخيال تمثل

تلك الروح الاجرامية التي كانت تسير اولئك الحاكمين الذين قتلوا وشردوا الملايين من الابرياء والصلحاء باسم الاسلام الذي لم يعرف التاريخ ارحم منه للابرياء وأشد نقمة على الظلم والطغيان ، وما زال القصص يتحرك ويتطور بأسلوب جديد حتى عصرنا الحالي، فقد تطوع اليه فريق باسم الدين يستغلون المناسبات من بلد الى بلد ليتحدثوا فيها الى الناس عن الزهد وهم من اشد الناس انهاكاً في الدنيا وسعياً وراء فضولها ، وعن القناعة وقلوبهم تهفو حتى إلى اليسير مما يملكه غيرهم من وسائل العيش ، وعن المظلومين والمعذبين وما أعده الله لهم من النعيم الدائم في الآخرة ليصرفوهم عن التفكير بما حل بهم من أعداء الله والانسانية من تعذيب وتشريد واستغلال، وعن الخيرات والاعمال الصالحات وما لفعلها ولتركها من الثواب والعقاب الاليم ، وبعضهم من ابعد الناس عن الخيرات والاعمال الصالحات ، ولعل ذلك من ابرز الاسباب لعدم تأثر اولئك الناس بمواعظهم وخروجهم من تلك المجالس ذئاباً ولئاماً بمثل ما كانوا أو أشد ضراوة ولؤماً .

ومهما كان الحال فلا اكون مغالياً اذا قلت ان الكثير من المتدينين من عوام الشيعة والسنة يفعلون الكثير من المنكرات والمعاصي ، ويعتقدون بأن زيارة الحسين عليه السلام والبكاء أو التباكي عليه كما جاء في بعض المرويات ، والاعمال المأثورة في رمضان وغيره توفر عليهم ممارسة الالتزام بالطاعات واجتناب الشهوات اعتماداً على مرويات الوعاظ والقصاصين واحاديث من بلغه ثواب على عمل .

ولا اريد من ذلك ان اضع حداً لعطاء الله وعفوه وكرمه وحداً لمحتويات الجنة وخيراتها ونعيمها وملذاتها بما تحيط به عقولنا وتصل اليه أفهامنا ومداركنا ، ولا اريد ان استكثر ثواب الزيارات والاعمال الصالحات ، لا اريد ذلك لأن كرمه فوق حدود التصور ، وخزائنه لا ينقصها العطاء وعفوه يتسع لجميع الناس ، ولا يحيط بجناته ومحتوياتها إلا من احاط بقدرته

وعلمه ، وهذا ما لم يتيسر لأحد من الناس كائناً من كان ، وانما الذي اريده ان القرآن الكريم الذي وضع اصول الاســـلام وفروعه وحث على الطاعات والاعمال الصالحات ووعد المطيعين والعاملين جنات فيهــا ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ، ولم يحدد أنواع تلك الملذات والخيرات ، قد توعدهم في الوقت ذاته بالعقوبة الصارمة والعذاب الاليم ، وصور لهـم جهنم واهوالها ومخاطرها كما صور لهم الجنة ونعيمها وخيراتها ، وترك الانسان بين اليأس والامل حتى لا يترك ما عليه اتكالا على عفوه ورحمته ، ولا يقف مكتوف اليـدين بمجرد أنه عصاه في بعض الاعمال يائساً من قبوله اذا رجع لطاعته ، بل فتح له باب التوبة ومهد له طريق العودة ووعده اجراً عظيما وجزاء كريما .

لقد ألمحت بعض الايات والنصوص عن الرسول والأئمة الى ان الله سبحانه قد يضاعف الجـــزاء على الاعمال الصالحات ، ولـكن لم يرد في آية من آيات الكتاب ولا في حديث صحيح عن الرسول أو الأئمة (ع) أن عملا واحداً من أعمال الخير مهما كان نوعه يغفر الذنوب جميعها ولو كانت كزبد البحر وعدد الرمل والحصى كما جاء في احاديث القصاصين والوعاظ التي نسبوها الى الرسول والأئمة الهداة الميامين، وهل يجوز على الرسول العظيم ﷺ ان يقول لابنته فاطمة سيدة النساء: اعملي يا فاطمة فلن اغني عنك من الله شيئاً،ويقول في الوقت ذاته : لمن حضر معه وقعة بدر من المسلمين،اعملوا ما شئتم فإن الله قد غفر لكم،وهل يجوز على من قال: ان الحديث اذا لم يوافق العقل والكتاب فليس من أحاديثنا وهو مدسوس علينا ، هل يجوز عليه ان يقول ذلك ، ثم يخبر عن نساء الجنة بأن مقعد الواحدة منهن ميل في ميل ، واذا كان مقعدها يحتاج الى هذه المساحة العريضة الواسعة ، فيجب أن يبلغ طولها ضعفي هذه المساحة على أقل التقادير،ولا بد وان يخلق الله لهن رجالا بهذا الطول والعرض، أو يحشر الله المؤمنين بغير اجسامهم التي كانوا بها في الدنيا ليتم التجانس بينهما.

ان الاسلام بعيد عن السخف والخرافات بعد الخير عن الشر والحق عن الباطل ، ولكن اعداء الاسلام الذين لم يجدوا في مبادئه واصوله وتشريعاته ما ينفذون منه الى اهدافهم واغراضهم الدنيئة ادخلوا بين مروياته هـــذه الاساطير وامثالها لإثارة الشبهة والتشكيك وإبرازه على غير واقعه .

ويجمل القول ان الكذب في الحديث قد انطلق مع خيال الانسان الى ابعد الحدود فشمل جميع النواحي والجهات، فقد وضع القصاصون والوعاظ واعداء الاسلام والحكام وقادة الفرق والاحزاب في كل موضوع من المواضيع عشرات الاحاديث ومئات الغرائب والقصص، وفي الحلال والحرام وضع زنديق واحد أربعة آلاف حديث ، وهو ابن ابي العوجا كما اعترف عن نفسه حينما عرضه جلاد المنصور على السيف ، وجاء عن عمر بن سعيد أنه قال : لقد وضعت في اخبار جعفر بن محمد اثني عشر الف حديث كما اعترف غيره بأقل من هذا المقدار واكثر حسبما يستفاد من احصاء اكاذيب الوضاعين ، ومع ان الباحث اينما اتجه في مجاميع الحديث السنية والشيعية يجد الموضوع الى جانب الصحيح في كل باب من الابواب ، إلا أن الموضوعات في الفضائل والمثالب والترغيب والترهيب قد بلغت الحد الاقصى في غرابتها وبعدها عن منطق الاسلام والاخلاق هذا النوع من الموضوعات قد استخدمه الحكام واعداء الاســـلام لأغراضهم الهدامة ، واستخدمه المرتزقة والقصاص للاستجداء ولا يزال المسلمون يعانون من آثاره السيئة التي مكنت بينهم العداوة والبغضاء وفرقتهم شيعاً وأحزاباً.

الفصل الرابع

يشتمل هذا الفصل على أمثـلة من المثالب في بعض الصحابة المنسـوبة الى الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام وبعض الكرامات والفضائل بعضها لايشك القارىء وهو يقرؤها في أنها من موضوعات اعداء الأئمة (ع) من حيث متنها وسندها ، والنوع الآخر من قسم الضعيف الذي لم تتوفر فيه الشروط المطلوبة في الراوي والرواية .

وقبل الشروع في هذا الموضوع أعود فأكرر ما اشرت إليـه في الفصول السابقة من ان الحكام الامويين والعباسيين قد استغلوا جماعة من الفقهاء والمحدثين فوضعوا على لسان الرسول في اخصامهم السياسيين عدداً كبيراً من الاحاديث التي تحقق لهم أغراضهم ومقاصدهم كما وضعوا لهم مجموعة من المرويات في الطعن على الخلفاء والصحابة والغـلو المفرط في علي وبنيه عليهم السلام بقصد اظهارهم على غير واقعهم وايجاد فجـوة بينهم وبين جمهور المسلمين الذين يدينون بشرعية الخلافة الاسلامية وتقديس اكثر الصحابة ، ونجحوا في هذا المخطط الى حـد ما حيث علقت تلك الاحاديث في اذهـان الكثيرين ودونهـا المحدثون ، ولا يزال البعيدون عن واقع التشيـع ينظرون إليها وكأنها من اصوله ، وساعدهم على ذلك أنهم وجدوها بين مروياتهم وبعضها في مجاميعهم التي ينظرون إليهـا

بعين الرضا والاكبار ، وقــد تركها النقاد والباحثون في الحديث لأسباب لا استطيع تقديرها ، كما وأني لا استطيع ان أبرئهم من مسؤولية هذا الاهمال لأن بقاء تلك المرويات في مجاميعنا وبين احاديثنا قد يسر لأعداء الشيعة ان يتحاملوا عليهم ويقفوا منهم تلك المواقف المسعورة والمشحونة بالكيد والبغي وهل يجد العدو الذي يحاول التنكيل والتشهير سلاحاً امضى واشد فتكاً من هذه المرويات المنتشرة بين المرويات عن الأئمة (ع) والتي دونها الشيعة في مجاميعهم إلى جانب الصحيح فيها ، في حين ان الاسلام قد حارب كل ما من شأنه اثارة الاحقاد والبغضاء وأقام بنيانه على أساس التسامح والتساهل وتطهير النفوس من كل ما من شأنه أن يعكر الاجواء ويشحنها بالفتن والخلافات الجانبية التي لا تخدم مصلحة الانسان في دنياه وآخرته ، ووضع الاسس الكفيلة ببناء المجتمع الصالح الذي لا يمكن بناؤه إلا بالعمل المتواصل والجهد المخلص .

ومن هنا يدرك الانسان المجرد عن الاهواء والنزعات سر خلوده وبقائه ، واحتياج الانسان مهما بلغ وتعالت قدراته وسمت مواهبه الى ان يستمد منه ويعمل بوحي من هديه وتعاليمه في مختلف الميادين ، كما وأن الأئمة من ولد الرسول ﷺ الذين كانوا يعكسون في سلوكهم وسيرتهم ومجالسهم وفي كل حركة من حركاتهم روح الاسلام ومبادئه وتعاليمه ويعبرون عنها اصدق تعبير ، كانوا أرفع من أن يستعملوا لغة السب والشتم للاشخاص والتشفي بلعنهم والتشهير بهم ، لا سيما وهم يعلمون بأن ذلك قد يجر عليهم وعلى شيعتهم المشاكل والمتاعب ولا ينفعهم بقدر ما يسيء إليهم .

ان عظمة الأئمة من اهل البيت مستمدة من سيرتهم وتفانيهم في سبيل الحق وخير الناس أجمعين لا من الخرافات والاساطير ولا من سيئات اخصامهم ، والتاريخ وحده هو الذي يكشف هذه الحقيقة ويضع الانسان اما في صفوف عباقرة العصور والمصلحين ، أو في صفوف الأبالسة والشياطين ، هذا بالاضافة

إلى أن الآثار الصحيحة تؤكد أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص على أن يترفع أصحابهم عن لغة السب والشتم وكشف العيوب، لقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام جماعة من أصحابه يشتمون معاوية ، فانكر عليهم ذلك وقـال : اني أكره لكم أن تكونوا قوماً سبابين، فإذا ذكرتموه وأصحابه فقولوا عوضاً عن ذلك اللهم اجمعنا واياهم على الحق والهدى واهدهم الى صراطك المستقيم ، في حين أن معاوية قد عمل بما تقتضيه طبيعته وطينته فأمر بلعن علي وشتمه على المنابر وفي النوادي والحلقات وأعد القصاصين لهذه الغاية كما أشرنا إلى ذلك في الفصول السابقة ، مع العلم بأن الذين حكموا قبل معاوية كانوا اتزه منه واحرص منـه على مصلحة الاسلام بعشرات المرات ، ومن الثابت ان الرواية التي رواها بعض المؤرخين والمحدثين والتي تنص على ان علياً عليه السلام قد أمر أصحابه بلعن معاوية وقنت بلعنه في صلاته . هذه الرواية من موضوعات معاوية وأتباعه وضعوها ليبرروا بها شتم علي ولعنه على منـابر المسلمين ، بل وحتى في الصلاة وجميع الطاعات .

وقد ذكرنا في الفصل السابق رواية ابراهيم بن أبي محمود عن الامام الرضا عليه السلام حول هذا الموضوع والتي يحدد فيها موقف الأئمة من تلك المرويات .

وذكر جماعة من المحدثين وكتاب الفرق ان جمـاعة ممن بايعوا زيداً في الكوفة قالوا له : في الوقت الذي استعد لمواجهة اتباع الامويين : ما تقـول رحمك الله في أبي بكر وعمر ، فقال : غفر الله لهما ما سمعت احدا من آبائي تبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا ، فقالوا له: فلمَ تطالب اذن بدم أهل البيت ، فقال ان أشد ما أقول فيمن ذكرتم ، إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا كفرا، فقد ولوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة ، قالوا : فلم تقاتل اذن ؟ قال : ان هؤلاء ليسوا كاولئك ، ان هؤلاء ظلموا النـاس وظلموا أنفسهم ، واني ادعو

الى كتاب الله وإحياء السنن واماتة البدع ، فإن تسمعوا يكن خيراً لـكم ولي وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل،فرفضوه وانصرفوا ونقضوا بيعته فلحقهم اسم الرافضة كما يبدو ذلك في كتاب الفرق والمؤرخين ، ولو صح ما ينسب إلى الأئمة (ع) من أنهم كانوا يشتمون ، أو يرضون بالسب والشتم لا يمكن أن ينفي زيد هذا الامر نفياً قاطعاً ويصر على موقفه ، وهو يعلم ان جماعة ممن بايعوه سينفضون منحوله وهو في أمس الحاجة الى الانصار والاتباع .

وجاء عن الأمام علي بن الحسين عليه السلام أنه أنكر على جماعة من الشيعة شتمهم للخلفاء وقال لهم : أيها الناس أحبونا حب الاسلام فما برح حبكم لنا حتى أصبح علينا عارا وحتى بغضتموننا الى الناس .

وجاء عنه أن جماعة من الشيعة نالوا من أبي بكر وعمر فيمجلسه فقال لهم: أخبروني أ أنتم من المهاجرين الأولين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم من الذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ؟ قالوا:لا ، فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتم على أنفسكم وشهدتم بأنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله فيهم : « والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا » قوموا عني لا بارك الله فيـكم ولاقرب دوركم أنتم مستهزئون بالاسلام ولستم من أهله .

ورويت هذه الحادثة مع ولده الامام محمد الباقر عليه السلام ومن الجائز أن تكون قد تكررت معهما وأجاب الثاني بعين جواب الاول، لان منطقهما واحد وهدفهما واحد لا يدارون ولا يحابون ولا يهمهم إلا رضا الله وخير الناس أجمعين .

وروى جابر الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال له وهو يودعه :

ابلغ أهـل الكوفة أني بريء ممن تـبرأ من أبي بكر وعمر ، ومن لم يعرف فضلهما فقد جهل السنة .

وروي عنه أنه قال له : بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهـم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهـما ويزعمون أني أمرتهم بذلك فابلغهم أني بريء منهم، والذي نفسي بيده لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ ان لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما .

وجاء عن الامام الصـادق عليه السلام أن عروة بن عبد الله سأله عن حلية السيوف ، فقال : لا بأس بها ، فقد حلى أبو بكر الصديق سيفه ، قال له : أتقول الصديق فوثب واستقبل القبلة ، ثم قال : نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولا. الى غير ذلك من المرويات المنتشرة هنا وهناك وهذه المرويات وان لم تكن مستوفية للشروط المطلوبة من حيث متنها وسندها كما يبدو ذلك من رواية جابر المتقدمة التي يقول الامام فيها: لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم ، فانهم لا يستوجبون هـذه العقوبة لمجرد أنهم ينالون من أبي بكر وعمر كما هو المعلوم حتى ولو كان ابو بكر وعمر في منتهى القداسة، إلا أن هذه المرويات على تقدير صدورها ولو لأي جهة من الجهات تلمح إلى أن لغـة السباب والشتائم ليست مألوفة للأئمة (ع) ولا هي من منطقهم، ولا تساعدهم الظروف على استعمالها ، وبالإمكان أن تكون تلك المرويات من صنع الدساسين وأعداء الأئمة كما ذكرنا سابقاً حسبما يتفـق مع مصالحهم وأغراضهم الدنيئة ، وأنا لا أريد أن أبرىء بعض المتشيعين من الطعن على الخلفـاء وإلصاق بعض الصفات المشينة بهم، فقد وضع بعضهم عدداً من المرويات حول هذا الموضوع ونسبوها إلى الأئمة إلى جانب ما وضعه اعوان الحكام من المرتزقة وأعداء أهل البيت، كما جاء في رواية ابراهيم بن أبي محمود عن الامام الرضا عليه السلام، كما واني

لا اريد أن ابرىء أحـدأ من الظلم والاغتصاب وان أضع الظالمين في صفوف الاتقياء والصلحاء،فالله في كتابه قدلعن الظالمين في أكثر السور والآيات ووعدهم بالخزي والعذاب الأليم ، ولكن الذي أريده أن الأئمـــة الهداة (ع) مع حرصهم الأكيد على التمسك بالحق الذي جعـله الله لهم والذين هم أولى به من أي انسان آخر مها كانت منزلته وصفته، كانوا عندما يحاولون اظهار حقهم وظلامتهم لا يتعدون اسلوب القرآن الكريم في التنديد بالظـالمين والغاصبين ذلك الاسلوب الذي يتناسب مع مقامهم الرفيـع وحرصهم على تماسك الأمة في مقابل أعداء الاسـلام الذين يكيدون لله ورسوله وكتابه، كما نبهت على ذلك اكثر من مرة في الفصول السابقة والله من وراء القصد .

من الموضوعات في المثالب

جـاء في الوافي من رواية سليم بن قيس عن سلمان الفارسي أنه جـاء إلى علي عليه‌السلام وهو يغسل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فاخبره بما صنع الناس، وأخبره أن أبا بكر على منبر رسول الله وأن الناس يبايعونه بكلتا يديه، فقال له علي عليه‌السلام هل تدري أول من بايعه على منبر رسول الله ، فقال له سلمان لا أدري : غير بشير بن سعد وأبي عبيـدة وعمر بن الخطاب وسالم ، فقـال له الامام : لا أسالك عن هذا ، ولكن هل تدري أول من بايعه حـين صعد على منبر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: رأيت شيخاً كبيراً متوكئا على عصاه بين يديه سجادة شديد التشمير ، صعد إليه أول من صعد وهو يبكي ويقول : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك فبسط يده فبايعه ثم نزل وخرج من المسجد ، فقال علي عليه‌السلام أتدري من هو قلت لا : ولقد ساءتني مقالته وكأنه شامت بموت النبي، فقال له علي عليه‌السلام ذاك ابليس لعنه الله ، أخبرني رسول الله أن ابليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله اياي في غدير خم بامر من الله ، وامر الأبالسة الذين حضروا معه يوم ذاك ان يبلغ الشاهد منهم الغائب ، فاقبل ابليس الأبالسة ومردة اصحابه ، فقالوا : ان هذه امة مرحومة معصومة وما لنـا عليهم من سبيل ، فانطلق ابليس حزينا كئيبا

وأضاف الى ذلك علي عليه السلام كما جاء في الرواية : ان رسول الله اخبرني ان الناس يبايعون ابا بكر وان اول من يبايعه على منبري ابليس في صورة رجل شيخ مشمر ويجمع شياطينه وابالسته فيسخر ويقول : زعمت ان ليس لي عليهم سبيل فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتى تركوا امر الله وطاعته وما امرهم به رسول الله [1] .

وجاء فيه عن صباح المزني عن جابر الجعفي عن الامام محمد الباقر عليه السلام رواية بهذا المضمون جاء فيها : ان الناس لما بايعوا ابا بكر لبس ابليس تاج الملك ونصب منبرا وقعد في خيله والويته وامرهم ان يطربوا ، واضاف الى ذلك الراوي ان الامام الباقر فسر الآية « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه » ببيعة ابي بكر [2] .

وجاء في الوافي باب ما نزل فيهم وفي اعدائهم عن محمد بن اورمة وعلي ابن حسان بسند يتصل بالامام الصادق عليه السلام انه قال : ان الآية « **الذين آمنوا ثم كفروا ، ثم آمنوا ، ثم كفروا ، ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم** » نزلت في فلان وفلان وفلان ، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في اول الامر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، ثم آمنوا في البيعة لأمير المؤمنين ، ثم كفروا حيث مضى رسول الله فلم يقروا

---

(١) ويكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات سليم بن قيس وهو من المشبوهين والمتهمين بالكذب ، وقد ورد في الكتاب المنسوب إليه ان محمد بن ابي بكر وعظ أباه عند الموت مع انه كان في حدود السنتين من العمر ، كما ورد فيه ان الأئمة ثلاثة عشر اماما .

(٢) لقد ورد في سند هذه الرواية صباح المزني وجابر الجعفي وهما ضعيفان وقد ورد في جابر قدح ومدح ، والاكثر على انه كان مخلطا ، وتشير بعض المرويات عن الامام الصادق أنه كان لا يرتضيه ، وعلى اي الاحوال فلا يستطيع الباحث في تاريخه ان يخرج وبين يديه حكم ببراءته ولو من بعض ما نسب إليه .

له بالبيعة وازدادوا كفرا بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم فلم يبق فيهم من الايمان شيء .

وروي ابن أورمة بنفس السند عن الامام الصادق عليه السلام كما جاء في الوافي أنه قال في تفسير الآية : « **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى** » **هم فلان وفلان وفلان ، فقد ارتدوا عن الايمان في ترك ولاية علي** وان الآية : « **ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الامر** » **نزلت والله فيهم وفي اتباعهم** .

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام أن الآية : « **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** » نزلت فيه حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم وجحودهم بما انزل في علي عليه السلام فالحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليه فبعداً للقوم الظالمين [1].

وجاء في معالم الزلفى عن العياش عن خيثمة الجعفي والمفضل بن عمر في الباب الثاني والعشرين في صفة الحشر أنهما قالا: كنا عند أبي جعفر الباقر ليلاً ليس عنده أحد ، فقال له المفضل : حدثنا بحديث نسر به ، قال نعم ، ثم استرسل الامام في حديث طويل يصف فيه حالة الناس في المحشر وحالة الانبياء والاولياء وما يلقونه من الترحيب والاكرام والتعظيم ، وكيف يلتفون بمحمد ويلوذون به بوصف رائع وخيال خلاق مبدع شأن المفضل في أكثر مروياته عن الأئمة ، وبخاصة عندما يحاول الدس والتشويش على الأئمة الهداة،

---

(١) هذه المرويات وامثالها من تفسير الباطن المنسوب الى محمد بن اورمة وعلي بن حسان ويونس بن ظبيان وامثالهم من المتهمين بالغلو والانحراف ، وقد ضعفهم المؤلفون في الرجال وتوقفوا في مروياتهم ، ويكفي هذه المرويات عيبا ورودها عن طريق هؤلاء بالاضافة الى عيوبها الاخرى .

ويمضي قائلاً : فيقوم شيطان كل فرقة فيتبعونه ، حتى تبقى هذه الامة ، ثم يخرج مناد من عند الله سبحانه ، فيقول : يا معشر الخلائق أليس العدل من ربكم أن يأتي كل فريق مع من كانوا يتولونه في دار الدنيا ، فيقولون : بلى فيقوم شيطان فيتبعه من كان يتولاه ، ثم يقوم الثاني فيتبعه من كان يتولاه ثم يقوم شيطان ثالث فيتبعه من كان يتولاه ، ثم يقوم معاوية بن ابي سفيان فيتبعه من كان يتولاه ، ثم يقوم يزيد بن معاوية واتباعه، ويقوم الحسين عليه السلام واتباعه ، ومروان وعبد الملك وعلي بن الحسين واتباعهما الى ان يصل الى الامام الصادق .

ثم قال الامام على حد زعم المفضل ، ثم اقوم انا فيتبعني من يتولاني ، وكأني بكما معي نجلس معاً على عرش ربنا ويؤتى بالكتب فنشهد على عدونا ونشفع لمن كان من شيعتنا مرهقاً بالذنوب ، ويقف الراويان عند هذا الحد بعد ان جاءت جارية الامام ، وأخبرته ان بعض القرشيين بالباب فانقطع عن الحديث عند ذلك .

لقد اشتملت هذه الرواية على بعض الامور البعيدة عن منطق الاسـلام واسلوب الأئمة ، وبخاصة التعبير عن الخلفاء الثلاثة بالشياطين ، هذا التعبير الذي لم يقصد منه إلا الاساءة الى الامام الصادق وايجاد فجوة بينه وبين من لا يؤمن بمثل هذه الاساطير ولا يرضى بالاساءة الى الخلفاء الثلاثة ، ولم يكتف بكل ذلك حتى نسب الى الامام عليه السلام انه يحتل عرش الرب ومعه المفضل وخيثمة ، في حين ان الامام قد لعـن المفضل وحذر أصحابه من مكره ودسائسه في اكثر من مناسبة ووصفه بالشرك والكفر ، وقلما تخلو رواية من مروياته من الغلو في الامام أو المبالغة فيما يحدث به ، لذلك فقد عده المؤلفون في الرجال من الضعفاء المتروكين، مع وجود بعض المرويات عن الامام الصادق عليه السلام في الثناء عليه ، واقل ما يوجب ذلك التوقف في أمره والحذر من مروياته .

وأما خيثمة الجعفي فلقد ورد اسمه في كتب الرجال مع الحسان ولم يرد في حديثهم عنه ما يشعر بوثاقته وصحة الاعتماد على مروياته ما لم تتأيد ببعض القرائن والشواهد ، ومن غير الميسور ان تجد لهذا النوع من المرويات شاهداً يرجح صدورها عن الامام عليه السلام .

وروي في معالم الزلفى في رواية اسندها ابو الخطاب الى حريز عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى : « **يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني لم اتخذ فلاناً خليلا** » ان ابا بكر يقول ياليتني لم اتخذ الثاني خليلا ، وقد أكد هذا المعنى جابر الجعفي في روايته عن ابي جعفر للباقر عليه السلام وجاء فيها ان امير المؤمنين خطب الناس ، وقال في خطبته : ولئن تقمصها دوني الاشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحق وركباها خلالة ، واعتقداها جهالة ، فلبئس ما عليه وردا ، ولبئس ما لأنفسهما مهدا . يتلاعبان في دوارهما فيتبرأ كل منهما من صاحبه ، ويقول لقرينه إذا التقيا : ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ، لبئس القرين ، فيجيبه الاشقى : ياليتني لم اتخذك خليلا ، لقد أضللتني عن الذكر بعد ان جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا ، ويضيف الراوي الى ذلك بعض الفقرات التي تنذر بسوء مصيرهما وشدة عذابهما، وروي بمضمونها عن الامامين الباقر والصادق باسانيد غير مستوفية للشروط كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال .

واما ابو الخطاب محمد بن ابي زينب احد الرواة لهذا اللون من الاحاديث فلقد قال فيه الشيخ محمد طه في رجاله بانه ملعون باتفاق الاصحاب، وقد لعنه الامام الصادق وحذر اصحابه من دسائسه ومروياته كما نص على ذلك المرزا محمد والنجاشي والكشي وغيرهم .

وجاء في معالم الزلفى عن الشيخ علي بن مظاهر تلميذ فخر الدين ابن العلامة الحلي عن ابي الحسن علي الهادي عليه السلام ان حذيفة اليمان دخل في اليوم

التاسع من ربيع الأول على النبي ﷺ وعنده علي والحسنان (ع) يأكلون معه وهو يبتسم في وجوههم ، ويقول لولديه الحسن والحسين كلا هنيأ لكما في هذا اليوم فانه اليوم الذي يقبض فيه عدو الله عمر بن الخطاب عدو الله وعدوكما ويستجيب فيه دعاءكما ، كلا فانه اليوم الذي يقبل فيه الله اعمال شيعتكما ومحبيكما، كلا فانه اليوم الذي يفقدفيه فرعون أهل بيتي وظالمهم وغاصب حقهم كلا فانه اليوم الذي يعمد الله الى ما عملوا من عمل فيجعله هباء منثوراً، ويمضي النبي كما يزعم الراوي يصف عمر بن الخطاب ويلصق به العيوب والبدع فلا يترك شيئاً إلا ويلصقه فيه ولا لعنة إلا ويتوجه بها ، ويعود الى فضل اليوم التاسع من ربيع الاول وما أعده الله فيه لشيعة علي فيقول : ان الله أمر السموات السبع وما فيها ان يتعبدوا في هذا اليوم ويستغفروا لشيعتكم، ورفع القلم عن الخلق ثلاثة أيام لا يكتب فيها على أحد سيئة مهما كان نوعها وخطرها كرامة لمحمد وعلي وتعظيما لهذا اليوم الذي تهدم فيه اعظم ركن من اركان الجور والطغيان والفساد ، في حديث طويل يبلغ أكثر من خمس صفحات اذا أردنا تدوينه بكامله ، في حين ان جميع فقراته تشهد بأنه من صنع الدساسين الحاقدين على أهل البيت وشيعتهم [1] .

ولو لم يكن في معالم الزلفى من المكذوبات غير هـذا الحديث لكفاها وصمة وعـارا ، على ان الاحاديث المكذوبة فيها لا تقـل عن الأحاديث التي يمكن التغاضي عن عيوبها ، وعلى أي الأحوال فالعارفون من الشيعة وعلماؤهم

(١) هذا الحديث هو المعروف عند البعض من عوام الشيعة بحديث كلا كلا كناية عن أن النبي بزعم الراوي كان يكرر هذه الكلمة على الامامين الحسن والحسين استبشاراً بهذا اليوم الذي يقتل فيه الخليفة ويلاقي مصيره المحتوم ، ومن الثابت ان الخليفة الثـاني كانت وفـاته في أواخر ذي الحجة من سنه ٢٣ هجرية .

لا يعترفون بهذا الحديث وأمثاله من المنكرات ، ولا يتنافى ذلك مع وجود هذا النوع من الاحاديث بين المرويات المنسوبة إليهم وفي بعض مجاميعهم ، لأن أكثر المؤلفين في الحديث قد حشدوا في مجاميعهم كل ما وقفوا عليه من المرويات وتركوا للباحث حرية النقد والاختيار ، ويجد المتتبع في مجاميع السنة بل وفي صحاحهم أغرب من هذا الحديث وابشع .

وروي في الكتاب المذكور عن سليم بن قيس أن علياً قال لسلمان وأبي ذر وعمار والمقداد : اذكركم الله اسمعتم رسول الله يقول : ان تابوتا من نار فيه اثنا عشر رجلا، ستة من الأولين وستة من الآخرين في قعر جهنم في تابوت مقفل على ذلك الجب صخرة اذا اراد الله ان يسعر جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب فاسعر جهنم من وهج ذلك الجب ومن حره، وجاء في الحديث ان عليا قال لهم : فسألت رسول الله وانتم حضور ، فقال: اما الأولون فابن آدم الذي قتل اخاه ، وفرعون الذي حاج ابراهيم في ربه ورجلان من بني اسرائيل بدلا كتابهما وغيرا سنتهما ، احدهما هود اليهود والآخر نصر النصارى وعاقر ناقة صالح وقاتل يحيى بن زكريا والدجال والاربعة من أصحاب الكتاب ، وجبتهم وطاغوتهم الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا ابا الحسن .

وروي في الكتاب المذكور عن يزيد بن هرون وعن كتاب تحف الاخوان وعن اسحاق بن عمار الصيرفي وجماعة آخرين احاديث حول الشيخين الجليلين ومصيرهما في الآخرة باسانيد ضعيفة واهية لا يجوز الاعتماد عليها في شيء من امور الدين بمقتضى الاصول التي وضعها علماؤنا الاعلام للاخذ بالرواية ، هذا بالاضافة الى متون تلك الروايات وصياغتها التي لا تنسجم مع اسلوب الأئمة (ع) في التعبير عن مقاصدهم واهدافهم النبيلة الفاضلة ، هذا الاسلوب الذي

يتميز بالتسامح والدعوة الى كل ما من شأنه ان يؤلف ولا يفرق ويجمع ولا يشتت ويأخذ بيد الناس الى ما فيه خيرهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة .

أقول ذلك وأناعلى يقينمن ان القومقد انتزعوا الحق من أصحابه الشرعيين بعد ان تمت عليهم الحجـة ولم تترك لهم مخرجاً كما تؤكد ذلك المرويات عن النبي ﷺ ، ولكن اصحاب الحق كانوا فوق مستوى الانسان الذي يريد ان ينفس عن غمه بمثل هذه الأساليب التي لا تجدي نفعاً ، وقد تجر عليهم وعلى من يتحدث بها اسوأ انواع البلاء والتعذيب والله سبحانه لكل ظالم بالمرصاد.

وروى عن ابن عباس وكعب الاحبار حديثا طويلا جاء فيه ان عبد الله ابن عمر قال : لما دنت وفاة ابي كان يغمى عليه تارة ويفيق أخرى ، فلـما أفاق قال : يا بني ادركني بعلي بن ابي طالب قبل الموت ، فقلت له : وما تصنع معه وقد جعلتها شورى واشركت معه غيره، قال:يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان في النار تابوتا يحشر فيه اثنا عشر رجـلا من اصحابي ، ثم التفت الى ابي بكر وقال : احذر ان تكون أولهم، ثم التفت الى معاذ بن جبل وقال : اياك ان تكون الثاني، ثم التفت الي وقال اياك يا عمر ان تكون الثالث، وحينا اغمي علي يا بني رأيت التابوت وليس فيه إلا ابو بكر ومعاذ ابن جبل وانا الثالث لا اشك فيه ، قـال عبد الله : فمضيت الى علي بن ابي طالب وقلت : يا ابن عم رسول الله ان ابي يدعوك لامر قد احزنه فقـــام علي عليه السلام فلما دخل عليه ، قال يا ابن عم رسول الله ألا تعفو عني وتحللني منك ومن زوجتك فاطمة الزهراء واسلم لك الخلافة ، فقال له علي عليه السلام : على شرط ان تجمع المهاجرين والانصار وتعطي الحق الذي حرصت عليـه من ملكه وما كان بينك وبين صاحبك من معاهدتنا ، وتقر لنا بحقنا ، وأعفو عنك واحللك، واضمنلك عن ابنة عمي فاطمة ، قال عبد الله : فلما سمع أبي

ذلك حول وجهه الى الحائط وقال : النار يا أمير المؤمنين ولا العار.

هذا الحديث لو تغاضينا عن سنده المتصل بكعب الاحبار المعروف بين المحدثين والمؤرخين بالكذب على الرسول والصحابة الكرام وادخال البدع والغرائب والمنكرات بين احاديث المسلمين وتفاسيرهم للقرآن الكريم ، لو تغاضينا عن ذلك فلا يسع أي باحث ان يتغاضى عن الخلل الموجود في متنه ، لقد اضطرب عمر بن الخطاب حينما اطلع على زميليه في تابوت من نار على حد زعم الراوي ، وكان قد حذره الرسول ان يكون احد المعذبين فيه ، ولما نظر اليه هاله هذا المنظر واستغاث بعلي ليخلصه من هذا المصير ، ويدعي الراوي ان علياً لم يتصلب معه ووافق على ذلك. ولماذا تراجع عمر ووطن نفسه على النار وهو في اللحظات الاخيرة وعلى فراش الموت لا أمل له بالنجاح ولا طمع له بالسلامة من تلك الطعنة التي لم يكن بريئا منها كعب الاحبار ؟ ان هذا الحديث اذا لم يكن من صنع كعب الاحبار ، فما لا شك فيه بأنه من صنع اعداء الشيعة الذين كانوا يحاولون ان يشحنوا القلوب بالحقد على الشيعة وأئمة الشيعة بواسطة هذه المرويات واشباهها .

وجاء في مختصر بصائر الدرجات للشيخ حسن بن سليمان الحلي من حديث طويل يبلغ نحواً من تسع صفحات رواه المفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه‌السلام تناول فيه المفضل وصفاً شيقاً لبعض المراحل التي تسبق ظهور المهدي محمد بن الحسن والتي تقترن بظهوره والانتصارات الباهرة التي يحققها بأسلوب يبدو عليه الافتراء والتشويش على الأئمة الكرام ، ويمضي المفضل في حديثه ليصف موقف الامام المنتظر من الشيخين الجليلين ابي بكر وعمر واخراجهما من المكان الذي دفنا فيه بجوار الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وانه يخرجهما من قبرهما غضين طريين كصورتهما يوم كانا حيين ، ويأمر برفعهما على شجرة يابسة نخرة

فيصلبهما عليها فتخضر وتورق ، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما : هذا والله الشرف حقاً ، لقد فزنا بمحبتهما وولايتهما ، ثم ينادي منادي المهدي كل من أحب صاحبي رسول الله فلينفرد جانباً فيتجزأ الخلق جزأين ، أحدهما موال والآخر متبرىء منهما ، فيعرض عليهم المهدي البراءة ، فيقولون إنا نتبرأ منك ومن آبائك وبخاصة بعد أن رأينا في هـــذا الوقت من نضارتها وغضاضتها وحياة الشجرة بها ، فيأمر المهدي ريحاً سوداء فتهب عليها فيجعلها كأعجاز نخل خاوية ، ثم يأمر بانزالها من الشجرة فينزلان اليه فيحييهما باذن الله ويأمر الخلق بان تجتمع اجتماعاً عاماً ، ثم يقص على الناس فعالهما وما وقع من المفاسد ابتداء من قتل هابيل الى اشمال النار على باب أمير المؤمنين وضـرب فاطمة ورفس بطنها وسم الحسن وقتـــل الحسين ، ويضيف الراوي الى ذلك : ان الامام قال : ان كل دم سفك وفرج نــكح حراما ، وكل فاحشة واثم وظـلم وجور منذ عهد آدم الى قيام القائم هو منهما فيقتص منهما في ذلك الوقت ، ثم يصلبهما على شجرة ويأمر نارا تخرج من الارض فتحرقهما والشجرة ، ثم يأمر الريح فتنسفهما في اليم نسفا .

ويدعي المفضل انه سأل الامام عما يجري عليهما بعد ذلك ، فقال : انهما يقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان الى ما كانا عليه ، ثم يأخـذ المفضل في وصف مواقف الحجة وعدد جنوده من الملائكة والجن والانس ولقائه مع الحسين عليه السلام ومعه جند عظيم من الجـن والانس والملائكة ثم بعلي صاحب القبة البيضاء على النجف القائمة على أربعة أركان احدهما بالنجف ، والثاني بهجر ، والثالث بصنعاء ، والرابع بارض طيبة ، ولم يقف المفضل عند هذا الحد ، بل يمضي ليخبر عن رجوع رسول الله ولقائه بالمهـــدي ، فيقول : قلت له : يا سيدي رسول الله وأمـــير المؤمنين يكونان معـه ، فقال : لا بد وان يطـأ الارض حتى ما وراء القاف اي والله وما في الظلمات وقعر البحار الى غير ذلك من الكذب والافتراء على الامـام الصادق عليه السلام

وجاء في الحديث ان الحجة يخرج امره الى ثقاته ووكلائه ويقعد ببابه محمد بن نصير النميري في غيبته بصابر ثم يظهر بمكة .

ومن المتفق عليه ان محمد بن نصير النميري من الغلاة الكذابين .

وجاء في اتقان المقال وغيره ان محمد بن نصير ادعى النبوة وان الامام العسكري ارسله الى الناس ، وكان يقول بالتناسخ واباحة المحرمات ونكاح الرجال بعضهم بعضا، وان اللواط هو احد الطيبات التي أحلها الله، الى غير ذلك من المقالات المنافية لاصول الاسلام وفروعه .

وقد اشتمل سند الرواية بالاضافة الى المفضل على عمر بن الفرات والحسين ابن حمدان وهما من الغلاة الكذابين الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد على مروياتهم.

واتفق المؤلفون في الرجال على ان الحسين بن حمدان كذاب صاحب مقالة فاسدة ملعون لا يلتفت اليه على حد تعبيرهم [1] .

ولو تغاضينا عن سنده ففي متنه أكثر من شاهد على انه من موضوعات الغلاة ، أو الزنادقة الذين دسوا آلاف الاحاديث في أخبار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لتشويه وجه التشيع الناصع بمثل هذه الخرافات التي لا تقبلها العقول ولا تنسجم مع مبادىء الاسلام واهدافه الرفيعة السامية .

وجاء في الوافي عن محمد بن اورمة وعلي بن حسان عن ابي عبد الله الصادق في تفسير الآية [وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد] ان الذين هدوا الى الطيب والى صراط الحميد هم حمزة وجعفر وعبيدة بن عبد المطلب وسلمان والمقداد وعمار وابو ذر ، هؤلاء هداهم الله الى الطيب من القول ، وهو ولاية علي بن ابي طالب .

---

(١) انظر ص ٢٧٧ من الاتقان .

وان الآية : « وكره إليكم الفسوق والكفر والعصيان » ، ابو بكر وعمر وعثمان وهذا التفسير من تفسير الباطن المنسوب لمحمـــد بن اورمة وعلى بن حسان وهما من المتهمين بالغلو ، ولهما كتاب في تفسير الباطن ، كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرجال .

وجاء في كتب الرجال ان علي بن حسان كان فاسد الاعتقاد، وهو يروي في الغالب عن عمه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي ، وهو من المتهمـين بالكذب وتأويل القرآن بمثل هذه التأويلات البعيدة عن ظاهره واسلوبه [1] .

وروى بسطام بن مرة عن اسحاق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي ابن الحسين العبدي وسعد الاسكاف عن الاصبغ ان امير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى: « أن اشكر لي ولوالديك وإلي المصير ، وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » ، فقـال : الوالدان هما النبي وعلي(ع) وان جاهداك: الشيخان، على ان تعدل عما امرت به من وصاية علي فلا تطعهما وصاحب النبي والوصي في الدنيا معروفا ، أي عرف الناس فضلهما وادع الى سبيلهما .

ولعل هذا التأويل من اسوأ أنواع التصرف بالكلام والتلاعب بالالفاظ ، والراوي له عن الاصبغ هو سعد الاسكاف وبينه وبين الاصبغ اكثر من تسعين عاماً ، هذا بالاضافة الى أنه من المتهمين بالكذب والانحراف ، وبقيـة الرواة لهذا الحديث كلهم من المجهولين ولم اعثر على احد منهم في كتب الرجال .

وروي عن محمد بن اورمة وعلي بن عبد الله عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير ان ابا عبد الله الصادق عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى: « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم » نزلت في

---

(١) انظر ص ٣٢٦ و ٣٣٩ من اتقان المقال ، وانظر رجال المرزا محمد ، حرف الميم .

فلان وفلان وفلان ، آمنوا بالنبي في أول الأمر ، ثم كفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لعلي عليه السلام ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ .

وروى أيضاً بهذا السند عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : في تفسير الآية : « **إن الذين ارتدوا على ادبارهم بعد ما تبين لهم الهدى** » قال : انها تعني فلانا وفلانا وفلانا حيث انهم ارتدوا عن الايمان بولاية علي ، وان الآية : « **ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله سنطيعكم في بعض الأمر** » نزلت فيهم وفي اتباعهم حيث تعاقدوا مع بني امية على ان لا يصيروا هـذا الامر فينا بعد النبي ولا يعطونا من الخمس شيئا ، فقالوا سنطيعكم في بعض الأمر ، فانزل الله فيهم : « **أم ابرموا امراً فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم** » .

لقد ورد هذا السند في بعض المرويات السابقة وجميع رجاله من المتهمين بالكذب والغلو في الأئمة كما ذكرنا .

واني اذ اكتفي بهذه الامثلة وأقف عند هذا الحد من المرويات في المطاعن لا ادعي بأني قد استقصيت جميع المرويات في هذا الموضوع ، فالمتتبع لكتب الحديث والادعية يجد هنا وهناك امثلة اخرى ربما تكون كهـذه الامثلة أو اصرح منها ، إلا ان الباحث عندما يعرض متونها واسانيدها على علمي الرجال والدراية لا يـكاد يجد رواية من تلك المرويات ولادعاء على تلك الأدعيـة التي تتعرض لهذا الموضوع سالمة من العيوب التي يجب الوقوف عندها .

وأعود لاكرر بأني لا اريـد من ذلك ان اقدس الحكام والصحابة ولا أن ابرىء أحداً من تلك الاحداث القاسية التي لطخهم بها التاريخ ولم يترك منفذاً لبراءتهم منها ، ولا اريد ان اقول ان الأئمة (ع) قد هادنوا الظـلم والظالمين والمتمردين على أوامر الله ونواهيه وكانوا يترحمون على الماضـين ويباركون

تصرفاتهم وأعمالهم ، لا اريد شيئاً من ذلك ، ولكن الذي اريده انهم قد حاربوا الظالمين والطغاة المتجبرين والمنحرفين عن الخط الاسلامي بسلوكهم وسيرتهم وتعاليمهم التي كانت تعكس وجه الاسلام الصحيح، وفي الوقت ذاته تفضح مخططات الطغاة من حكام تلك العصور الذين تستروا بالاسلام والدين وحملوا قلوب الأبالسة والشياطين ، اما التشفي بالسب والشتم الذي يلجأ اليه الحمقى من الناس احياناً فليس من شأنهم ولا من اخلاقهم ، ولم يرض علي عليه السلام لشيعته ومحبيه ان يستعملوه مع معاوية الذي أسر الشرك واظهر الاسلام ، فكيف يرضاه الامام الصادق لمن هم اطهر من معاوية وامثاله بعشرات المرات .

وبعد التتبع في المرويات السنية استطيع ان اقول بأن المرويات التي وضعها اتباع الحاكمين والحاقدين ممن ينتسبون الى السنة ليست بأقل من المرويات الشيعية ، ولا المرويات الشيعية التي تسيىء الخلفاء بأقسى منها .

والى القراء أمثلة منها لاثبات هذه الحقيقة ، فمن ذلك ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة انها قالت : كنت عند رسول اذ أقبل علي والعباس ، فقال النبي : ياعائشة ان هذين يموتان على غير ملتي .

وروى عنها أنها قالت : ان سرك ان تنظري الى رجلين من أهل النار فانظري الى هذين ، قالت عائشة : فنظرت واذا بعلي والعباس قد أقبلا .

وروى عمرو بن العاص كما جاء في صحيحي مسلم والبخاري انه سمع النبي يقول : ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، انما ولي الله وصالح المؤمنين .

وروى الاعمش ان ابا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية عام الجماعة دخل مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مرارا وقال: يا أهل الكوفة أتزعمون أني أكذب على رسول الله واحرق

نفسي بالنار ، والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لكل نبي حرماً وان حرمي بالمدينة ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، واشهد بالله ان علياً احدث فيها ، فلما سمع معاوية اكرمه واجازه وولاه امارة المدينة .

وجاء في شرح النهج عن ابي جعفر الاسكافي ان المغيرة بن شعبة كان يكره عليا ويلعنه ويضع الاحاديث فيه وينسبها الى رسول الله ، كما كان يفعل مثله سمرة بن جندب، وقد بذل له معاوية خمسماية الف درهم ليروي للناس عن رسول الله ان الآية : « **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** » نزلت في ابن ملجم لأنه قتل علياً ، والآية : « **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** » نزلت في علي بن ابي طالب.

وجاء في المجلد الاول من شرح النهج ص ٣٦٠ ان الروايات تظاهرت عن عروة بن الزبير انه كان يسبه ويضرب باحدى يديه على الاخرى ويقول : وما يغنى أنه لم يخالف الى ما نهى الله وقد اراق دماء المسلمين ، واضاف الى ذلك ان حريز بن عثمان كان يبغضه ويروي الاحاديث المكذوبة فيه ، فقد روى حمزة بن حسان عنه انه كان يقول اذا ذكر علي عليه السلام : ذاك الذي أحل حرم رسول الله .

وقال يحيى بن صالح الوضاحي : لقد أتيت حريز بن عثمان فناولني كتاباً فاذا فيه : حدثني فلان عن فلان ان النبي أوصى عندما حضرته الوفاة ان تقطع يد علي بن أبي طالب .

وقال ابو جعفر الاسكافي : كان المغيرة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر يرضي معاوية بما يسوء الى علي عليه السلام ، وقد قال يوماً في مجلس معاوية: ان عليا لم ينكحه رسول الله ابنته حباً به ، ولكنه اراد ان يكافىء احسان

ابي طالب ، واضاف الى ذلك ابو جعفر ، وقد صح عندنا ان المغيرة لعنه على منبر العراق مرات لا تحصى [1] .

وقد وضع اعداء علي كالمغيرة وأشباهه عن لسان العباس انه سب عليـا ووصفه بالكذب والخيانة .

وجاء في صحيح مسلم ان العباس تنـازع هو وعلـي في ميراث رسول الله فجاء الى عمر بن الخطاب وقال له : يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هـذا الكاذب الآثم الغادر [2] .

وروى المبرد في الكامل ان خالد بن عبد الله القسري لما كان أمـيراً على العراق في خلافة هشام كان يلعن علياً على المنبر ويقول : اللهم العن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر الرسول على ابنتـه وابا الحسن والحسين ، ثم يلتفت الى الناس ويقول : هل كنيت ؟ .

وكان الوليد بن عبد الملك اذا ذكره يقول : كان لصاً وابن لص ، وهذه اللغة هي التي اعتادها الحكام وولاتهم واذنابهم والمرتزقة طيـلة عهدهم واصبح شتمه من أفضل الوسائل التي يتقرب بها إليهم الناس .

وجاء في شرح النهج ان رجلا اعترض الحجاج وهو في طريقه فقـال له : ايها الامير ان اهلي عقوني فسموني علياً فغير اسمي وصلني بما اتبلغ بـه فاني فقير لا املك شيئاً ، فقال الحجاج : ما ألطف ما توسلت به قد سميتك كذا ووليتك العمل الفلاني فاذهب اليه .

---

(١) انظر ج ١ من شرح النهج ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٢) انظر الغدير ج ٧ ص ١٤٩ .

وقد ذكرنا فيما مضى ان هشــام بن عبد الملك فرض على اتباعه من علمــاء ذلك العصر ان يرووا ان الآية : « **فمن تولى كبره منهم فله عذاب عظيم** » نزلت في علي عليه السلام فأقروه على ذلك. الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد ان الموضوعات في علي وبنيه ان لم تكن أكثر من الموضوعات المنسوبة الى الشيعة في الخلفاء واشد فحشا فلا تقل عنهــا كما وكيفاً ، فكما ان هذه المرويات لا تعكس رأي السنة في علي عليه افضل الصلاة والسلام ، فكذلك المرويات المنسوبة الى الشيعة ، فإنهم عندما يحاكمون اسانيدها يحكمون عليها بالضعف ولا يتحاشى اكثرهم من تكذيبها وعدها مع الموضوعات .

امثلة من المرويات في الفضائل

لقد ذكرنا في الفصول السابقة اسباب الكذب في الحديث والمراحل التي مر بها ، وذكرنا في أوائل هذا الفصل أمثـلة من الموضوعات في المثالب واني اذ اقدم هذه الامثلة من المرويات في الفضائل والكرامات اقدمها وانا واثق بأن اكثرها مكذوب على الأئمة الكرام (ع) .

فمن ذلك ما جـاء في اكمال الدين واتمام النعمة للصدوق عن جمـاعة من المحدثين عن عبد الله بن العبـاس عن ابيه عن ابي طالب (ع) انه قال : خرجت الى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي ﷺ في وقت أشد ما يكون من الحر ، فلما اجمعت على المسير قال لي رجال من قومي : ما تصنع بمحمد وعلى من تريد ان تخلفه ، قلت لا اريد ان اخلفه على احد من الناس اريد ان يكون معي والله لا يفارقني حيثما توجهت ابـدا ، فذهبت وحشوت حشية كساء كتافا وكنا ركبا كثـيرا ، فكان والله البعير الذى عليه محمـد امامي يسبق الركب كلهم ، واذا اشتد الحر جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة الثلج فتسلم عليه وتقف فوق رأسه ، وكانت ربما امطرت علينا السحابة بأنواع الفواكه وهي تسير معنا فكنا حيثما نزلنا تمتلىء الحياض ويكثر الماء وتخضر الارض ، فكنا في كل خصب وطيب من الخير ، ومعنا قوم قد وقفت جمالهم فمشى اليها رسول الله ومسح يده عليها فسارت ، فلما قربنا من بصرى الشام

اذا نحن بصومعة قد اقبلت تمشي كما تمشي الدابة السريعة ، حتى اذا قربت منا وقفت واذا فيها راهب والسحابة لاتفارق رسول الله ساعة واحدة ، وكان الراهب لا يكلم الناس ولا يدري ما الركب ولا ما فيه من التجار ، فلما نظر إلى النبي عرفه ، وسمعته يقول : إن كان أحد فأنت أنت ، فنزلنا تحت شجرة عظيمة قريبة من الراهب ، قليلة الأغصان ليس عليها حمل ، وكان الركبان ينزلون تحتها ، فلما نزل رسول الله اهتزت الشجرة والتفت أغصانها على رسول الله وحملت ثلاث أنواع من الفواكه فاكهتان للصيف وفاكهة للشتاء ، فتعجب جميع من كان معنا من ذلك ، فلما رأى بحيرا الراهب ذلك ذهب فاتخذ لرسول الله طعاماً بقدر ما يكفيه ، ثم جاء وقال : من يتولى منكم أمر هذا الغلام ، فقلت أنا عمه ، فقال : ياهذا ، أله أعمام غيرك ، فأي الأعمام أنت ، فقلت أنا أخو أبيه من أم واحدة ، فقال أشهد أنه هو وإلا فلست بحيرا ، ثم قال لي : ياهذا أتأذن لي ان اقرب هذا الطعام منه ليأكله ، فلما أذنت له قربه إليه فرأيته كارهاً لذلك ، فالتفت الى النبي ﷺ وقلت : يابني رجل أحب أن يكرمك فكل من طعامه ، فقال النبي : لا آكل دون أصحابي ، فقال الراهب لم يكن عندي أكثر من ذلك ، فاستأذنه النبي ﷺ ان يأكل هو وأصحابه وكانوا مائة وسبعين رجلا والطعام لا يكفي إلا لواحد ، فأكلوا جميعهم حتى شبعوا وتجشأوا على حد تعبير الراوي ، وبحيرا قائم على رأس النبي يقبله بين الحين والآخر ، ويكرر هو ، هو ورب المسيح ، والحضور لا يفهمون شيئاً .

وأخيراً اعترضه رجل من الركب وسأله عن صلته بالغلام ، فقال لهم : إني أرى ما ترون منه ولكني أعلم مالا تعلمون ، ولو علمتم أمر هذا الغلام لحملتموه على رقابكم ، والله ما أكرمتكم إلا له ، ولقد رأيت له نوراً أمامه ما بين السماوات والارض ، ورجالا في ايديهم مراوح من الياقوت والزبرجد ،

وآخرين ينثرون عليه أنواع الفواكه ، ثم هذه السحابة لا تفارقة حتى أن صومعتي مشت إليه كما تمشي الدابة على رجلها ، ثم هذه الشجرة لم تزل من عهد طويل يابسة قليلة الاغصان ، ولما جلس تحتهـا كثرت أغصانها وحملت ثلاثة أنواع من الفواكه فاكهتان للصيف وفاكهة للشتاء ، ثم الحياض التي امتلأت بعد أن غار ماؤها من أيام تمرج بني اسرائيل بعد الحواريين بدعاء شمعون عليهم

وأضاف بحيرا ان شمعون أخبر في كتابه ان هـــذه الحياض اذا امتلأت فاعلموا أنه لأجل نبي يخرج في ارض تهامة .

ومضى الراهب يسأل النبي عن بعض الاسرار وهو يجيبه ، وبحيرا يعدد له انتصاراته وما سيجري في زمانه من الكرامات والفتوحات ، ويقبل يديه مرة ورجليه أخرى ، ويقول : لقد ضحكت الارض يوم مولدك وهي لا تزال ضاحكة مستبشرة الى يوم القيامة ، وبكت الكنائس والبيع والشياطين ولا تزال تبكي .

وأضاف الراوي بعد حديث طويل من بحيرا يسمعه الركب بكامله - ان بحيرا أشار على عمه أن يرده خوفاً عليه من النصارى واليهود ، فلما دخل بصرى اهتزت قصور الشام كلها وعلا منها نور اعظم من نور الشمس ، وازدحم حوله الناس ينظرون إليه حتى لم يبق راهب ولا حبر إلا وخرج ، ومن بـين هؤلاء أعظم الاحبار المسمى بنسطور وبقي معه ثلاثة أيام لا يمل من النظر اليـه الى غير ذلك من الغرائب التي اشتملت عليها هذه الرواية .

ويستطرد المؤلف والقصاصون في عرض المرويات التي تتعلق برحلات النبي المتتالية الى الشام وبصرى منذ الثامنة من عمره الى السنة التي بعث فيها ، وما رافق ذلك من العجائب والغرائب والكرامات التي تمت بين النبي والرهبان والاحبار والبطاركة الكبار مما يوحي بأنها من صنع المندسين في الاسلام من المسيحيين واليهود ، ولخلق جو من التشكيك في رسالة محمد ﷺ وانه استمدها

من اليهودية والنصرانية وغيرهما من الاديان .

كما أثار هذه الشبهة جماعة من اعداء الاسلام المستشرقين وغيرهم ولا يزالون يثيرونها وبخاصة عندما يجدون هذه المرويات بين ايدي المسلمين وفي مجاميعهم وممن صرح بذلك انطون سعادة في كتابه الاسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية، فلقد جاء فيه ما حاصله ان محمداً بقي في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الناس الى المبادىء الثلاثة التالية :

« الايمان بالله ، ووحدانيته ، واليوم الآخر .

وهذه المبادىء اخذها من الرهبان والاحبار خلال اتصالاته بهم في سفراته الى بلاد الشام، ولما انتقل الى المدينة واستتب له الامر شكل دولة بها واخذ التشريعات والانظمة التي دعا إليها من التوراة حيث كانت المدينة مركزاً رئيسيا ليهود الجزيرة العربية .

وقال الاستاذ كتاني في كتابه فاطمة الزهراء صفحة ٤٠ ما حاصله : ان محمداً وضع فكرة النبوة في ذهنه بواسطة الرهبان الذين اتصل بهم خلال رحلاته الى الشام ، ووضع الفكرة موضع التصميم والتنفيذ في غار حراء ، ومع الاسف الشديد ان هذا الكتاب طبع في النجف الاشرف قبل سنتين تقريباً ونال مؤلفه الجائزة الاولى التي اقرتها الهيئة المشرفة على المباراة التي دعت اليها لجنة من الفضلاء والأدباء لوضع كتاب عن الزهراء (ع) وهي خمسماية دينار بدون ان يعلقوا عليه ، مع ان كلامه حول الموضوع كان ظاهراً في الدس على الاسلام ، ولكن الهيئة التي اختارت كتاب الكتاني من بين عشرات الكتب وقدمته على غيره قد تأثرت حسبما اعتقد بأسلوبه الطري الساحر وألفاظه المختارة البراقة ، وغطى ذلك على ما فيه من دس واخطاء فكرية .

وعلى أي الاحوال فالاستاذان سعادة وكتاني ليسا بأول من أثار هذه الشبهة حول رسالة النبي العظيم ﷺ، فلقد سبقهم عدد من المستشرقين وغيرهم

واعتمد بعضهم على هذه المرويات التي دونها المحدثون في مجاميعهم بدون تدبر في مضامينها ولا تقدير لما يلتج عنها ، مع العلم بأن الحاجة يوم ذاك والنبي ﷺ لا يزال في الثامنة من عمره لا تدعو الى هذا النوع من الاعجاز الذي لم يجر له في ادق المراحل التي مرت بها دعوته خطورة وضيقاً .

وهل من الممكن ان يشاهد ذلك الركب المؤلف من مائة وسبعين رجلا من تجار مكة صومعة مقبلة على محمد وهو طفل صغير تمشي على رجلين بخشوع واحترام، وشجرة يابسة تحمل لهم ثلاثة انواع من فواكه الصيف والشتاء ، وغمامة تسير معهم عبر الصحراء الواسعة ، وحياضاً تتدفق فيها المياه العذبة في تلك الصحراء القاحلة التي لا شيء يراود فيها اذهان المسافرين غير التخوف من الموت عطشا ، ورهبانا وبطارقة يتدافعون بحماس وحرارة لينظروا محمداً ويتبركوا بطلعته ، وقصوراً شامخة في بصرى وبلاد الشام تنحني اجلالا واحتراما ، وعالما يموج بعضه في بعض يتزاحم على النظر اليه .

فهل من المعقول ان يشاهد ذلك الحشد الذي كان يرافقه جميع هذه الحوادث الكونية ، ومع ذلك لا يتغير موقفهم منه ولا تختلف نظرتهم اليه قبل ذلك ، هل من الممكن ان تجري هذه الحوادث بمرأى ومسمع من مائة وسبعين رجلا من التجار ، ولا يرويها سوى شذاذ الرواة؟!.

في حين ان نظرتهم اليه لم تتأثر بتلك الحوادث المزعومة ابدا ، وكانوا ينظرون اليه قبل النبوة باكبار واعجاب من خلال سيرته وامانته وصدقه وجميع صفاته التي امتاز بها عن جميع المكيين والعرب اجمعين .

على ان الصدوق نفسه يروي في موضع آخر ان ابا المويهب الراهب استقبل وفداً من تجار مكة وسألهم عن نسبهم وبلدهم فأخبروه بأنهم قرشيون مكيون، ولما سألهم عن محمد ﷺ قالوا له والله ما في قريش اخمل ذكرا منه وهو يتيم قريش واجير لامرأة منا يقال لها خديجة فحرك رأسه وقال : هو هو ،

ولما رآه خلى به ساعة يناجيه ويكلمه ، واخرج شيئاً من كمه فأبى رسول الله ان يقبله ، ثم اخبرهم بنبوته كما اخبرهم بوصيه علي عليه السلام وصفاته واسمائه ، وأضاف الى ذلك انا نجد صفة علي عندنا كما نجد صفة محمد وما اختصها الله به.

وهذه الرواية تشير الى ان هذه الرحلة الى الشام كانت قبل نبوته يوم كان عاملا عند خديجة وذلك بعد ان تجاوز العشرين من عمره ، وان ما اخبرهم به الراهب كان غريبا عنهم لم يسمعوه من قبل ، في حين ان الرواية الاولى تنص على انه كان في حدود الثامنة من عمره ، وان الركب التجاري الذي رافق تلك الرحلة كان يضم مائة وسبعين تاجرا من المكيين والقرشيين، وكلهم شاهدوا تلك الحوادث التي رافقت تلك الرحلة ، وقد ذكر حديث سفره الى الشام كل من المسعودي في مروج الذهب، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، ولكن رواية المسعودي لم تشتمل على شيء من تلك الغرائب وكل ما جاء فيها ان النبي كان له من العمر اثنا عشر عاما ، ولما مر الركب ببحيرا رأى النبي فعرفه بصفته وصنع له طعاما ووضع يده على كتفه ، واشار على الوفد ان يردوه الى المدينة خوفاً عليه من اهل الكتاب، واخبر بذلك ابا بكر وبلالا وكانا من الوفد المرافق له، وهما اخبرا عمه بذلك فرده الى المدينة وأخبر قريشا بما كان من امره .

وأما رواية البداية والنهاية فمع انها أوسع من رواية المسعودي إلا أنها تختلف اختلافا كبيراً عن رواية الصدوق واقتصرت على حديث الغمامة التي كانت تظلله وعلى اطعام الوفد واخبارهم بما يكون من امره ونصيحة ابي طالب بارجاعه الى المدينة تخوفاً عليه ، وتضيف الى ذلك ان عمه قد ارجعه مع ابي بكر وبلال ، في حين ان ابا بكر كان في حدود التاسعة من العمر ، وبلالا كان اقل من ذلك على حد تعبير ابن كثير في روايته .

وجاء في رواية الواقدي ان بحيرا حينما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشار على عمه

بارجاعه سـراً الى مكة وأوصاه به خيراً ، وهي اقرب الى الصحة من غيرها [1] .

وجميع ما اورده المؤلف حول هذا الموضوع رواته بين عامي غير موثوق في احاديثه وبين شيعي مجهول الحال، والشيء المظنون به ان الرسول الاعظم ﷺ لم يخرج مسافرا الى الشام سوى مرة واحـــدة في تجارة لخديجة بنت خويلد بعد أن تجاوز العشرين من عمره ، ومما لا شك فيه أن رحلته تلك قد تكللت بالنجاح الذي لم تكن ترجوه خديجة ولا غيرها من التجار ، ووجـد التجار الذين رافقوه من مظاهر الخير والبركة ما لم يعرفوه من قبل ، ومن الجائز ان يكون لبحيرا وغيره من الرهبان دور مع النبي ﷺ لم يتجاوز حدود الفراسة فيما سيكون من امره بعد ان وجدوا فيه ملامح الرجل الذي يبشر بنبوته الانجيل وكانوا يتوقعون ظهوره بين الحين والآخر .

وروى ابن بابويه عن احمد بن يحيى ومحمـد بن اسماعيل عن جماعة بسند يتصل بأبي طالب أن أبا بكر بن عبد الله بن أبي جهم حـدث عن أبيـه عن جده ان ابا طالب روى عن عبد المطلب أنه قال : بينما أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني فأتيت، كاهنة قريش وعلي مطرف خز تضرب منكبي ، فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغيير فاستوت وانا يومئذ سـيد قومي ، فقالت : ما شأن سيد العرب متغير اللون ، هل رابه من حدثان الدهر ريب فقلت لها: بلى : اني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة قد نبتت على ظهري ونال رأسهـا السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب ورأيت نوراً يظهر منها اعظم من نور الشمس سبعين مرة ، ورأيت العرب والعجم ساجدة

---

(١) انظر مروج الذهب ج ١ ص ٤٤ ، والبداية والنهـاية ج ٧ ص ٢٨٦ ، واكمـال الدين لمحمد بن بابويه القمي .

لها ، وهي كل يوم تزداد عظما ونورا،ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شـاب من احسن الناس وجها وأنظفهم ثيـابا فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لاتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشاب وقال مهلا ليس لك فيها نصيب ، فقلت لمن النصيب والشجرة مني فقال : النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها ، فانتبهت فزعاً مرعوباً ، فرأيت لون الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك ولد يملك المشرق والمغرب ويتنبأ في النـاس ، واضاف الراوي ان ابا طالب كان يحدث بهذا الحديث والنبي قد خرج ، ويقول : كانت الشجرة والله ابو القاسم الامين ، فيقولون له : فلم لم تؤمن به فيقول خوف السبة والعار .

هذا الحديث إن صح شيء منه وليس ببعيد ان تكون تلك الرؤيا صحيحة ولكني لا اشك بأن آخره من الموضوعات، لان ابا طالب كان من اسرع الناس الى الايمان بمحمد ﷺ واقواهم يقينـــا به واخلصهم لدعوته ، وكيف يرى اسلامه عـــارا وسبة كما يزعم الراوي ولولاه لتراكمت على النبي الصعوبات وضاقت الدنيا في وجهه ، وهو القائل :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينـا

إلى غير ذلك مما تواتر عنـه من الاقوال والافعال التي تؤكد صدق ايمـانه واخلاصه للرسول ودعوته وبراءته من كل ما الصقه بـه الامويون واتباعهم ، على ان الرواة له من العامة وهم ما بين ضعيف ومجهول الحال كما يظهر من لسان الميزان لابن حجر العسقلاني .

وجاء في اكمال الدين عن محمد بن يحيى العطار واحمد بن ادريس عن احمد ابن محمد بن عيسى من رواية طويلة لو أراد القارىء ان يقرأها لم ينته منهـا

بأقل من عشرين دقيقة تشتمل على المعجزات والكرامات قبـل ولادة النبي بأكثر من خمسين عاما، جاء فيها ان سلمان الفارسي عمر اكثر من مائتين وخمسين عاما ، وانه سمع وهو سائر مع ابيه في منطقة بشيراز قبـل نبوة محمد بزمن طويل صوتاً يخرج من صومعة يقول : أشهد ان لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله ومحمد حبيب الله ، فرسخ حبه في لحمه ودمه ولم يعد يتهنا بطعام وشراب وامتنع يوم ذاك ان يسجد لمطلع الشمس كما كان يصنع ، ثم رأى كتابا معلقاً في سقف البيت ففتحه واذا به : بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد الله الى آدم انه خالق من صلبه نبياً يقال له محمد يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن عبادة الاوثان ويأمر بترك المجوسية والتزام النصرانية ، وانه من اوصياء عيسى ، ولما علم ابوه بحاله وحبه لمحمد عذبه ووضعه في بئر عميقة وعامله بأشد ما يكون من القسوة ، ولمـــا طال عليه الامد في البئر استغاث بمحمـــد ﷺ وذلك قبل مولده بأكثر من مائتي عام فأرسل الله اليه من أخرجه منهـــا الى الصومعة فاستقبله صاحب الدير واطلعه على أمر محمد وبشره به .

ولما مات انتقل منها الى انطاكية بامر منه وارسل معه رسالة الى رهبانها، ولما وصلها استقبله الرهبان واشاروا عليه بالذهاب الى الاسكندرية بعد موتهم ولمـــا مات راهب الاسكندرية التحق بقوم قـــد باعوه من يهودي بعـــــد ان استعبدوه مدة من الزمن، ولما رأى النبي ومعه علي وجعفر وعقيل في بستان من بساتين المدينة ايقن بالفرج فاشتراه النبي باربعمائة نخلة صفراء غرسها علي في ساحته فشبت وساوت جميع ما في البستان من نخيل وأشجار ، الى غير ذلك من الغرائب التي اشتملت عليها قصة اسلامه وعمره الطويل وتنقلاته من بلد الى بلد وما رافق ذلك من أحداث وكرامات ، في حين ان سندها غير سالم من العيوب ، وعلى تقدير صحته ، فسلامة السند لا تثبت صـــدور

الرواية عن المعصوم ، فلقد روى الثقات عشرات الاحاديث المدسوسة التي وضعها المغيرة بن سعيد وامثاله من الوضاعين وأدخلوها في كتب أصحاب الامامين الباقر والصادق (ع) كما أشار الى ذلك الامام الرضا في حديثه الذي وصف به موقف الرواة والمحدثين في ذلك العصر .

وجاء في معالم الزلفى عن كتاب بستان الواعظين عن محمد بن ادريس أنه قال: رأيت بمكة اسقفاً وهو يطوف في الكعبة ، فقلت له: ما الذي رغب بك عن دين آبائك وأجدادك ؟ ، فقال : لقد استبدلت خيراً منه ، فقلت له : وكيف ذاك ؟ قال : ركبت البحر فلما توسطناه انكسر بنا المركب فعلوت لوحاً فلم تزل الامواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب فحمدت الله تعالى على ذلك ، وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي الله بالفرج ، فلما ذهبت إليها خفت على نفسي من الدواب التي فيها فعلوت شجرة من تلك الاشجار ونمت على غصن منها، فلما كان في جوف الليل وإذا بدابة على وجه الماء تسبح وتقول: لا إله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار، وعلي بن أبي طالب سيف الله على الكفار ، وفاطمة وبنوها صفوة الجبار ، وعلى مبغضيهم لعنة الجبار ، ومأواهم جهنم وبئس القرار ، فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر ، ثم قالت : لا إله إلا الله صادق الوعد والوعيد ، محمد الرسول الهادي الرشيد ، وعلي ذو البأس الشديد ، وفاطمة وبنوها خيرة الرب المجيد، وعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد ، فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة، ووجهها وجه انسان، وقوائمها قوائم البعير، وذنبها ذنب الأسماك ، فخشيت على نفسي منها وهربت من أمامها ، فلما رأتني وقفت وقالت : أيها الانسان قف وإلا هلكت ، فوقفت لها ، فقالت:

ما دينك : قلت النصرانية ، فقالت ويحك : ارجع إلى دين الاسلام ، فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلما ، فقلت لها وكيف الاسلام قالت : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولما قلتها ، قالت قد تم اسلامك بموالاة علي بن أبي طالب وأولاده وبالصلاة عليهم والبراءة من أعدائهم ، فقلت ومن أتاكم بهـذا : قالت قوم منا حضروا عند رسول الله فسمعوه يقول : إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق يا إلهي قد وعدتني أن تشد أركاني وتزيني، فيقول الجليل جل جلاله قد شددت أركانك وزينتك بابنة حبيبي فاطمة الزهراء ، وبعلهـا علي بن أبي طالب وابنيها الحسن والحسين ، والتسعة من ذرية الحسين (ع) ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك ؟ فقلت لها الرجوع ، فقالت : اصبر حتى يجتاز مركب ، وإذا بمركب يجري ، فأشارت إليهم ، فدفعوا إليها زورقاً فلما علوت معهم وإذا في المركب اثنا عشر نصرانياً فقصصت عليهم ما جرى علي فأسلموا كلهم [1] .

هذه الرواية بالإضافة إلى غرابتها ، ووصفها تلك الدابة بهـذا التركيب العجيب الذي يجمع بين الانسان والنعّامة والبعير والسمك في مخلوق واحد ، بالاضافة إلى ذلك ، فلقد رواها محمد بن ادريس ، وقد جاء عنه في اتقان المقال أنه عامي المذهب ، وقال ابن حجر في لسان الميزان : انه كان ضعيف الحديث ، يروي المناكير لا يصح الاعتماد على مروياته .

وكما هي موجودة بين أحاديث الشيعة بهـذا النص موجودة بـين مرويات السنة بهذا النص أيضاً إلا في الفقرات التالية، فقد جاء في رواية كتب الشيعة لها أن الدابة التي تصفها الرواية بالشكل الذي ذكرناه كانت تقول : لا إله إلا

(١) انظر ص ٣٢٢ من معالم الزلفى .

الله العزيز الجبار محمد رسول الله المختـار ، وعلي بن أبي طالب سيف الله على الكفار ، وفاطمة وبنيها صفوة الجبار ، وعلى مبغضيهم لعنة الجبار ومأواهم جهنم وبئس القرار ، وظلت تكرر هـــذه الكلمات حتى مطلع الفجر ، ثم قالت : لا إله إلا الله صادق الوعد والوعيد ، محمد الرسول الهادي الرشيد ، وعلي ذو البأس الشديد ، وفاطمة وبنوها خيرة الرب المجيد ، وعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد .

ورواية السنة تقول ان الدابة كانت تردد : لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد الرسول المختار ، وأبو بكر الصديق صاحبه في الغـار ، وعمر الفاروق فاتح الامصار ، وعثمان القتيل في الدار ، فعلى مبغضيهم لعنة العزيز الجبار ، ولم تزل تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر ، فلما طلع الفجر ، قالت : لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد رسول الله الهادي الرشيد ، وأبو بكر صاحب الرأي السديد، وعمر بن الخطاب سور من حديد، وعثمان بن عفان صاحب الفضل الشديد ، ويمضي الراوي ليصفها فيقول: ان رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان ، وقوائمها قوائم بعـير ، وذنبها ذنب سمكة كما وصفتها الرواية الشيعية ، ثم يقول الراوي انه بعد أن هرب منها نطقت بلسان فصيح ونصحته أن يرجع الى الحنفية بعد أن أخبرها بأنه يعتنق النصرانية، وقالت انك قد حللت بفناء قوم من الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً ، وأضاف الى ذلك أنها قالت: تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأمرته بأن يترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأخبرته بأن قوماً من الجـن حضروا عند رسول الله وسمعوه يقول: إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح ، إلهي قد وعدتني أن تشد أركاني ، فيقول لها الجليل جل جلاله : قـــد شددت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزينتك بالحسن والحسين .

وجاء في الرواية الشيعية أنه قال لها : قد شددت أركانك وزينتك بابنة حبيبي فاطمة وبعلها علي بن أبي طالب ، وابنيها الحسن والحسين ، وبالتسعة من ذرية الحسين (ع) إلى آخر الرواية التي تتفق بنصها الحرفي ولا تختلف في شيء الا بما ذكرناه ، مما يؤكد أنها من الموضوعات ، ويبقى أن السنة وضعوها أولا فيما وضعوه من فضائل الخلفاء ، وحورها الشيعة بما رويناه أولا لتكون فضيلة لعلي وأبنائه (ع) أو أنهـــا من مخترعات الشيعة ، وحورها السنة بشكلها الموجود في كتبهم .

ولا أجد لدي ما يؤيد أحد الأمرين ، وكل ما في الأمر أن السنة رووها عن محمد بنى آدم ، والشيعة رووها عن محمد بن ادريس .

ومهما كان الحـــال فهي من النوع الذي أشار اليـــه الامام الرضا عليه السلام في جواب من سأله عن مرويات العامة في فضائل الأئمة كما جاء في الفصول السابقة .

وجاء في الكتاب المذكور عن الحسين بن حمدان الحصيني عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : جلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رحبـــة مسجده في المدينة ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار ، وعلي عن يمينه وأبو بكر بين يديه اذ دخلت غمامة لها زجل وحفيف ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا الحسن قد أتتنا هـــدية من الله سبحانه ، ثم مد رسول الله يـــــده الى الغمامة فتدلت ، فبدا منهـــا جام يلمع حتى غشيت أبصار من حضر في المسجد من لمعانه وشعاع نوره وفاح في المسجد روائح أزالت من طيبها عقول الناس ، والجام يسبح الله ويقدسه ويحمده بلسان عربي مبين حتى نزل في بطن راحـــة رسول الله اليمنى وهو يقول: السلام عليك ياحبيب الله وصفوته ونبيه ورسوله المختار من العالمين، والمفضل على جميع أنبياء الله أجمعين ، من الأولين والآخرين وعلى وصيك خير الوصيين، وأخيك خير المؤاخين ، وخليفتك خير المستخلفين وامام المتقين وأمير المؤمنين ونور المستنيرين وسراج المقتدين ، وعلى زوجتـــه

فاطمة خيرة نساء العالمين الزهراء في الزاهرين والبتول أم الأئمة الراشدين وعلى سبطيك ونوريك وريحانتيك وقرة عينيك الحسن والحسين، فسمع ذلك رسول الله وجميع من حضر يستمعون هذا كله من الجام ويغضون أبصارهم من أنواره الباهرة ، ورسول الله يكثر من حمد الله وشكره ، حتى قال الجام وهو في كفه يارسول الله ان الله بعثني اليك والى أخيك وابنتك فاطمة والحسن والحسين ، فردني يارسول الله الى كف علي عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه يا ابا الحسن تحفة اليك ، فمد يده اليمنى فصار في بطن راحته ، فقبله وشمه وقال : مرحباً بزلفة الله الى رسول الله واهل بيته واكثر من حمد الله والثناء عليه ، والجام يكبر الله ويهلله ويقول:يا رسول الله قل لعلي يردني الى فاطمة والحسن والحسين كما امرني الله عز وجل فأمره رسول الله بذلك فقام علي وبيده الجام حتى دخل على فاطمة ونوره يزيد على نور الشمس ورائحته قد اذهلت العقول ، فرده الى يدها وتداوله الحسنان وارجعوه الى رسول الله ، فقام عمر بن الخطاب وقال : يا رسول الله مالك تستأثر بكل ما اتاك من عند الله من تحية وهدية ، فقال رسول الله : ويحك يا عمر ما اجرأك أما سمعت ما قال الجام : حتى تسألني أن أعطيك ما ليس لك ، فقال : أتأذن لي في أخذه وشمه ، فقال : ويحك ما ذلك لك ولا لغيرك من الناس ، فقال : أتأذن لي في لمسه بيدي ، فقال الرسول : ما أشد الحاحك قم فان تلقه فما محمد رسول الله ولا جاء بحق من عند الله ، فمد يده الى الجام فلم تصل اليه وانصاع الجام وارتفع نحو الغمامة وهو يقول : يا رسول الله ما هكذا يفعل المزور بالزائر .

وهكذا يمضي الراوي فيحديث طويل ويصف الحوار الذي دار بين الجام والرسول بأسلوب تمله النفوس ولا تقبله العقول [1] .

---

(١) انظر ص ٣١٨ من الكتاب المذكور .

ولو تغاضينا عن العيوب الموجودة في متنـه من حيث اسلوبه وصياغته ، واشتماله على هذا النوع من الكرامات التي تتسع قدرة الله لها ولأكثر منهـا عندما تدعو الحاجة لذلك ، مع العلم بأن الموقف لا يستدعي شيئاً من تلك الكرامات ، لو تغاضينا عن كل ذلك ، فالراوي الاول الحسين بن حمدان الحصيني كان فاسد المذهب كذاباً ملعوناً لا يلتفت الى شيء من مروياته كما جاء في اتقان المقال وغيره .

وأما الراوي الثاني لهـذا الحديث الذي رواه عن الامـام الصادق ، وهو المفضل بن عمر فحـاله غني عن البيان ، وقد تحدثنا عنـه في بعض مروياته السابقة .

وروي في الكتاب المذكور عن أبي مخنف باسناده الى جـابر بن عبد الله الانصاري أنه قال : سألت رسول الله عن مولد علي عليه السلام فقال : يا جابر سألت عجيباً عن خير مولود ، اعلم ان الله تعالى لما أراد أن يخلقني ويخلق علياً خلق قبل كل شيء درة عظيمة أكبر من الدنيا عشر مرات، ثم أن الله سبحانه قد استودعنا في تلك الدرة فمكثنا فيها مائة الف عام نسبح الله تعالى ونقدسه فلما أراد ايجـاد الموجودات نظر الى الدرة بعـين التكوين فانفجرت نصفين فجعلني ربي في النصف الذي احتوى على النبوة ، وجعل علياً في النصف الذي احتوى على الامامة ، ثم خلق الله من تلك الدرة مائة بحر ، فمن بعضه بحر العلم ، وبحر الكرم ، وبحر السخاء ، وبحر الرضا ، وبحر الرأفة ، وبحر العفة .

ومضى الراوي في حديثه الى ان عد اربعين بحراً على هذا النسق ، وأضاف الى ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لقد مكثنا في هذه البحور سبعة آلاف عام ، وبعدها خلق الله القـلم ، وقال له : اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب

توحيدي ، فمكث القلم سكراناً من قول الله عز وجل عشرة آلاف عام ثم أفاق بعد ذلك ، وقال اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله ، فلما فرغ القلم من كتابته ، قال يا رب ومن هؤلاء الذين قرنت اسمهما باسمك، قال تعالى : يا قلم ، محمد نبيي وخاتم أنبيائي ، وعلي وليي وخليفتي على عبادي وحجتي عليهم ، وعزتي وجلالي لولاهما ما خلقتك ولا خلقت اللوح المحفوظ ، ثم قال له اكتب : قال وما اكتب ؟ قال : صفاتي وأسمائي ، فكتب وظل يكتب الف عام حتى كلّ وملّ ، ثم ان الله خلق من نوري السموات والأرض والجنة والنار والكوثر والصراط والعرش والكرسي والسحاب والحجب ، وخلق من نور علي عليه السلام الشمس والقمر والنجوم قبل ان يخلق آدم بالفي عام ، ثم ان الله امر القلم ان يكتب على كل ورقة من اشجار الجنة وعلى كل باب من ابوابها وابواب السموات والارض والجبال والشجر لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله ، ثم امر نور رسول الله ونور علي ان يدخلا في حجاب العظمة .

ومضى الراوي يعدد ما لعلي ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فضل وآثار قبل ان يخلق آدم بآلاف السنين ، الى أن قال : فلما خلق الله آدم كنت أنا في أصبعه السبابة وعلي في أصبعه الوسطى، وابنتي فاطمة في التي تليها، والحسن في الخنصر، والحسين في الابهام ، الى غير ذلك من الغرائب التي اشتملت عليها الرواية .

ويكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات ابي مخنف لوط بن يحيى، وقد ضعفه السنة والشيعة ولم يثقوا بمروياته ، وله كتب كثيرة في السير والاخبار جمع فيها كل ما رأى وسمع كما هو الحال بالنسبة الى جميع المؤلفين في العصور الأولى [1] .

---

(١) انظر لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ واتقان المقال في علم الرجال ص ١١٩ .

وجاء في معالم الاخبار عن سدير الصيرفي ان الامام الصادق عليه السلام روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : خلق الله نور فاطمة قبل ان يخلق الارض والسماء ، فقال له بعض النـــاس يا رسول الله أليست هي انسية ؟ فقال : فاطمة حوراء انسية خلقها الله من نور قبل ان يخلق آدم اذ كانت الارواح ، فلما خلق الله آدم عرضت على آدم ، قيل له : يا نبي الله واين كانت فاطمة؟ قال كانت في حقة تحت ساق العرش ، ، قيل ، يا رسول الله : فما كان طعامها ، قال : التسبيح والتهليـل والتمجيد ، فلما خلق الله آدم واخرجني من صلبه احب الله أن يخرجها من صلبي ، جعلها تفاحة في الجنة واتاني بهـا جبرائيل فقال لي السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، قلت وعليك السلام ، قال : ان ربك يقرئك السلام ويقول ان هذه تفاحة اهداها الله اليـك من الجنة ، قال : فأخذتها وضممتها الى صدري ، قال ان ربك يقول لك كلهـا ، ففلقتها فرأيت فيها نوراً ساطعاً فزعت منه فقال : كلها ولا تخف فان ذلك النور للمنصورة ، وفي الارض فاطمة ، قلت ولم سميت في الارض فاطمة ، قال : سميت في الارض فاطمة لانها فطمت شيعتها من النار ، وفطم اعداؤها عن حبها ، وسميت في الأرض المنصورة لقوله تعالى : **ويوم يفرح المؤمنون بنصر الله** ، أي بنصر فاطمة لمحبيها .

ان من الجائز القريب أن تكون هذه الرواية من صنع الغلاة وقد نسبت الى سدير الصيرفي زوراً وبهتانا ، لان النبي والأئمة الهداة ما كانوا في يوم من الايام ليحدثوا الناس بما لا تدركه عقولهم ولا تحيط به حتى اوهامهم ، وبعد أن أحسوا بذلك السيل الجارف من المرويات المكذوبة عليهم أمروا شيعتهم وأتباعهم بأن لا يأخذوا بالرواية الا بعد عرضها على كتاب الله وعدم مخالفتها لنصوصه وظواهره، ومن غير الجائز عليهم ان يحدثوا بمثل هذه الغيبيات حتى

ولو كانت صحيحة في الواقع ، ثم يعلنوا على الملأ أن كل رواية تخالف كتاب الله فهي مكذوبة علينا ، على أن الراوي لهذه الرواية عن الصادق هـو سدير الصيرفي ، وقد جاء عنه أنه كان مخلطاً على حـد تعبير المؤلفين في الرجال ولم يخرجوا من ترجمته بنتيجة توحي بجواز الأخذ بمروياته والاعتماد عليها [1] .

وروى السيد هاشم البحراني في كتابه نزهة الأبصار جملـة من الاساطير حول مولد النبي وعلي والزهراء والأئمة الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام كلها من صنع الغلاة وأعداء الأئمـة والاسلام بدافع التشنيع عليهم والتشويه لآثارهم الخيرة التي كانت وستبقى ما بقي على وجـه الأرض انسان من أفضل ما يقدمه الانسان في هذه الدنيا من خير وتعاليم لبني الانسان .

وبذلك وحده قد استحقوا التقديس والتعظيم وأصبحوا فـوق مستوى الناس أجمعين،لا بتلك الغيبيات والاساطير التي تلقفها حشوية الشيعة كالبحراني والبرسي وصاحب جامع الاخبار والشيخ حسن بن سليمان الحلي الذي اختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الاشعري وغيرهم ممن ألف في الحديث،ودون كل ما سمعته اذناه ورأته عينـاه من غير تحقيق في متونهـا وأسانيدها ، ولا تفكير في مفاسدها ، بالرغم من أن الأئمة أنفسهم قد أنكروا تلك الاحاديث ولعنوا كل من يحدث عنهم بما لا تقبله العقول ولا تدركه الاوهام والافهام .

وسلام الله على الامام زين العابدين الذي قال لجماعة سمعهم يتحدثون عنه وعن آبائه بمثل هذه الغيبيات والاوهام ، قال حببونا الى النـاس ولا تبغضونا اليهم ، لعن الله من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا ، لنـا ذكر في كتاب الله ونسب من رسول الله ، وولادة طيبة ، هكذا قولوا الى الناس ، أي لا تحدثوا عنا بأكثر من ذلك ، واطرحوا الغيبيات جانبا وردوها على من جاءكم بها .

---

(١) انظر المصدر السابق قسم الضعفاء ص ١٨٧ .

ومهما كان الحال فمن تلك المرويات ما رواه محمد بن بابويه عن جماعة منهم محمد بن موسى بن المتوكل عن محمد بن سنان عن زياد بن المنذر عن ليث بن سعد أنه قال لكعب الاحبار في مجلس معاوية : كيف تجدون صفة مولانا النبي ، وهل تجدون فضلاً لعترته ، فقال له معاوية : هات ما عندك يا أبا اسحاق ، فقال كعب الاحبار : لقد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال ووجدت في كلها ذكر مولده ومولد عترته، ولم يولد مولود قط نزلت عليه الملائكة ساعة ولادته ما خلا عيسى واحمد ، وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم وآمنة أم احمد ، وكان من علامة حمله أنه لما كانت الليلة التي حملت به آمنة نادى مناد في السماء أبشروا فقد حملت آمنة بأحمد هذه الليلة ، وما بقي يومئذ في الارض دابة تدب ولا طائر يطير إلا علم بمولده، ولقد بني في الجنة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت احمر ، وسبعون ألفاً من لؤلؤ رطب ، فقيل هذه قصور الولادة ، وتزينت الجنان وضحكت ولا تزال ضاحكة الى يوم القيامة .

ولقد بلغني أن حوتاً من حيتان البحر يقال له طنيوسا وهو سيد الحيتان له سبعماية الف ذنب يمشي على ظهره سبعمائة الف ثور الواحد منها أكبر من الدنيا ، لكل ثور سبعماية الف قرن من زمرد اخضر ، وما بقي يومئذ جبل إلا نادى صاحبه بالبشارة، ولقد خضعت الجبال كلها لأبي قبيس كرامة لمولده ولقد ضرب بين السماء والارض سبعون عموداً من أنواع الانوار لا يشبه كل واحد صاحبه .

ولقد بلغني أن الكوثر قد اضطرب واهتز فرمى بسبعمائة الف قصر من قصور الدر والياقوت نثاراً لمولد محمد .

وأضاف كعب الاحبار الى ذلك: انا نجد في الكتب ان عترته خير الناس وانه لا يزال الناس في امان من العذاب ما دام منهم انسان .

ومضى كعب يحدث عن فاطمة الزهراء وذريتها بشـــل حديثه عن مولد الرسول حتى نهض معاوية مغضباً ، الى غير ذلك من الاساطير التي اعتاد كعب الاحبار أن يزود بها المسلمين لغاية في نفسه ، على أن من أبطال هذه الاسطورة محمد بن موسى المتوكل،وقد عده بعض المؤلفين في الرجال مع الثقات،لا لشيء إلا لان الصدوق قد روى عنه،وهو لا يروي إلا عن الثقات على حد تعبيره ، مع العلم بأنه قد روى عشرات الروايات عن غير الموثوقين كما يظهر ذلك لكل من تتبع مروياته .

وورد في سندها محمد بن سنان وزياد بن المنذر وليث بن سعد ، أما محمد ابن سنان فهو من المتهمين بالكذب على الأئمة (ع).

وجـاء عن الفضل بن شاذان أنه قال : لا احل لـكم ان ترووا احاديث محمد بن سنان ، كما عده في بعض كتبه مع الكذابين كأبي الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصائغ وغيرهم .

وأما زياد بن المنذر الملقب بسرحوب فقد كان زيدي المذهب واليه تنسب الفرقة الجارودية ، وتصفه بعض المرويات عن الأئمة بالكذب والكفر ، وأما ليث بن سعد فلم اجد له ذكراً بين رجال الشيعة .

ومما يؤكد كذب هذه الرواية ان الراوي يدعي ان حديث كعب كان في مجلس معاوية في ايام خلافته ، ومن غير الممكن ان يسمح معاوية لاحد ان يحدث في فضل فاطمة وبنيها في مجلسه ، وهو الذي كان يعاقب بشدة كل من يذكر عليا أو يحدث عنه ولو كان الحديث في احكام الله وحلاله وحرامه .

ومما جاء في ولادة علي عليه السلام عن محمد بن علي بن شهرا شوب في نخبة المناقب عن زيد بن قعنب وجابر الانصاري انه كان راهب يقـال له المثرم ابن وهيب قد عبدَ الله مائة وتسعين عاما لم يسأله بها حاجة ، فســـأل ربه

يوماً أن يريه ولياً له ، فبعث الله بأبي طالب، فسأله عن مكانه وقبيلته فلما أجابه وثب اليه وقبل رأسه وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني وليه، ثم قال له : أبشر يا هذا فان الله قد ألهمني ان ولداً يخرج من صلبك هو ولي الله اسمه علي ، فاذا ادركته فاقرئه مني السلام ، فقال : وما برهانه ، قال : وما تريد ، قال : طعام من الجنة في وقتي هـذا ، فدعا الراهب بذلك ، فما استتم كلامه حتى اتي بطبق عليـه من فاكهة الجنة رطب وعنب ورمان ، فتناول رمانة فتحولت مـاء في صلبه فجامع فاطمـة فحملت بعلي عليه السلام وارتجت الارض وزلزلت بهم وعلت قريـش الى ذروة ابي قبيس ، فجعلت ترتج ارتجاجا حتى تدكدكت بهم الصخور وتناثرت وتساقطت الآلهة على وجوهها ، فصعد ابو طالب الجبل وقال: ايها الناس ان الله سبحانه قد احدث في هذه الليلة حدثاً ، وخلق بهـا خلقاً ، إن لم تطيعوه ولم تقروا بولايته وبامامته لم يسكن ما بكم ، فأقروا بولايته وبإمامته ، فرفع يده أبو طالب وقال : إلهي وسيدي ومولاي ، أسألك بالمحمدية المحمودة ، والعلوية العاليـة والفاطمية البيضاء الا تفضلت على تهـامة بالرأفة والرحمة ، فكانت العرب تدعو بها في مبدأ الجاهلية وهي لا تعلمها ، فلما قربت ولادة علي عليه السلام أتت فاطمة بنت اسد الى بيت الله ،و قالت : ربي إني مؤمنة بك وبما جـاء من عندك من رسل وكتب ، ومصدقة بكلام جـدي ابراهيم ، فبحق الذي بنى هذا البيت ، وبحق المولود الذي في بطني الا ما يسرت علي ولادتي ، فانفتح البيت ودخلت فيـه، وإذا هي بحواء ومريم وآسية وام موسى وغيرهن فصنعن مثل ما صنعن برسول الله وقت ولادته ، فلما ولد سجد على الارض يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن علياً وصي محمد رسول الله ، بمحمد يختم الله النبوة ، وبعلي تتم الوصية ، وأنا أمير المؤمنين ، ثم سلم على النسوة وأشرقت السماء بضيائه ، فخرج أبو طالب قائلاً: أبشروا

فلقد ظهر ولي الله ، به يختم الله الوحيين وهو وحي رسول رب العالمين ، ثم أخذ عليا ، فسلم علي عليه وقال له الحق بالملتزم وخبره بما رأيت فإنه في كهف كذا من جبل المكارم ، فخرج حتى أتاه فوجده ميتاً جسداً ملفوفاً في مدرعة مسجى ، فسلم عليه أبو طالب ،فأحياه الله وقام وهو يمسح على وجهه ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن علياً ولي الله والامام بعد نبي الله ، فقال أبو طالب : أبشر فإن علياً قد طلع الى الأرض ، فسأل عن ولادته فأخبره ابو طالب بما جرى له ، فبكى الملتزم وسجد لله شكراً ، ثم تمطى وقال له : غطني بمدرعتي فغطاه بها فاذا هو ميت كما كان فأقام أبو طالب ثلاثاً ، وخرجت حيتان وقالتا :السلام عليك يا أبا طالب ، إلحق بولي الله فانك احق بصيانته وحفظه من غيرك فقال لهما : من انتما ، قالتا : نحن من جملة من يذب عنه الأذى الى ان تقوم الساعة فحينئذ تكون إحدانا قائده والأخرى سائقه ودليله الى الجنة .

هذه الرواية من مرويات ابن شهرا شوب وحاله معروف في الاعتماد على الروايات الضعيفة وبخاصة اذا كانت في المناقب ، كما هو الحال في غيره من المحدثين الذين جمعوا كل ما سمعوه مهما كان مصدره ومضمونه ، على ان احد الرواة لها وهو يزيد بن قعنب لم اعثر له على ذكر بين رواة الشيعة والسنة .

وجاء في كتاب نزهة الابصار عن اصحاب التواريخ على حد تعبيره ان رسول الله ﷺ كان جالساً وعنده جني يسأله عن قضايا مشكلة ، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فتصاغر الجني حتى صار كالعصفور ، ثم قال : أجرني يا رسول الله ، قال ممن أجيرك ، قال : من هذا الشاب المقبل ، فقال له النبي : وما ذاك ، قال الجني : أتيت سفينة نوح لاغرقها يوم الطوفان ، فلما تناولتها ضربني هذا فقطع يدي ، ثم أخرج يده المقطوعة ، فقال النبي: وهو

ذاك ، وأضاف الى ذلك ان جنياً كان جالساً عند رسول الله ﷺ فلما اقبل أمير المؤمنين استغاث به الجني، وقال اجرني يارسول الله من هذا الشاب المقبل، قال : وما فعل بك ، قال تمردت على سليمان ، فأرسل اليّ نفرين من الجن فطلت عليهم ، فجاءني هذا الفارس فأسرني وجرحني ، وهذا مكان الضربة الى الآن لم يندمل .

ويكفي هذه الرواية عيباً انها من مرويات نزهة الابصار الذي حشد فيه مؤلفه كل ما لذ له وطـــاب من المراسيل والمنكرات والمجاهيل وضعاف الاحاديث .

وروي في معالم الزلفى عن الشيخ رجب البرسي مؤلف كتاب مشارق الانوار في اسرار امير المؤمنين المشحون بالغلو والاخبار المكذوبة على علي وبنيه (ع) ، روي عنه أنه قال : كان امير المؤمنين عليه السلام جالساً في دكة القضاء إذ نهض اليه رجل يقال له : صفوان الاكحل وقال له يا أبا الحسن انا رجل من شيعتك وعلي ذنوب اريد ان تطهرني منها، قال علي عليه السلام : وما اعظم ذنوبك وما هي ؟ قال : أنا ألوط بالصبيان، قال ايما أحب اليك، ضربة بذي الفقار ، او اقلب عليك جداراً ، او ارميك بالنار ، فان ذلك جزاء ما ارتكبته ، فقال يا مولاي : احرقني بالنار لانجو من نار الآخرة ، فقال علي لعمار : اجمع لي الف حزمة من القصب لنضرمه غداة غد بالنار ، ثم قال للرجل انهض وأوص بما لك وما عليك ، فنهض الرجل واوصى بما له وما عليه وقسم امواله على عياله واولاده واعطى كل ذي حق حقه وبات على حجرة علي في بيت نوح شرقي جامع الكوفة ، فلما صلى امير المؤمنين قال : يا عمار ناد في الكوفة اخرجوا وانظروا الى حكم علي عليه السلام ، فقال جماعة منهم: اليس قد قال ان الشيعة لا تأكلهم النار ، هذا رجل من شيعته ومحبيه فاذا اكلته النار تبطل امامته ، فسمع بذلك امير المؤمنين فأخذ الرجل وبنى عليه الف حزمة من الحطب واعطاه كبريتا وقال له : اقدح واحرق نفسك

فان كنت من شيعة علي ومحبيه لا تأكلك النار ، وان كنت من المكذبين والمخالفين فالنار تأكل لحمك وتكسر عظمك ، فقدح الرجل النار واحرق القصب بكامله وكان قد لبس ثياباً بيضاء فخرج من تحت النار ولم تعلق به ولا اصاب ثيابه شيء حتى من الدخان ، فقال الامام: كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا ، وخسروا خسراناً مبينا ، وقال : شيعتنا منا وانا قسيم الجنة والنار .

والذي يجب ان يقال : ان هذا الحديث من الموضوعات لان النار خلقها الله للعصاة ولو كانوا من الصق الناس نسباً بعلي عليه السلام، والجنة للمطيعين ولو لم تربطهم برسول الله وعلي سوى رابطة الاسلام والايمان ، كما أكد ذلك القرآن الكريم والحديث الصحيح، وليس للشيعة مهما بلغوا من الولاء والايمان بعلي وبنيه أي امتياز على غيرهم ، والصلاة والسلام على رسول الله القائل لابنته فاطمة : اعملي يا فاطمة فلن اغني عنك من الله شيئاً ، واذا وصفنا اللواطيين والمفسدين من الشيعة الى جانب غيرهم من الشيعة المطيعين لأوامر الله في الجنة كان اولئك اكرم على الله من هؤلاء ، وفي عقيدتي ان الذين وضعوا هذا النوع من المرويات قد اساؤوا الى التشيع وشوهوا وجهه الصحيح الذي عناه الامام الصادق بقوله لبعض الشيعة: ليس من شيعتنا من كان في بلد فيها اربعون الفا وفيهم من هو اورع منه .

وعلى أي الاحوال فالامر في هذه الرواية سهل بعد ان كانت من مختارات الشيخ رجب البرسي المعروف بالغلو والافراط في الصفات التي وصف بها الائمة كما يبدو ذلك من كتابه مشارق انوار اليقين الذي روى فيه الغرائب ، واعطى للأئمة جميع خصائص الخالق،وروى فيه قصة زواج عبد الله من آمنة وحملها بالنبي صلى الله عليه وآله وكيف اضطرب العالم وظهرت فيه الكرامات والمعجزات من اللحظة التي اتصل فيها عبد الله بآمنة حتى بقية مراحل حملها لحظة فلحظة وما رافق ذلك من الحوادث الكونية والمفاجآت التي لم يعرف البشر لها

تفسيراً ، ولا سمع بنظيرها في اخبار الامم السالفة ، ويمضي البرسي في حديثه فيقص على العالم حوادث الشهر الثالث من حمله ، فيقول: ولما اتى على رسول الله في بطن امه ثلاثة اشهر كان ابو قحافة راجعاً من الشام فلما بلغ قريباً من مكة وضعت ناقته جمجمتها على الارض ساجدة فضربها ضرباً موجعاً ، فلم تنهض به ولم ترفع رأسهـا من السجود ، فبينما هو يحاولها واذا بهاتف يهتف ويقول : لا تضرب يا ابا قحافة من لا يطيعك ، الا ترى ان الجبال والبحار والاشجار والآدميين تسجد لله سبحانه ، فقال ابو قحافة : يا هاتف وما السبب في ذلك ، قال اعلم ان النبي الامي قد اتى عليه الآن ثلاثة اشهر في بطن امه ، قال ابو قحافة : ومتى يكون خروجه ، قال : سترى ذلك ، فالويل كل الويل لعبدة الاصنام من سيفه وسيف اصحابه ، وكلما مر عليه شهر في بطن امه تسجد الجبـال وجميع الكائنات ويضطرب الناس لهول ما يلاقون وما يشاهدون من الغرائب والعجائب التي لم يعرفوها مما قبل .

ثم ينقـل البرسي عن الواقدي حوادث الشهر الثامن فيقول : انه كان في بحر الهوى حوتة يقال لها طينوسنا هي سيدة الحيتان ، فتحركت الحيتان والحوتة معها واستوت قائمة على ذنبها فارتفعت مع الامواج ، فقالت الملائكة إلهنا وسيدنا: اما ترى ما تفعل طينوسنا فانها لا تطيعنا وليس لنا بها قوة ، قال : فصاح استيحايل الملك صيحة عظيمة ، وقال لهـا قري في مـكانك ، فقالت : لقد امرني ربي يوم خلقني ان اذا ولد محمد بن عبد الله بالاستغفار له ولامته،والآن سمعت الملائكة يبشر بعضهم بعضا،فلذلك قمت وتحركت ، فامرها ان تقر في مكانها واخبرها بأنه لم يولد الى الآن .

ويمضي الراوي في حديث طويل يصف المراحل التي مر بها الى انتهاء حمله وايام ولادته وما رافقها من الاحداث الغريبة بهذا اللون من الوصف الى ان

انقضى الشهر التاسع على حملها ، وكانت فيـــه ولادته بعد مضي تسعة آلاف سنة وتسعمائة وأربعة اشهر وتسعة أيام من وفاة أبي البشر آدم عليه السلام .

وهنالك الاحداث الجسام في السماوات والاراضين التي روعت العالم بأسره وارتاع منها حتى ابليس وأولاده على حد تعبير البرسي وحثا على رأسه التراب وتكسرت الاصنام ، وسجدت الاوثان في المشرق والمغرب .

وهكذا يمضي في وصف قصة حياته الكريمة وما رافقها يومـــاً فيوماً من الحوادث الكونية الى ان ماتت امه وانتقل الى حاضنته حليمة وما رأته من الآيات والكرامات والبركات مما تعجز عن ادراكه العقول ولا يقع في حدود التصور والخيال في حديث طويل الى ان اتم السنتين عنـد حاضنته ، فخرج يوماً يتنزه فأرسل الله سبحانه له سحابة تظلله من حرارة الشمس وتتناثر فيها المياه حتى تسيل على وجه الارض ولم يصب النبي منهـا بشيء فتخضر الارض وتعود الحياة الى جميع الاشجار اليابسة وتثمر من جميع الفواكه والاثمار، ويمر على روضة فيها جبل شاهق كالحائط لا يستطيع احـد ان يتسلقه ، فيحاول ان يصعد اليه فلم يتمكن ، فيصيح « استحيايل » في الجبل صيحة ترعشه فيهتز خوفاً منها ، ويقول له : ويحك ايها الجبل، اطلع محمداً خير المرسلين عليك ، فيفرح الجبل ويتراكم بعضه على بعض ، كما يتراكم الجلد في النار ، فيصعد النبي الى اعلاه ، وتخرج الحيات والعقارب التي تبلغ حجم البغال من تحته ، فيصيح بها الملك بالرجوع حتى لا يراها محمد ، الى غـير ذلك من الاساطير التي تشبه اساطير الهنود القدامى والامم الغابرة .

ويكفي هذه الاسطورة عيباً انها من مرويات الواقدي الذي كان من اقدم المؤلفين في التاريخ والمغازي ، وكان يجمع كل ما طرق سمعه من القصص والاخبار .

وجاء عنه أنه ترك ستماية قمطر من كتبه ، ومع انه كان يعتمد على ذاكرته في جميع مدوناته ، وقوي الذاكرة لم يكن يحفظ شيئاً من القرآن ، حتى أن المأمون اراده ان يصلي الجمعة بالناس فاعتذر بأنه لا يحفظ سورة الجمعة وألح في اعتذاره ، فلازمه المأمون شطراً من الليل يلقنه إياها ، فكان كلما حفظ منها جزءاً ينساه عندما يتجه الى الجزء الآخر حتى مل المأمون وأخذه النعاس ، فكلف علياً بن صالح ان يلقنه اياها ، وأخيراً مضى الليل بكامله ولم يصنع شيئاً [1] .

ومهما كان الحال،ان الله سبحانه اذ يصنع المعجز على يد الانبياء وربما على يد الأولياء ، فبمقدار ما للمعجز من روعة وجلال واكبار واستغراب، لا بد وان تكون الفائدة منها والاهداف الداعية اليها موضع تقدير واكبار من حيث آثارها وفوائدها ، وبتعبير آخر لا يكون الاعجاز لا سيما اذا كان من الحوادث الكونية ، إلا حيث يرى الله سبحانه ان رسالة رسله لا يمكن ان تتم وتعم الا بذلك ، فلقد تكلم عيسى في المهد وأحيى الموتى وتوالت آياته ومعجزاته ، وانشق البحر لموسى حتى وقف الماء بشكل عمودي ، وكانت عصاه آية من الآيات فوق امكانيات السحرة ، كما تشايعت الآيات والمعجزات لمحمد ﷺ بعد ان بعثه الله نبيا ، كل ذلك لم يكن الا تتميما لرسالاتهم وارغاماً للجاحدين والطغاة الظالمين الذين وقفوا في وجه النبوة وجندوا كل امكانياتهم حتى لا ترتفع راية الحق ولا تعلو كلمة الله على كلمة الشيطان، اما حيث يكون رسول الغد حملاً أو طفلاً فلا تدعو الحاجة الى شيء من ذلك .

ولقائل ان يقول : ان محمداً أكرم على الله من عيسى وجميع الانبياء، وقد توالت الكرامات لعيسى منحين ولادته حيث تكلم في المهد واخبر بما سيكون من امره كما نص على ذلك القرآن الكريم .

---

(١) انظر الجزء الثالث من الكنز للشيخ عباس القمي ص ٢٣١ .

والجواب عن ذلك ان حمل السيدة مريم قد احيط بكثير من الشبه والاتهامات من اليهود وغيرهم حتى اعتقد الناس بها السوء كما تدل على ذلك الآية : « يا أخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيـاً » فأنطقه الله وأظهر على يده ويد أمه بعض الكرامات لتزكيتها ولتثبيت نبوته التي جد اليهود في احاطتها بسياج كثيف من الشبه والاتهامات .

ومن الجائز ان تظهر بعض الملامح والحالات التي تبشر بمستقبله الزاهر كالتي ظهرت للنبي منذ طفولته الى ان اختاره الله رسولا ونذيراً بعد أربعين عاماً من ولادته ، والتي كان بسببها محلا لاحترام الجميع وثقتهم واطمئنانهم اليه واعتمادهم على امانته وصدقه في جميع امورهم ومشاكلهم ، أما تلك الغرائب والحوادث الكونية التي رواها الواقدي واختارها البرسي والبحراني وغيرهما من حشوية الشيعة ، والتي تتابعت وتوالت منذ ان كان نطفة الى ان اصبح علقة ومضغة وعظاما يكسوها لحم طري الى ان اطل بوجهه الكريم على هذا العالم وانطلقت أنفاسه في فضاء مكة وبعدها بين احياء العرب حيث كانت حليمة السعدية تتولى حضانته وتربيته كالمذهولة هي وجميع من في حيها .

هذه الكائنات التي ظهرت في السماء والارض والبحار وفي كهوف الجبال على حد زعم الراوي لو صحت لطبقت بشهرتها مكة وجوارها وكان لها أثرها في اذلال جبابرة المكيين والقرشيين وإرغامهم على التصديق بدعوته بيُسر وسهولة ، مع العلم بأنهم كانوا من اشد العرب والامم تعصباً وضراوة في وجه دعوته المباركة .

ولم يستطع ان يفرض رسالته عليهم الا بعد ان اكلت الحروب منهم ومن اتباعه وأصبح أقوى منهم عدة وعتادا ، هذا بالاضافة الى ان المؤرخين القدامى لم يتعرضوا لتلك الكائنات ، ولم تتعرض المرويات ولا الآثار الى انه هو أو عمه ابو طالب الذي كان من اشد الناس تحمساً لدعوته ودفاعاً عنها

وعن اتباعه ، لم تتعرض الى انه قـــد احتج عليهم بشيء من تلك الاحداث الجسام التي يدعيها البرسي والواقدي من تاريخ حمله وولادته وتربيته ونشأته ورحلاته المزعومة الى الشام وما رافقها من الغرائب والكائنات ممـــا نقلناه وتركنا ما هو اعظم منه غرابة وبعداً عن الحق والواقع .

كما وأن ما دونه البحراني في كتابه من الاحداث التي يدعي إقرانها بولادة الامام وغيره من أئمة الهدى والزهراء (ع) كله من موضوعات القصاصين واعداء الاسلام الذين لم يستطيعوا ان يثبتوا في وجـــه الزحف الاسلامي المتصاعد يوماً بعـــد يوم ، فدخلوا فيه مرغمين وادخلوا معهم هذا اللون من الغيبيات والغرائب والاساطير ليصنعوا منها منفذاً الى التشكيك به وابرازه بشكل اسطوري يزيد المتشكك تعقيداً ، وضعفاء الايمان ريباً وتضليلاً .

وبشيء من الايجاز فان كتب البحراني والبرسي وامثالهما ممن جمعـــوا الحديث على علاته ومصائبه قد مكنت اعداء الاسلام من بث سمومهم وزودتهم بأسلحة الهدم والتخريب والتشويش على الاسلام والتشيع الذي لم يعتمد في جهة من جهاته على غير المحسوس من سيرة اهل البيت وعلمهم الموروث وتضحياتهم المتواصلة في سبيل الله وخير الناس اجمعين .

واني اذ اترك معالم الزلفى الى غيرها من كتب الحديث لا لأني لم أجـد فيها محلاً للتشكيك والريب أكثر مما نقلته عنهـــا ، فان اكثر مروياتها لو عرضت على اصول علمي الرجال والدراية لا يثبت منها الا القليل في وجـــه النقوض والاتهامات الموجهة اليها، وانما اتركها لأقدم في كتابي نماذج في مختلف المواضيع من الموضوعات في غيرها من مجاميع الحديث .

وفي الوقت ذاته اريد ان يفهم غيرنا ان جميع مؤلفاتنا في الحديث تخضع

للنقــد والتجريح حتى الكتب الاربعة ، ولا نصفها بالصحة كما وصف غـيرنا ستة من مجاميعهم بالرغم من انها مشحونة بالموضوعات والاساطير .

وجاء في الوافي عن محمد بن الحسين عن الحكم بن مسكين عن اسحاق بن عمار عن رجل عن ابي عبد الله (ع) في تفسير قوله تعالى : **« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملهـــا الانسان وكان ظلوماً جهولاً »** انه قال : الامانة هي ولاية علي بن ابي طالب .

وقد جاء في سند هذه الرواية الحكيم بن مسكين ، ولم يتعرض المؤلفون في الرجال لمدحه أو ذمه غير انه ورد في التعليقة على رجال الميرزا محمد ان بعض المؤلفين في الدراية حاول ان يعده مع الموثوقين لبعض الاعتبارات التي لا تغني شيئاً ، والظاهر ان محمد بن الحسين الراوي لها عن ابن مسكين هو محمد بن الحسين الصائغ ، وهو من الضعفاء والمتهمين بالغلو ، ومما يؤيد ذلك ان هذا النوع من التفاسير اكثر رواته من الغلاة المتهمين بوضع الأحاديث ، هذا بالاضافة الى ان اسحق بن عمار لم يذكر الرجـل الذي رواها عن الامام الصادق بوصفه او اسمه ، ويكفيها ضعفاً ذلك ، على أن المؤلفين في التفسير لم يتعرض احد منهم لهذا الاحتمال ، والاقرب إلى الاعتبار ان هـذا التفسير مأخوذ من كتاب تفسير الباطن لعلي بن حسان، او من تفسير علي بن ابراهيم المنسوب إلى العسكري عليه السلام ، ومن المعلوم انه قد احيط بأكثر من الشك والريب عند الشيعة الامامية لانه يعتمد على الباطن في أكثر المناسبات ، هذا بالاضافة إلى أن الرواة الذين نسبوه إلى العسكري عليه السلام لم تتوفر فيهـم الشروط المطلوبة بالراوي كما يظهر من المؤلفات في هذا الموضوع .

وروي في الوافي عن علي بن الحـكم عن المفضل بن صالح عن جـابر الجعفي عن الامام الباقر ان الآية : **« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم**

نجد له عزماً » انه عهد إلى آدم بولاية محمد والأئمة من ولده ، فترك ولم يكن له عزم على ذلك .

وأضاف الامام إلى ذلك انا نحن أولو العزم لانه عهد اليهم في محمد وأوصيائه والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم على الاقرار به ، وأكد ذلك محمد ابن عيسى القمي ، ومحمد بن سليمان ، وعبد الله بن سنان ، وقالوا ان الامام الصادق اقسم بأن الآية نزلت على محمد بالصيغة التالية :

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فنسي » .

وقد جاء في سند هذه الرواية المفضل بن صالح، واتفق المؤلفون في احوال الرواة انه كان كذاباً ، يضع الاحاديث ، ولم يرد عن احد منهم ما يشعر بجواز الاعتماد على مروياته ، كما ورد في سندها محمد بن سليمان ، وسواء كان ابن عبد الله الديلمي أو بن زكريا الديلمي فهما من المتهمين بالكذب لا يعول على مروياتهما على حد تعبير المؤلفين في الرجال .

ومع التغاضي عن جميع ذلك ، فإن آدم من الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته ، ومع ذلك فكيف يصح عليه ان يخالف عهد الله ولا يعزم عليه كما تنص هذه الرواية .

وروي عن علي بن محمد عن بعض أصحابنا كما جاء في سند الرواية عن السراد عن محمد بن المفضل عن ابي الحسن الماضي انه قال في تفسير قوله تعالى : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم** » يريدون أن يطفئوا ولاية علي بن أبي طالب والله متم نوره ، أي متم امامة علي .

وأضاف إلى ذلك أن الآية: « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** » نزلت في علي عليه السلام وان الهدى ودين الحق هما ولاية علي بعد رسول الله ،

« **والله متم نوره ولو كره الكافرون** » أي متمه بولاية علي عليه السلام .

ومضى الراوي يقول : وان الآية : « **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله** » تعني انهم اذا قيل لهم ارجعوا الى ولاية علي يستغفر لكم رسول الله « **لوا رؤسهم واستكبروا** » عن ولايته، وان الآية : « **أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم** » قد ضربها الله مثلاً لمن حاد عن ولاية علي أمير المؤمنين ، فهو يمشي مكباً على وجهه لا يهتدي لأمره ، ومن يتبع علياً يمشي على الصراط مستقيم وهو نفسه الصراط المستقيم، وان قوله تعالى« **انه لقول رسول كريم** » أي أن ولاية علي هي قول جبرائيل « **وما هو بقول شاعر قليلاً ما يؤمنون** » تشير الى ان المنافقين قالوا بان محمداً قد كذب على ربه في استخلاف علي من بعده .

قال السائل فما المراد من قوله : « **انا لما سمعنا الهدى آمنا به** » ، قال : الهدى هو الولاية ، ومن آمن بها لا يخاف بخساً ولا رهقاً .

ومضى الراوي في حديثه المزعوم عن الامام موسى بن جعفر يطبق عشرات الآيات على ولاية علي حتى انتهى إلى الآية : « **يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا** » ، فقال الامام : النذر هو ولاية علي بن ابي طالب ، وأضاف يقول : ان المراد بالمصلين في الآية لم تكن من المصلين، أي من أتباع علي أمير المؤمنين إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي فسرها الامام على حد زعم الراوي بولاية امير المؤمنين ، في حين أن ظواهرها لا تشير إلى هذه التفاسير ولو من بعيد،ولو كان الرواة لهذه الرواية من الموثوقين المعروفين بالصدق والامانة لم يكن لنا بد من التصديق والاذعان ، لان الأئمة أعرف بظاهر القرآن وباطنه وأسباب نزوله وعامه وخاصه من جميع الناس، ولكن لا سبيل لنا إلى ذلك بعد أن كانت هذه التفاسير من الغرائب والرواة لها من غير الموثوقين في أقوالهم وأفعالهم ، فان الراوي لها عن الامام موسى

ابن جعفر محمد بن الفضل الازدي الصيرفي متهم بالغلو ومعدودين ضعفاء الرواة ، وكان معاصراً لابي الحسن الرضا ويروي عنه وعن أبيه الامام موسى ابن جعفر عليه السلام [1].

وروي عن سلمة بن الخطاب عن الحسين بن عبد الرحمن عن علي ابي بصير عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : **« ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى »** انه قال من أعرض عن ولاية علي يحشر يوم القيامة أعمى القلب والبصر عن الولاية، وأضاف إلى ذلك الامام على حد زعم الراوي ان من اعرض عن الولاية يبقى متحيراً يوم القيامة فيقول لربه : **« لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً »** فيأتيه الجواب **لانك نسيت آياتنا** وهم الأئمة **وكذلك اليوم تنسى** وتترك في نار جهنم كما تركت الأئمة واتبعت غيرهم، **« وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى »** أي ان من اشرك بولاية امير المؤمنين وترك الأئمة ولم يتبع آثارهم، **ومن كان يريد حرث الآخرة** ، أي معرفة امير المؤمنين والأئمة **نزد له منها** اي يستوفي نصيبه من دولتهم، **ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ، أي ليس له نصيب من دولة الحق عند ظهور القائم عليه السلام .

وجاء في سند هذه الرواية سلمة بن الخطاب ، والظاهر اتفاق المؤلفين في احوال الرجال على ضعفه وعدم جواز الاعتماد على مروياته، إلا إذا اقترنت ببعض القرائن التي ترجح صدورها عن الامام عليه السلام، وقد رواها عن الحسين ابن عبد الرحمن ، ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، وأما الراوي الأخير

---

(١) انظر رجال المرزا محمد والاتقان للشيخ محمد طه .

لها عن الامام وهو علي أبو بصير على حد زعم سلمة بن الخطاب ، فهو من المجهولين الذين لم تتعرض لهم كتب الرجال .

والذين يكنون بأبي بصير أربعة لا غير ، أبو بصير عبد الله بن محمد الأسدي ، وأبو بصير علباء بن دارع ، وأبو بصير ليث بن البختري، وأبو بصير يحيى بن ابي القاسم ، وكلهم من المتهمين ، وافضلهم كما يبدو من كتب الرجال ابو بصير ليث بن البختري ، حيث وثقه جماعة ، وطعن فيه آخرون ونسبوا اليه ما يشعر بفساد عقيدته .

وجاء عن ابن ابي يعفور انه قال له : حج بمالك فأنت ذو مال كثير ، فقال له ابو بصير : اسكت ، والله لو كانت الدنيا وقفاً لصاحبك لاشتمل عليها بردائه ، يعرض بالامام عليه السلام [1] .

وروي في باب ان الجن تأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم عن محمد بن علي عن يحيى بن مساور عن سعد الاسكاف انه قال : أتيت أبا جعفر عليه السلام في بعض ما اتيته فجعل يقول: لا تعجل ، حتى حميت الشمس علي وجعلت اتتبع الافياء، فما لبث ان خرج علي قوم كأنهم الجراد الصفر قد انهكتهم العبادة، فوالله لانساني ما كنت فيه من حسن هيئة القوم ، فلما دخلت عليه قال لي : أراني قد شققت عليك ، قلت : أجل ، والله لقد انساني ما كنت فيه . قوم مروا بي لم أر قوماً أحسن هيئة منهم في زي رجل واحد ، كأن ألوانهم الجراد الصفر قد انهكتهم العبادة ، فقال : يا سعد رأيتهم ؟ قلت نعم، قال: أولئك اخوانك من الجن ، فقلت يأتونك ، قال : نعم ، يأتونا يسألون عن معالم دينهم وحلالهم وحرامهم .

---

(١) انظر رجال المرزا محمد حرف اللام في ترجمته ، وانظر ترجمة الاسدي في رجال الكشي ص ١٥٥ و ١٥٦ .

وهذه الرواية رواها يحيى بن مساور عن سعد الاسكاف ، أما يحيى فهو مجهول الحال ولم اجد من تعرض له بمدح أو قدح ، وأما سعد الاسكاف فهو من المتهمين ، وقيل بأنه كان ناووسيا من اتباع عجلان بن ناووس، وقد جاء عن الامام الصادق ما يشعر بمدحه ، فقيل انه قال له حينما تولى القضاء للعباسيين : أحب ان يكون في كل ثلاثين ذراعاً قاضٍ مثلك .

وعلى أي الاحوال فإن الذين تحدثوا عنه لم يخرجوا بنتيجة ايجابية توجب الوثوق به والاطمئنان الى حديثه ، وبخاصة اذا تعلقت احاديثه بالامور الغيبية .

وروي عن محمد بن الحسن عن ابراهيم بن هاشم عن عمر بن عثمان عن ابراهيم بن ايوب وعمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: بينما أمير المؤمنين على المنبر اذ اقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد فهم الناس ان يقتلوه ، فأمرهم امير المؤمنين ان يكفوا عنه ، فأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى الى المنبر فتطاول وسلم على أمير المؤمنين عليه السلام فأشار عليه أمير المؤمنين ان يقف حتى ينتهي من خطبته ، فلما فرغ منها أقبل عليه وقال له : من أنت ، قال : أنا عمر بن عثمان خليفتك على الجن ، وان أبي مات وأوصاني أن آتيك وأستطلع رأيك ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به وما ترى ، فقال أمير المؤمنين : أوصيك بتقوى الله وان تنصرف فتقوم مقام ابيك في الجن فانك خليفتي عليهم ، فودعه وانصرف ، فقلت : جعلت فداك فيأتيك عمر وذاك واجب عليه؟قال نعم .

ورواها في الكافي بنفس السند، والذي رواها عن جابر هو عمرو بن شمر، وجاء في كتب الرجال عنه انه كان يضع الاحاديث في كتب جابر وينسبها اليه ، ونص النجاشي على انه ضعيف جدا ، وجاء في الخلاصة للعلامة انه لا يعتمد على شيء من مروياته ، هذا بالاضافة الى ان جابر الجعفي من المتهمين

عند أكثر المؤلفين في الرجـال كما ذكرنا من قبل ، أما ابراهيم بن ايوب الذي رواها عن عمرو بن شمر فلم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، والذي رواهـا عنه لم يتعرض احد له بمدح أو قدح ، والظاهر ان الراوي لها عن ابراهيم بن هاشم محمد بن الحسن بن شمون ، وهو من الغلاة المعروفين بالكذب ووضـع الاحاديث .

وروي أيضاً عن محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن رجل على حد تعبير الراوي عن محمد بن جحرش عن حكيمة انها قالت: رأيت الامام الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب وهو يناجي ولست أرى احداً ، فقلت ياسيدي لمن تناجي ، فقال : هذا عامر الزهراني أتاني يسألني ويشكو إلي ، فقلت احب ان اسمعه ، فقال لي : انك ان سمعتيه حممت سنة كاملة ، فقلت احب ان اسمعه ، فقال لي: اسمعي، فسمعت شبه الصفير وركبتني الحمى سنة كاملة .

ورواها في الكافي بنفس السند أيضاً ، والظاهر ان محمد بن الحسن الراوي لها عن سهل بن زياد هو ابن شمون وهو من الوضاعين كما ذكرنا من قبل ، وأما الحسن بن سهل بن زياد ، فقد جاء عنه أنه كان ضعيفاً جداً ، فاسد الرواية والمذهب يروي المراسيل ويعتمد المجاهيل، وقد أخرجه احمد بن محمد بن عيسى ابن قم واظهر البراءة منه ونهى عن الاستماع اليه والرواية عنه[1] وأما محمد بن جحرش الراوي لها عن حكيمة فلم يرد له ذكر في كتب الرجال وجميع ما ورد في الوافي والكافي وغيرهما حول هذا الموضوع لا تجد رواية منـه تطمئن النفس الى احد من رواتها .

وروي في الوافي عن احمد بن محمد الكوفي عن حنان بن سدير الصيرفي عن أبيه سدير الصيرفي عن ابي اسحاق الليثي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال

---

(١) انظر رجال الشيخ محمد ص ٢٩٨ .

له : اخبرني عن المؤمن من شيعة أمير المؤمنين اذا بلغ وكمل في المعرفة هـل يزني ويلوط ويشرب الخمر ويذنب ؟ فـكثر تعجبي من ذلك وقلت : يا ابن رسول الله ، اني اجد من شيعة أمير المؤمنين ومواليكم من يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون بالصلاة والزكاة وجميع الواجبات ، وإذا جاءه المؤمن في حاجة يسيرة لا يقضيها له ، فتبسم الامـــام عليه السلام وقال : يا ابن اسحاق ، هل عندك شيء غير هذا ، قلت نعم يا ابن رسول الله : واني اجد الناصب الذي لا اشك في كفره يتورع عن هذه الاشياء ولا يستحل درهمـاً لمسلم ويقوم بحوائج المسلمين لله تعالى ، فقال عليه السلام : لهذا الأمر ســـر باطن مكنون وباب مغلق مخزون قد خفي عليك وعلى كثير من أمثالك ، وان الله سبحانه لم يأذن ان يخرج سره وغيبه إلا من يحتمله .

ومضى الامام عليه السلام على حد زعم الراوي يصف علمهم وصعوبة تحمـــله واخطار اذاعتــه ، وما يترتب على ذلك من المفاسد والمشاكل ، ثم تلا هـذه الآية : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـــداً إلا من ارتضى من رسول** » وأضاف الى ذلك ان اعمال الناصب تذهب هباء منثوراً، وتلا قوله تعالى : « **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** » وقال ان الله يقول : « **عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية** » وبعد ان تحدث عن النواصب وموقفهم من ولاية علي عليه السلام قال : ان الله يقول : « **ان تجتنبوا كبائر الاثم والفوحش إلا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض** » وأضاف الى ذلك ان الله خلق أرضاً طيبـــة طاهرة وفجر فيها ماء عـــذباً زلالاً فراتاً فرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتهـا فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ، ثم نقب عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين فجعله طين الأئمة ، ثم أخذ جل جلاله ثفـــل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا

ومحبينا من فضل طينتنا ، فلو ترك طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم انتم ونحن سواء ، قلت يا ابن رسـول الله ما صنع بطينتنا قال عليه السلام خلق الله أرضـاً سبخة خبيثة منتنة وفجر منها ماء اجاجاً مالحاً آسناً، ثم عرض عليها ولاية امير المؤمنين فلم تقبلها ، وأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ، ثم نضب عنها فأخذ من كدورة ذلك الطـين المنتن الخبيث فخلق منه أئمـة الكفر والطغاة والفجرة ، ثم عمد الى بقية ذلك الطين ومزجه بطينتكم ، ولو ترك ذلك الطين ولم يمزجه بطينتكم ما عملوا ابداً عملاً صالحاً ، ولا تشهدوا الشهادتين ، ولا أدوا الى أحد أمانته ، ولا فعلوا شيئاً من الواجبات ، ولا اجتنبوا شيئاً من المحرمات ، ثم مزج الطينتين بالماء الاول والثاني ، فما تراه من شيعتنا ومحبينا من زنا ولواط وخيانة وشرب للخمر وترك للصلاة وبقيـة الواجبات ، فهي كلها من عدونا الناصب وسنخه ومزاجه الذي مزج بطينته ، وما تـراه من الناصب من الزهد والعبادة والمواظبة على أعمال الخير والواجبات ، فذلك كله من طينة المؤمن ، فاذا عرضت الاعمال على الله سبحانه يقول الله عز وجل : انا عدل لا أجور ومنصف لا اظلم ، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا اظـلم مؤمناً بذنب مرتكب من سنخ الناصب وطينته، هذه الاعمال الصالحات كلها من طينة المؤمن ، والاعمال الرديئة التي أتى بها المؤمن تلحق الناصب لانها من طينته ، وكل شيء يرجع الى أصله وجوهره ، ثم تلا قوله تعالى : « **معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون** »، ومضى الامام كما يزعم الراوي يقرب هذا المعنى ويستدل عليه بآيات من القرآن في حديث طويل لا يعنينا منه اكثر من هذا المقدار ، ورواه في الكافي أيضاً بهذا النص .

وهذه الرواية تخالف نصوص القرآن الكريم الذي حمل كل انسان سيئات أعماله ، وفي الوقت ذاته تدل على ان جميع ما يأتيه الانسان من خير أو شر

انما من لوازم الطينة التي خلق منها وليس له اختيار في شيء من اموره ،هذا بالاضافة الى ان الرواة بين مجهول الحال وبين متهم في عقيدته والكذب على الأئمة عليهم السلام .

وروي عن الحسن بن موسى عن احمد بن عمر عن يحيى بن ابان عن شهاب انه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم احد احداً ، فقلت : اصلحك الله ، وكيف ذاك ، قال : ان الله تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة واربعين جزءاً،ثم جعل الاجزاء اعشاراً ، فجعل كل جزء تسعة اعشار ، ثم قسمه بين الخلق ، فجعل في رجل عشر جزء وفي آخر عشر جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً ، وفي آخر جزء وعشر جزء، وفي آخر جزء وعشرين جزءاً ، وفي آخر جزء وثلاثة اعشار الجزء حتى بلغ به جزأين تامين، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعة واربعين جزءاً،فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر ان يكون مثل صاحب العشرين ، وكذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة اعشار ، وكذلك من تم له جزء لا يقدر ان يكون مثل صاحب الجزأين ، واضاف الى ذلك:لو علم الناس ان الله تعالى خلق هذا الخلق على هذا لم يلم احد احدا .

وهذه الرواية ترفع عن الانسان مسؤولية اعماله لانه يصبح مسيراً لتلك الاجزاء التي اودعها الله فيه،وكما لا يجوز لاحد ان يلوم احداً على سوء تصرفاته لا يصح من الله وهو العادل الرؤوف الرحيم الذي لا يجور ولا يظلم احداً ان يحاسب ويعاقب ما دام الانسان مرتبطاً بما اودع الله فيه من الاجزاء واعشار الاجزاء وليس بامكانه ان يتخطاها ، هذا بالاضافة الى انها تدعو الى اليأس والركود وعدم التطلع الى الافضل .

على ان الرواة لهذا الحديث بين من هو مجهول الحال، وبين من هو متهم في دينه وعقيدته .

وجاء عن شهاب الراوي لها عن الامام عليه السلام ان الامام الصادق قال فيه: واما شهاب فهو شر من الميتة والدم ولحم الخنزير ، وقيـــل انه كان ناووسيا يقول : بامامة عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام ، وقد حاول بعضهم الدفاع عنه ، ولكنه لم يخرج بنتيجة تطمئن اليها النفس .

وروي عن الحسن بن شمون عن الأصم عن عبد الله بن القـاسم البطل عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال في تفســـير الآية : **« وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً »** انها تعني قتل أمير المؤمنين وطعن الحسن بن علي (ع) وقتل الحسين ، وان قوله تعالى: **« فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً »** ، تعني ان الله سيبعث قوماً قبل خروج القائم فـــلا يدعون واتراً لآل محمد إلا قتلوه ثم يخرج القائم عليه السلام ،وان قوله : **«ثم رددنا لكم الكرة عليهم »** ، تعـني خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه فـلا يشك احد فيه ويكون الحجة محمد بن الحسن خلفهم فاذا استقرت المعـرفة في قلوب المؤمنين انه الحسين جاءه الموت فيغسله الحسين ويلحده في حضرته لان الوحي لا يلي امره إلا وحي مثله .

والرواة لهـــذه الرواية كلهم من المنحرفين عن التشيع الصحيح ومن الوضاعين كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرواة .

وروي عن صالح بن ابي حماد عن الوشا عن كرام عن عبد الله بن طلحة انه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ فقال: رجس وهو مسخ كله، فاذا قتلته فاغتسل ، ثم قال : كان ابي في الحجر ومعه رجل يحدثه فاذا هو بوزغ يولول بلسانه ، فقال ابي للرجل : ما يقول هذا الوزغ ، فقال : لا علم لي بما يقول ، فقال ابي : انه يقول : والله لئن شتمتم عثمان لأشتمن علياً حتى تقوم من هنـا ، وأضاف الى ذلك أبي انه ليس يموت من بني أمية ميت إلا

ويمسخ وزغاً ، ان عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً وذهب من بين ولده وحاشيته وكانوا حوله ، فلما فقدوه عظم ذلك عليهم ولم يدروا ما يصنعون ، ثم اجتمع امرهم على ان يأخذوا جذعاً فيضعونه كهيئة الرجل ففعلوا ذلك ثم ألبسوا الجذع درعاً من حـديد وألبسوه الأكفان ودفنوه ولم يطلع على ذلك إلا أنا وولده .

وبلا شك فان هذه الرواية من الموضوعات لان الامام الصادق ارفع شأناً وأعلى مقاماً من أن يستمع لمثل هذه الاساطير ويحدث بها،على أن الرواة لهذه الرواية بين مجهول الحال،وبين متهم بالكذب كصالح بن حماد،وبين من انكر امامة موسى بن جعفر ووقف على الامام الصادق وهو كرام بن عمر ، وأما عبد الله بن طلحة الراوي لها عن الامام الصادق عليه السلام فلم اجد له ذكراً في كتب الرجال [1] .

وجـاء في الكافي عن احمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن الخيبري عن يونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وابي سلمة السراج، والحسين بن ثوار بن ابي فاختة انهم قالوا : كنا عند ابي عبد الله الصادق فقال : عندنا خزائن الارض ومفاتيحها ، ولو شئت ان اقول باحدى رجلي أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت ، ثم ضربها باحدى رجليه فخطها في الأرض خطاً فانفرجت الأرض ، ثم مد يده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر ، وقال : انظروا حسناً فنظرنا فاذا سبائك الذهب بعضها فوق بعض، فقال له بعضنا : جعلت فداك اعطيتم ما اعطيتم وشيعتكم محتاجون ، فقال: ان الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحيم .

وقد اشترك في هذه الرواية أربعة من المتهمين بالكذب والغلو الخيبري بن

---

(١) انظر الكشي ورجال الميرزا محمد وغيرهما .

علي الطحان ، فلقد جاء في منهج المقال عنه انه ضعيف في مذهبه، وقال عنه جماعة ان في مذهبه ارتفاعاً، يعنون بذلك الغلو ، وعمر بن عبد العزيز ، فلقد وصفه الشيخ محمد طه في رجاله بأنه كان مخلطاً ، وجاء عن الفضل بن شاذان انه يروي الغرائب والمناكير ، واما المفضل بن عمر ويونس بن ظبيان فحالهما معروف ويكفيهما ما جاء عن الامام الصادق في ذمهما والتحذير منهما ولعنهما.

وجاء عنه انه قال : لعن الله يونس بن ظبيان الف لعنة تتبعها الف لعنة.

ومن الجائز على الامام عليه السلام ان يصنع أكثر من ذلك بقدرة الله سبحانه ولكن وجود هؤلاء في سند رواية من هذا النوع يضعها في قفص الاتهام .

ومن الموضوعات ما جاء في الكافي عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن الياس الحريشي عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: بينا ابي جالس وعنده نفر اذ استضحك حتى اغرورقت عيناه دموعاً ، ثم قال : اتدرون ما أضحكني ، فقالوا لا يا ابن رسول الله ، فقال : زعم ابن عباس انه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فقلت له:هل رأيت الملائكة يا ابن عباس تخبرك بولايتها لك فيالدنيا والآخرة مع الأمن منالخوف والحزن فقال : ان الله يقول : إنما المؤمنون اخوة ، وقد دخل في هذا جميع الأمة فاستضحكت ، ثم قلت صدقت يا ابن عباس : انشدك الله ، هل في حكم الله جل ذكره اختلاف ، فقال لا ، فقلت:ما ترى في رجل،ضرب رجل اصابعه بالسيف حتى سقطت،ثم ذهب وأتى آخر فأطار كفه ، فأتى به اليك وأنت قاضي ، كيف أنت صانع ، قال : أقول لهذا القاطع اعطه دية كفه ،وأقول لهذا المقطوع صالحه على ما شئت ، قلت: جاء الاختلاف في حكم الله ونقضت القول الاول، ابى الله ان يحدث في خلقه شيئاً من الحدود ليس له تفسير في الأرض ، اقطع قاطع الكف اصلا ، ثم اعطه دية الاصابع ، هكذا حكم الله

ليلة تنزل فيها امره ، ان جحدتها بعد ما سمعتها من رسـول الله فأدخلك الله النار كما أعمى بصرك يوم جحدتها على ابن ابي طالب ، قـال : فلذلك عمي بصري ، قال : وما علمك بذلك ، فوالله ان عمي بصره إلا من صفقة جناح الملك ، قال : فاستضحكت ثم تركته يومه ذاك لسخافة عقله ، ثم لقيتـه فقلت : يا ابن عباس ، ما تكلمت بصدق مثـل امس ، قال لك علي بن ابي طالب ان ليلة القدر في كل سنة وانه ينزل في تلك الليلة أمر السنة وان لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : من هم ؟ فقال : أنا وأحد عشر من صلبي أئمـة محدثون ، فقلت : لا أراها كانت إلا مع رسول الله ﷺ فتبدى لك الملك الذي يحدثه ، فقال كذبت يا عبد الله ، رأت عيناي الذي حدثك به علي ولم تره عينـاه ولكن وعى قلبه ووقر في سمعه ، ثم صفقك بجناحه فعميت ، فقال ابن عباس ما اختلفنا في شيء فحكمه الى الله ،فقلت : فهل حكم الله في حكم من حكمه بأمرين ؟ قال لا ، فقلت هلكت واهلكت.

وقد عد التستري في كتابه الأخبار الدخيلة هذه الرواية من الموضوعات ، وعلق عليها بما حاصله ان عبد الله بن العباس كان من صفوة الموالـين لأهل البيت .

والرواية تشير الى خلاف ذلك كما يبدو من قوله في جواب علي عليه السلام : لا اراها كانت إلا مع رسول الله ، بالاضافة الى ما جاء في صدرها ، على أن الذي يظهر من الرواية ان هذا الجدل بين الامام البـاقر عليه السلام وعبد الله بن العباس كان في حال امامته ، ومن المعلوم ان الامامة قد انتقلت الى البـاقر سنة ٩٥ بعد وفاة ابيه علي بن الحسين ، وذلك بعد وفاة عبد الله بن العباس بسبعة وعشرين عاماً حيث كانت وفاته سنة ٦٨ ، ويومها كان الامام الباقر في حدود العاشرة من عمره .

ومضى التستري يقول : ان الحديث ينص على ان عبد الله بن العباس قد

فقد بصره بعد ان صفعه جبرائيل بجناحه لانه خالف امير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن ليلة القدر ، مع أن بعض النصوص التاريخية تؤكد أن ذهاب بصره كان لبكائه على بني عمومته علي والحسنين ، واستطرد يقول : فلماذا أعماه جبرئيل وهو المدافع والحامي عن علي وبنيه،ولم يضرب معاوية وغيره من المبغضين لعلي بجناحيه .

والذي يجب التنبيه عليه ان الحديث المذكور مع قطع النظر عن كل هذه الملابسات يكتنفه الغموض وعدم الانسجام والاضطراب بنحو لا يشبه كلام الائمة ، ورواته من المتهمين بالغلو والكذب على الأئمة ، وجاء في سهل بن زياد انه من الغلاة الكذابين، وقد اخرجه الأشعري من مدينة قم لهذه الغاية ووصفه ابن شاذان بالحمق ، وأما الحسن بن العباس الحريشي فقد جاء عنه في كتب الرجال انه ضعيف جداً ، له كتاب انا انزلناه في ليلة القدر ، رديء الحديث مضطرب الألفاظ كما ذكرنا من قبل ، وجاء في الخلاصة عن ابن الغضائري ان كتابه فاسد الالفاظ تشهد مخايله على انه من الموضوعات ، وأضاف ان هذا الرجل لا يلتفت اليه ولا يكتب حديثه .

وروى الكليني تسعة احاديث بهذا السند ، وكلها بالاضافة الى ضعف سندها مضطربة الألفاظ يكتنفها الغموض والتشويش البعيدين عن منطق الأئمة (ع) منها حديث طويل يعرض فيه حواراً دار بين الامام الباقر والياس الذي اشار الله اليه في القرآن الكريم حول ليلة القدر ، وان الله يتنزل فيها على الأوصياء كما كان يتنزل على النبي صلى الله عليه وآله ويكفي هذه المرويات عيباً ان سندها قد اشتمل على الحسن بن العباس بن الحريشي وسهل بن زياد.

وروي في الكافي والوافي عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن ابي سعيد الخرساني عن ابي عبد الله عليه السلام ان الامام الباقر قال : ان القائم اذا قام بمكة واراد ان يتوجه الى الكوفة نادى مناديه ألا لا يحمل

احد منكم طعاماً ولا شراباً، ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وقر بعير ، فلا ينزل منزلاً إلا انبعثت منه عين، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظامئاً روي فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة .

وقد ورد في سند هذه الرواية عبد الله بن القاسم البطل ومحمد بن الحسين الصائغ وموسى بن سعدان، وكلهم من المتهمين الذين لا يعتمد برواياتهم كما ذكرنا من قبل ، وأما الراوي الأخير لها عن الامام الصادق عليه السلام فهو من المجهولين كما نص على ذلك المرزا محمد في رجاله .

وجاء في الكافي عن عبد الله بن محمد عن متبع عن الحجاج البصري عن مجاشع عن معلى عن محمد بن الفيض عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : كانت عصا موسى لآدم فصارت لشعيب ، ثم صارت لموسى بن عمران ، وانها لعندنا واني عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها ، وانها لتنطق اذا استنطقت ، ، اعدت لقائمنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى وانها لتروع وتلقف ما يأفكون ، وتصنع ما تؤمر به ، يفتح لها شفتان احداهما في الأرض والاخرى في السقف وبينهما اربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها .

والرواة لهذه الرواية ما بين متهم بالغلو ووضع الأحاديث ، وبين مجهول الحال كما يبدو ذلك في كتب الرجال واحوال الرواة .

وروي في الكافي والوافي عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابراهيم ابن اسحاق الاحمر عن عبد الله بن حماد عن سيف التمار انه قال : كنا عند ابي عبد الله الصادق جماعة في الحجر ، فقال علينا عين ، فالتفتنا يمنه ويسرة فلم نجد أحداً ، فقلنا ليس علينا عين ، فقال ورب الكعبة ورب هذه البنية ثلاث مرات ، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما اني اعلم منهما ولأتيتهما بما ليس في ايديهما ، لأن موسى والخضر اعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما

يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه عن رسول الله ﷺ .

لقد نصت هذه الرواية على ان النبي عنده بالاضافة الى علم ما كان ، علم ما هو كائن وما سيكون ، وقد ورثه للأئمة الأطهار ، ومعنى ذلك ان الله سبحانه لم يستأثر بشيء وعلمه بكامله قد انتقل للنبي والأئمة ، وهو مخالف لنصوص القرآن .

وجاء في بعض المرويات عن النبي انه كان يقول لأصحابه : ما لي ولكم تسألونني عما لا أعلم وانما أنا عبد لله لا علم لي إلا ما علمني ربي .

وقال لهم مرة : أنا أعلم بأمور دينكم وأنتم أعلم بأمور دنياكم ، الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تنص على انه لم يدع لنفسه علم ما كان وما سيكون كما تنص هذه الرواية .

على أن ابراهيم بن اسحاق الاحمر الراوي لها عن عبد الله بن حماد ، قد وصفه المؤلفون في الرجال بالضعف ، وقال عنه ابن الغضائري : في مذهبه ارتفاع ،وجاء فيالفهرست انه ضعيف فيحديثه ومتهم في دينه، كما نصوا على ان عبد الله بن حماد الراوي لها عن سيف التمار لا يجوز الاعتماد على حديثه اذا لم يكن مدعوماً ببعض القرائن التي ترجح صدوره ، واما سيف التمار الراوي لها عن الامام فهو مشترك بين الضعيف والموثق [1] .

وجاء في رواية اخرى عن محمد بن سنان ويونس بن يعقوب والحارث بن المغيرة ، وعبد الله بن بشير الخثعمي ان الامام الصادق عليه السلام كان يقول: اني لأعلم ما في السموات والأرض، وأعلم ما في الجنة والنار، واعلم ما كان وما

---

(١) انظر رجال الشيخ محمد طه ص ٢١٢ و ص ٢٥٥ ورجال المرزا محمد وغيره من كتب الرجال .

سيكون ، ويضيف الى ذلك انه كان يعلم كل ذلك من كتاب الله لأن فيه تبيان كل شيء .

والذي نعتقده ونؤمن به ايماناً راسخاً لا يتزعزع ان الأئمة يعلمون ما لا يعلمه غيرهم من اي كان من الناس،وانهم ورثوا عن رسول الله الكثير والكثير مما اوحى اليه من الكائنات والغيبيات ، وليس من الضروري ان نؤمن بأن القرآن قد اشتمل على جميع ما في السموات والجنة والنار وما كان وسيكون الى يوم القيامة ، ولم يشتمل على أي نقص على ان فيه تبياناً لكل شيء مما كان وسيكون الى يوم الدين .

على ان الرواة لهذه الرواية لم تتوفر فيهم الشروط المطلوبة بالراوي والرواية ، فهم ما بين مجهول الحال وبين من هو متهم في عقيدته ومروياته كما يبدو ذلك للمتتبع في احوال الرواة .

وروى الشيخان في الكافي والوافي مجموعة من المرويات التي تصف الامام عليه السلام وهو حمل في بطن امه منذ الأيام الاولى الى وقت ولادته ، وانه يسمع الكلام بعد مضي اربعين يوماً على حمله ، وانه يولد على راحتيه رافعاً صوته بالتكبير والتهليل ويرى من خلفه كما يرى من امامه ولا يجنب ولا يتثاءب ولا يتمطى ، ولخروجه رائحة كرائحة المسك تبتلعه الأرض ، واذا لبس درع رسول الله كانت عليه وفقاً ، واذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً الى غير ذلك من الصفات التي لا ترفع من شأن الامام ، ولا يضره عدمها .

وجميع المرويات حول هذا الموضوع لا تكاد تجد رواية منه يخلو سندها عن كذاب أو منحرف عن التشيع الصحيح، كما يبدو ذلك المتتبع في احوال الرواة ، ومن المعلوم ان مجرد ذلك لا يثبت كون الرواية من الموضوعات لجواز ان يصدق غير العادل ومن لا يتورع عن الكذب ، ولكن التدين بها

والأخذ بمضمونها لا تقره اصول علم الدراية ما لم تقترن بشاهد يرجح صدورها عن الامام عليه السلام كما ذكرنا ، وليس في المرويات الصحيحة والنصوص القرآنية واصول الاسلام والتشيع ما يصلح لأداء هذه المهمة .

وروى ابن بابويه القمي في كتابه اكمال الدين واتمام النعمة في خلال حديثه عمن اجتمع بالامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام حديثاً طويلاً عن محمد بن علي بن محمد بن حاتم النوفلي المعروف بالكرماني عن جماعة من الرواة ، منهم محمد بن بحر الشيباني انه قال : حدثني احمد بن مسرور عن سعد بن عبد الله القمي ، وجاء في الحديث بعد ان وصف المراحل التي مر بها حتى دخل دار ابي محمد الحسن العسكري فوجد الحجة المنتظر جالساً على ركبتي ابيه وهو غلام صغير يلعب في رمانة ذهبية مرصعة بالجوهرات تلمع نقوشها،فأظهر الله على يده من الكرامات والغيبيات وهو يلهو ويلعب ويقبض على يد ابيه كلما اراد ان يكتب شيئاً ما يبهر العقول .

وجاء في الرواية انه سأله عن بعض الأشياء التي كان قد استعصى فهمها عليه ، ومنها قوله تعالى : **« فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى »** واستطرد السائل يقول : ان فقهاء الفريقين يدعون بأنها كانت من اهاب الميتة ، فقال الامام عليه السلام ان ذلك لا يليق بنبي كموسى ، ولا يصح عليه ان يلبس من حيوان ميت ، وتأويلها ان موسى ناجى ربه بالوادي المقدس وقال له اني قد أخلصت لك المحبة ، وغسلت قلبي عمن سواك ، فقال الله تعالى : **اخلع نعليك** ، أي انزع حب اهلك من قلبك ان كنت صادقاً في محبتك لي.

وأضاف الى ذلك الراوي انه قال له:فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل **« كهيعص »** ، فقال الامام عليه السلام على حد زعم الراوي : هذه الحروف من انباء الغيب اطلع الله عليها عبده زكريا ، ثم قصها على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ان زكريا سأل ربه ان يعلمه اسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرائيل فعلمه اياها ،

فكان زكريا اذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سري عنه همه ، وانجلى كربه ، واذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعـاً منهم تسليت بأسمائهم عن همومي ، وإذا ذكرت الحسـين تدمع عيني وتثور زفرتي ، فأنبأه تعالى عن قصته ، وقال : « **كهيعص** » الكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد بن معاوية ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره ، فلما سمع ذلك زكريا اعتكف في مسجده واقبل على البكاء والنحيب ، وكانت ندبته : إلهي اتفجع خـير خلقك بولده ، اتنزل هـذه الرزية بفنائه ، إلهي اتلبس ثياب هـذه المصيبة علياً وفاطمة .

وجاء في الرواية انه سأل الله أنيرزقه ولداً ويحببه الى قلبه ويفجعه به كما فجع محمداً بولده الحسين ، فرزقه الله يحيى وفجعه به ، الى غير ذلك ممـا اشتملت عليه هذه الرواية من الغرائب التي يجب الوقوف عندها وان كان ما نقلناه منها ليس بأقل غرابة مما أهملنا ذكره .

فلقد جاء في بعض المرويات الصحيحة ان الله سبحانه انما امره بأن يخلع نعليه لانها كانت من جلد حمار ميت وهذا لا يتنافى مع مقـامه ، والشيء الغريب الذي لا يقره العقل ولا تساعد عليه النصوص الصحيحة ، ان يأمره الله سبحانه بأن ينزع حب أهـله من قلبه ، مع ان ذلك لا يزاحم حبه لله واخلاصه له ، مع العلم بأن التعبير عن النعلين بحب الأهـل من أسوأ أنواع التجوز الذي لا يجوز اشتمال القرآن عليه ، هـذا بالاضافة الى ان الله سبحانه قد امر بتعظيم الوالدين والاحسان إليهما في أكثر من آية في كتابه .

وأما التفسير الذي اشتملتعليه الرواية **لكهيعص** فتنافيه الأخبار الكثيرة التي وردت في تفسير هذه الحروف ، فقد جاء في بعضها ان المراد من هـذه الكلمة ان الله هو الكافي الهادي الوالي العالم الصادق في وعده .

وجاء في رواية ثانيـة عن الصادق عليه السلام انه قـال في تفسيرها : الكاف كاف لشيعتنا ، والهاء هاد لهم ، والياء وليهم ، والعين عالم بالمطيعين منهم ، والصاد صادق لهم وعدهم .

وجاء في رواية ثالثة ان هذه الكلمة تشير الى اسماء الله سبحانه ، وجاء عن الاصبغ ان علياً كان في حالات الشدة يقول : ياكهيعص ، الى غير ذلك من المرويات حول تفسير هذه الحروف .

هذا كله بالاضافة الى ان سـند الرواية قد اشتمل على بعض الاشخاص المتهمين بالكذب في الحديث، منهم محمد بن بحر الشيباني ، فقد جاء عنه انه من القائلين بالتفويض ومن المغالين ، وممن يعتمـد على الضعفاء ، على ان بعض المؤلفين في الرجال يرجحون ان سعد بن عبد الله القمي وان عاصر الامـام العسكري ، ولكنه لم يرو عنـه ولا عن ولده محمد بن الحسن،ويرى بعضهم ان هذا الحديث من جمـلة الموضوعات نظراً لضعف سنده واشتماله على بعض الأمور التي لا تجوز على الامام [1] .

وجـاء في الكافي والوافي عن محمد بن الفضل ان الامام أبا الحسن عليه السلام قال في تفسير قوله تعـالى : « وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » قال ان المساجد هم الاوصياء .

وبلا شك فان هـذه الرواية من موضوعات الغلاة ، وممـا يؤيد ذلك ان محمد بن الفضل الراوي لها قد الصق به المؤلفون فياحوال الرواة هذه التهمة

---

(١) انظر الاخبار الدخيلة للتستري ص٩٦ وما بعدها ، وانظر الحديث بكامله في ص٢٥١ وما بعدها في اكمال الدين .

وأما الراوي الاول لها وهـــو محمد بن اسماعيل فهو مشترك بين الضعيف والثقة [1] .

ولو افترضنا ان الرواة لهـذه الرواية كلهم من الموثوقين ، فهـــل يجوز على الامـــام الصادق الصدوق ان يتصرف في القرآن الكريم بمثل هذا النوع من التأويل الذي لا يتناسب مع اسلوب القرآن واعجازه ، وهو القائل : اذا اشتبهت عليكم الاحاديث المروية عنا فاعرضوها على كتاب الله ، فمـا خالف كتاب الله فليس من احاديثنا .

وروي في الكافي مجموعة من الروايات التي فسرها الامام على حـد زعم الرواة بالأئمة (ع) فمن تلك المرويات ما رواه عن سـلمة بن الخطاب عن الحسن بن عبد الرحمن عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصـير ان الامام الصادق عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى : « **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً** » قال ان الرسول دعا قريشا الى ولايتنا فنفروا وانكروا ، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا ، الذين أقروا لأمير المؤمنين ولنا أهل البيت أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ، فقـال الله رداً عليهم : « **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** — من الأمم السـالفة — **هم أحسن أثاثاً ورئياً** » قلت قوله : « **من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً** » ، فقال : كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية علي ولا بولايتنـا ، فكانوا ضالين مضلين فيمد لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شراً مكاناً وأضعف جنداً ، قلت قوله : « **حتى إذا رأوا ما يوعـــدون إما**

---

(١) محمد بن اسماعيل بن بزيع من المتفق على وثاقته ، ومحمد بن اسماعيل بن بشير وثقـه جماعة وضعفه آخرون ، ومحمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق لقد وشى على الامام موسى ابن جعفر الى الرشيد كما جاء في الكافي ، ومحمد بن اسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي لم يتعرض له احد بقدح أو مدح ، ومحمد بن اسماعيل الجعفري مجهول الحال أيضاً .

العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً » ، قال : أما قوله : « حتى إذا رأوا ما يوعدون » فهـو خروج القائم وهي الساعة ، فسيعلمون في ذلك اليوم ما نزل بهم من الله تعالى على يد قائمه ، فذلك قوله : من هو شر مكاناً ، يعني عند القائم ، قلت قوله : ويزيد الذين اهتدوا هدى ، قال: يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه ، قلت قوله : لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، قال : الا من دان الله بولاية امير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله ، قلت قـوله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » قال : ولاية امير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى ، قلت : فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر قوماً لداً ، قال : انما يسره الله سبحانه على لسانه حـين اقام امير المؤمنين علما فبشـر به المؤمنين وانذر الكافرين ، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه لداً أي كفاراً .

قال : وسألته عن قوله تعالى : « لقـــد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » فقال : هم الذين لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده ، ثم قـــال : وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ، عقوبة منه لهم حيث انكروا ولاية امير المؤمنين والأئمة من بعده هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهـنم مقحمون ، ثم قال الله يا محمد : سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون بالله وولاية علي والأئمة من بعـده ، انما تنذر من اتبع الذكر أي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

والرواة الأربعة لهذه الرواية لا يجوز الاعتماد على مروياتهم ما لم تقترن ببعض الشواهد والقرائن ، وقد تحدثنا أكثر من مرة عن سلمـــة بن الخطاب ونقلنا آراء المؤلفين في الرجال فيه .

وأما الحسن بن عبد الرحمن فقد ورد هذا الاسم في منهج المقال مرتين ، الأولى الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري الكوفي،والثانية الحسن بن عبد الرحمن الكوفي ، ولم يتعرض لهما بقدح أو مدح .

وأما علي بن ابي حمزة فقد كان القائد لأبي بصير يحيى بن القاسم الراوي الحديث عن الامام عليه السلام وجاء عنه انه كان واقفياً كذاباً متهماً ملعوناً على حد تعبيرهم، ولقد قال علي بن الحسن بن فضال: لقد كتبت عنه تفسير القرآن من أوله الى آخره ولكني لا أستحل أن أروي عنه حديثاً واحداً .

وجاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام انه قال بعد موته :، انه اقعد في حفرته فسئل عن الأئمة فأخبر بأسمائهم حتى انتهى الي فوقف واضطرب فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره منها ناراً،كما جاء عنه انه كان أشد أهل الدنيا عداوة لله ، وهو أول من أظهر فكرة الوقف وانكر امامة الرضا عليه السلام .

ويدعي المؤلفون في الرجال انه هو وجماعة ، منهم زياد بن مروان النقدي وعثمان بن عيسى الرواسي كانوا من وكلاء الامام موسى بن جعفر عليه السلام وكان له اموال كثيرة عندهم فوقفوا على امامته وامتنعوا عن تسليم الاموال لخليفته الامام الرضا [1] والظاهر ان أبا بصير الذي روى عنه علي بن ابي حمزة هو يحيى بن القاسم لأنه كان قائده على حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان وكان متهما في حديثه ومخلطاً كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال .

وعلى أي الأحوال فولاية علي تؤكدها النصوص المتواترة عن النبي والأئمة (ع) وبها يتميز المحق من المبطل والطيب من الخبيث والضال من المهتدي على

---

(١) انظر ص ٣٢٢ من الاتقان وص ١٧٣ من منهج المقال ولعلي بن ابي حمزة ولد يدعى الحسن بن علي بن ابي حمزة كان متهما كأبيه كما تنص على ذلك المؤلفات في احوال الرواة .

شرط ان يسير الموالي على نهجهم القويم وطريقهم المستقيم ، ولا نحتاج الى هذا التحوير والتأويل البعيد عن اسلوب القرآن الكريم .

وبلا شك فان مضمون هذا الحديث ينطبق على الجاحدين ولاية علي عليه السلام والعاملين على غير هديه ، ولكن ضعف رواتها يثير الشك في صدورها عن الامام عليه السلام .

وبعد التتبع في الأحاديث المنتشرة في مجاميع الحديث كالكافي والوافي وغيرهما، نجد ان الغلاة والحاقدين على الأئمة والهداة لم يتركوا باباً من الأبواب إلا ودخلوا منه لإفساد احاديث الأئمة والاساءة الى سمعتهم ، وبالتالي رجعوا الى القرآن الكريم لينفثوا عن طريقه سمومهم ودسائسهم لانه الكلام الوحيد الذي يتحمل مالا يتحمله غيره ففسروا مئات الآيات بما يريدون وألصقوها بالأئمة الهداة زوراً وتضليلا .

وألف علي بن حسان وعمه عبد الرحمن بن كثير وعلي بن ابي حمزة البطائني كتباً في التفسير كلها تخريف وتحريف وتضليل لا تنسجم مع اسلوب القرآن وبلاغته وأهدافه .

وليس بغريب على من ينتحل البدع ان يكون في مستوى المخرفين والمهوشين ، انما الغريب ان يأتي شيخ المحدثين بعد جهاد طويل بلغ عشرين عاماً في البحث والتنقيب عن الحديث الصحيح فيحشد في كتابه تلك المرويات الكثيرة ، في حين ان عيوبها متناً وسنداً ليست خفية بنحو تخفى على من هو أقل منه علماً وخبرة بأحوال الرواة ، وجاء العلماء والمحدثون من بعده فاحتضنوا الكافي ومروياته لأنه بنظر فريق لم يتخطّ المرويات الصحيحة ، وبنظر الفريق الأكثر جمع كمية كبيرة من المرويات الصحيحة الى جانب المرويات المكذوبة على أهل البيت ، والفريقان مسؤولان عن موقفهم هذا منه .

وكم كنت أتمنى ان يقيض الله سبحانه من يعلق على الطبعة الحديثة ويضع اشارة على كل رواية لم تستوف شروط الصحة .

وجاء في الكافي عن أبي سعيد العصفوري عن عمر بن ثابت عن ابي الجارود عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله انی واثني عشر من ولدي وأنت ياعلي زر الأرض يعني أوتادها وجبالها بنا اوتد الله الأرض ان تسيخ بأهلها ، فاذا ذهب الاثنـــا عشر من ولدي ساخت الارض بأهلها ولم ينظروا .

وجاء في رواية أخرى بنفس السند ان الأئمة من ذريته اثنا عشر ، وهاتان الروايتان مخالفتان لضرورة المذهب واجماع الامامية في جميع العصور ، لأن لسان الأولى ان النبي واثنى عشر من ولده وعلي اوتاد الأرض ، والثانية تنص على ان الأئمة من ولده اثنا عشر اماما ، ومقتضاهما ان الأئمة ثلاثة عشر اماما ، ولم يذهب لذلك احد من الامامية ، هذا بالاضافة الى ان الرواة لهاتين الروايتين بين من هو مجهول الحال كأبي سعيد العصفوري وبين متهم بالكذب والانحراف كعمرو بن ثابت وابي الجارود ، فلقد جـاء عن عمرو بن ثابت انه ضعيف لا يعتمد برواياته كما نص على ذلك بعض المؤلفين في الرجال .

وجاء عن ابي الجارود ان الامام الباقر كان يسميه سرحوبا واليـه تنسب الفرقة السرحوبية من الزيدية .

وجـاء في الكشي أن سرحوبا اسم لشيطان اعمى يسكن البحر ، وكان ابو الجارود مكفوفاً أعمى القلب والبصر ، وأضاف الى ذلك ان ابا نصر قال : كنا عند ابي عبد الله الصادق عليه السلام فمرت بنا جارية معها قمقم فقلبته ، فقال ابو عبد الله : ان الله عز وجل قد قـلّـبَ قلب ابي الجارود كما قلبت هـذه الجارية هذا القمقم .

وجاء عنه انه قال : والله ان ابا الجارود لا يموت إلا تائهاً، وعن ابي بصير ان الامام الصادق ذكر كثيراً لغواً وسالم ابن ابي حفصة وابا الجارود وقال : كذابون مكذبون كفار عليهم لعنة الله الى غير ذلك مما ورد فيه[1] .

وجاء في رواية اخرى عن الحميري عن احمد بن هلال عن ابن ابي عمير عن ابي السفاتج عن جابر الجعفي عن الامام الباقر عن جابر الانصاري انه قال : دخلت على فاطمة (ع) وبين يديها لوح يكاد يعشي ضوؤه الأبصار ، فيه ثلاثة اسماء في ظاهره ، وثلاثة اسماء في باطنه ، وثلاثة اسماء في احد طرفيه ، وثلاثة اسماء في الطرف الآخر ، يرى من ظاهره ما في باطنه ، ومن باطنه ما في ظاهره ، فعددت الاسماء ، فاذا هي اثنا عشر ، فقلت لها من هؤلاء ؟ فقالت : هذه اسماء الاوصياء ، من ولدي آخرهم القائم ، قال جابر الانصاري : فرأيت فيها محمداً في ثلاثة مواضع.

وجاء في رواية رابعة رواها الحسن بن موسى الخشاب بسند ينتهي الى الامام ابي جعفر الباقر عليه السلام يقول فيها : الاثنا عشر اماما من آل محمد كلهم محدَّث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولد علي عليه السلام فرسول الله وعلي هما الوالدان ، ويكفي هذه الروايات عيباً ان مضمونها لا يلتزم به احد من الامامية ، وكلهم متفقون على ان الأئمة احد عشر من ولد فاطمة (ع) وعلي عليه السلام هو الثاني عشر ، والاحد عشر من ذريته .

وجاء في روضة الكافي عن علي بن ابراهيم عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال : سألته عن طول آدم وحواء حين هبطا الى الأرض ؟ فقال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان الله تعالى لما ان أهبط آدم وزوجته حواء الى الأرض ، ان رجليه كانا

---

(١) انظر الكشي ص ١٩٩ و ص ٢٠٠ .

بثنية الصفا ورأسه دون افق السماء وانه شكا الى الله تعالى ما يصيبه من حر الشمس ، فأوحى الله الى جبرائيل ان آدم قد شكا ما يصيبه من حر الشمس فاغمزه غمزة وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه، واغمز حواء غمزة فصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها .

وجاء في مرويات السنة عن عطاء انه لما اهبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة وشكت الى الله تعالى في دعائهم وصلاتهم فخفضه الى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله في صلاته ودعائه فوجه الى مكة فصار موضع قدمه قرية وخطوته مفازة حتى انتهى الى مكة .

وروي عن ابن عباس ان خطوه كان مسيرة ثلاثة ايام ، وان رأسه كان يبلغ السماء فاشتكت منه الملائكة ، فهمزه الرحمن همزة فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

وأضاف الطبري بسنده الى ابن عباس ان آدم حين هبط كان رأسه يمسح السماء فمن ثم صلع وأورث ولده الصلع .

وبلا شك ان هذه المرويات من صنع القصاصين، أو من موضوعات كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما الذين أدخلوا الاسرائيليات على الحديث والتفسير كما ذكرنا في الفصول السابقة .

على أن الراوي لها عن الامام وهو مقاتل بن سليمان كان من بترية الزيدية اتباع الحسن بن صالح بن حي الملقب بالأبتر وإليه تنسب فرقة البترية من الزيدية .

وجاء في مدينة المعاجز عن كامل الزيارات لابن قولويه عن عبد الله الأصم

عن عبد الله بن بكر الارجاني انه قال : صحبت أبا عبد الله الصادق عليه السلام في طريقه من المدينة إلى مكة ، فنزلنا منزلاً يقال له عسفان ، ثم مررنا بجبل اسود عن يسار الطريق وحش ، فقلت له : يا ابن رسول الله، ما أوحش هذا الجبل ، ما رأيت في الطريق مثل هذا ، فقال لي: يا ابن بكر ، اتدري أي جبل هذا ، فقلت لا ، قال : هذا جبل يقال له الكمد وهو على واد من أودية جهنم ، وفيه قتلة ابي عبد الله الحسين ، استودعهم الله فيه ، تجري من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم ،وما يخرج من الفلق وما يخرج من آثام ، وما يخرج من طينة خبال ، وما يخرج من جهنم ولظى وحطمة وسقر والهاوية والجحيم والسعير ، وما مررت بهـــذا الجبل في سفري فوقفت به إلا رأيتهم يستغيثون ، واني لأنظر الى قتلة أبي وأقول لهما : ان هؤلاء فعــلوا ما اسستما لم ترحمونا ، إذ وليتم وقتلتمونا ، وحرمتمونا ، ووثبتم على حقنا ، فلا رحم الله من يرحمكما ذوقوا وبال ما قدمتم ، وما الله بظـلام للعبيد ، فقلت : جعلت فــداك ومن معهم ؟ فقال : كل فرعون عتى على الله وحكى الله عنه فعاله ، وكل من عــلم العباد الكفر ، قلت من هم ؟ قال : لويس الذي علم اليهود ان يد الله مغلولة ، ونسطور الذي عـــلم النصارى ان عيسى المسيح ابن الله ، وانه ثالث ثلاثة ، وفرعون موسى الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، ونمرود الذي قال : قهرت أهل الأرض وقتلت أهل السماء ، وقاتل أمـــير المؤمنين ، وقاتل فاطمة الزهراء ومحسن ، وقاتل الحسن والحسين (ع) .

وأما معاوية وعمرو بن العاص فما يطمعان في الخلاص ومن معهم ممن نصب لنا العداوة وأعان علينا بلســانه ويده وماله ، قلت : جعلت فداك ، فأنت تسمع هذا كله ولا تفزع ، قال : يا ابن بكر ، ان قلوبنا غير قلوب الناس ، وان الملائكة تنزل علينا في رحالنا ، وتتقلب على فراشنا ، وتشهد طعامنا ،

وتحضر موتنا ، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون ، وتصلي معنـــا ، وتدعو لنا ، وتتقلب على أجنحتها صبياننا ، وتمنع الدواب ان تصل إلينا ، وتأتينا مما في الأرض من كل نبات في زمانه ، وتسقينا من ماء كل أرض ، نجد ذلك في آنيتنا ، وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلا وهي تنبهنا لها ، وما من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كل ارض عندنا ، وما يحدث فيها، وأخبار الجن والهواء من الملائكة ، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره مقامه إلا أتتنا بخبره ، وكيف سيرته بالذين من قبله ، وما من أرض من ستة ارضين الى الأرض السابعة إلا ونحن نؤتى بخبرها ، فقلت له جعلت فـداك ، الى أين ينتهي هذا الجبل ؟ قال: الى الارض السادسة وفيها جهنم على واد من أوديتها عليه حفظة أكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ما في البحـار والثرى ، وقد وكل كل ملك منهم بشيء وهو مقـيم عليه ، قلت جعلت فداك ، إليكم جميعاً يلقون الاخبار ، قال : لا : انمـا يلقى ذلك الى صاحب الامر ، وانا لنحمل مالا يقدر العباد على حمله ولا على الحكومة فيه،فمن لم يقبل حكومتنا جبرته الملائكة على قولنـــا أو أمرت الذين يحفظون ناصيته ان يقصروه على قولنا، فان كان من الجن من أهل الخلاف والكفر أوثقته وعذبته حتى يصير الى ما حكمنا به ، قلت جعلت فداك ، فهـــل يرى الامام ما بين المشـرق والمغرب ، قال : يا ابن بكر ، فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم ، وكيف يكون حجة على قوم غيب لا يقـدر عليهم ولا يقدرون عليه ، وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم ، وكيف يكون حجة عليهم وهو محجوب عنهم ، وقد حيـــل بينهم وبينه ان يقوم بأمر ربه فيهم ، والله يقول: « **وما أرسلناك إلا كافة للناس** » يعني به من على الارض ، والحجة بعد النبي يقوم مقامه .

ويكفي هذه الرواية شاهداً على أنها من الموضوعات ، اضطراب متنها واسلوبها البعيد عن منطق الامام الصادق ، هذا بالاضافة الى ان رواتها من المتهمين بالغلو ووضع الاحاديث ، فقد رواها عبد الله بن الاصم عن عبد الله ابن بكر الارجاني ، وقد ذكرنا فيما سبق رأي المؤلفين في أحوال الرواة في عبد الله بن الاصم ، وأما عبد الله بن بكر الارجاني فقد جاء عنه انه كان ضعيفاً في روايته مرتفع القول لا يعبأ به [1] .

وجاء في عيون المعجزات ومدينة المعاجز عن جماعة من المحدثين بسندهم الى ابي سمينة محمد بن علي الصيرفي عن ابراهيم بن عمر اليماني عن حماد بن عيسى الجهني المعروف بغريق الجحفة عن عمر بن اذينة عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس انه قال : سمعت أبا ذر جندب بن جنادة يقول : رأيت السيد محمد ﷺ وقد قال لعلي : ذات ليلة اذا كان غداً اقصد الى جبال البقيع وقف على نشز من الارض ، فاذا بزغت الشمس فسلم عليها ، فان الله أمرها أن تجيبك بما فيك ،فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين ومعه ابو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والانصار حتى وافى البقيع ووقف على نشز من الارض ، فلما طلعت الشمس قال : السلام عليك يا خلق الله الجديد المطيع له ، فسمعوا دوياً من السماء وجواب قائل : وعليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم ، فلما سمع ابو بكر والمهاجرون والانصار كلام الشمس صعقوا ثم أفاقوا بعد ساعات وقد انصرف أمير المؤمنين عن المكان ، فوافوا رسول الله ﷺ مع الجماعة ، وقالوا انت تقول : ان

---

(١) انظر ص ٣١١ من اتقان المقال ، وانظر منهج المقال للمرزا محمد ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن الاصم ، والظاهر اتفاق المؤلفين في احوال الرواة على ضعفهما وعدم الاعتداد برواياتهما.

علياً بشر مثلنا وقد خاطبته الشمس بما خاطب الباري نفسه ، فقال النبي ﷺ : وما سمعتوه منها ، فقالوا : سمعناها تقول: يا أول ، قال : صدقت هو أول من آمن بالله وصدق بنبوتي ، قالوا سمعناها تقول : يا آخر قال : صدقت ، هو آخر الناس عهداً بي ، يغسلني ويكفنني ويدخلني قبري ، قالوا وسمعناها تقول: يا ظاهر،قال : صدقت ، ظهر علمي كله له ، قالوا وسمعناها تقول يا باطن ، قال : قد بطن سري كله له ، قالوا وسمعناها تقول : يا من هو بكل شيء عليم ، قال : صدقت ، هو العالم بالحلال والحرام ، والفرائض والسنن وما شاكل ذلك .

وجاء في رواية ثانية ان الشمس تكلمت معه والنبي ﷺ في طريقه الى هوازن ومعه حشد كبير من المسلمين يتراوح بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف مقاتل .

وجاء في رواية ثالثة ان الشمس ردت له التحية وقالت له : يا خير الأوصياء ، لقد اعطيت في الدنيا والآخرة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، فقال لها علي عليه السلام : وما أعطيت ؟ فقالت : لم يؤذن لي أن أخبرك فيفتتن الناس، ولكن هنيئاً لك العلم والحكمة في الدنيا والآخرة ، فأنت ممن قال الله فيهم: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وأنت ممن قال الله تعالى فيهم . « افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » ، فأنت المؤمن الذي خصك الله بالايمان .

وهذه الروايات من موضوعات الغلاة ، الذين قالوا إن صوت الرعد هو صوت علي في السماء ، وهي إما من الاخبار التي دسها أصحاب المغيرة بن سعيد في كتب اصحاب الباقر ، أو مما دسه أصحاب ابي الخطاب في كتب اصحاب الصادق عليه السلام وجعلوا لها اسانيد من اصحاب الأئمة ، كما جاء عن

يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام على حـد تعبير التستري في كتابه الاخبار الدخيلة [1] .

ولو لم يكن في سندها الا محمد بن علي الصيرفي ابو سمينة لكفاها عيباً ، وقد جـاء عنه انه كان فاسد الاعتقاد ، معروفاً بين أهل الكوفة بالـكذب والغلو ، لا يلتفت إليه ولا يكتب حديثه على حـد تعبير المرزا محمـد والغضايري وغيرهما من المؤلفين في احوال الرواة ، هذا بالاضافة الى انها قـد اشتملت على بعض الاوصاف التي لا يصـح ان يوصف بهـا غير الله سبحانه ، وقد قال الامام الصادق لمن كان يصفهم بمثل هذه الصفات ، وينسب لهم العلم بما كان وسيكون والقدرة على جميع الكائنات ، قال : لعن الله من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا .

ولو افترضنا صحة هذا الامر ووقوع هذا النوع من الحوادث بمحضر هذا الحشد من المهاجرين والانصار كما يزعم الراوي، فلماذا لم يحتج به الامام عليه السلام يوم اقصي عن حقـه في الخلافة ، ويوم الشورى وقـد احتج عليهم بسوابقه وعلمه وتضحياته والتنصيص عليه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع ان حادثة من هـذا النوع وبحضور هذا الجمع الغفير كما يزعم الراوي تكفي وحدها لدحض مزاعمهم واباطيلهم مهما كان نوعها .

على ان حديث رد الشمس ومكالمتها للبشر ليس من مختصات الشيعة ، بل هـو موجود بين مرويات السنة للخلفاء ولجماعة من العلماء والاوليـاء بشكل أوسع وافظع كما سنشير الى ذلك في أواخر هذ الفصل .

وجاء في عيون المعجزات وغيرها من كتب الفضائل عن العباس بن الفضل عن موسى بن عطية الانصاري عن حسان بن الازرق عن ابي الاخوص وعمار

---

(١) انظر ص ٢٤٠ من الكتاب المذكور .

الساباطي ان أمير المؤمنين لما دخل المدائن بايوان كسرى وكان معه دلف بن منجم كسرى ، فلما جاء الزوال قال لدلف قم معي ، وكان معه جماعة من أهل ساباط ، فما زال يطوف في مكان كسرى ويقول لدلف : كان لكسرى هذا المكان لكذا وهذا لكذا ودلف يقول له : هو والله كذلك ، حتى طافا بالمكان كله ودلف يقول له : قد وضعت الأشياء كلها في مكانها لم يغب عنك شيء ، ثم نظر الى جمجمة نخرة باليـة ، فقال لبعض أصحابه : خذ هذه الجمجمة وكانت مطروحة على وجه الارض ، فأخذها وجاء بها الى الايوان ودعا بطشت فيه ماء ووضع الجمجمة فيه ، ثم قال لها : أقسمت عليك الا ما اخبرتني من أنا ومن انت ، فنطقت الجمجمة بلسان فصيح وقالت : أما أنت فأمير المؤمنين وسيد الوصيين ، وأما أنا فعبد الله وابن امة الله كسرى انو شروان، فانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط الى أهاليهم وأخبروهم بما كان وما سمعوه من الجمجمة ، فاضطربوا واختلفوا في معنى أمير المؤمنين وجاؤوا اليه وقالوا : قد افسد هؤلاء قلوبنا بما أخبروه عنك ، وقال بعضهم فيك ما قالت النصارى في المسيح وما قاله عبد الله بن سبأ ، فان تركتهم على هذا كفر الناس ، فلما سمع ذلك قال : ما تحبون ان اصنع بهم ، قالوا : تحرقهم كما احرقت عبد الله بن سبأ وأصحابه ، فدعاهم لأن يرجعوا عن مقالتهم فيه فأبوا وقالوا : لا يخاطب الجمجمة إلا الله ، فأمر بالنار وأحرقهم فيها ، ولما احرقوا أمر بسحقهم وذرى رمادهم بالهواء ، ولما كان اليوم الثالث من احراقهم رجعوا الى منازلهم بأحسن ما كانوا عليه ، فجاء أهل ساباط وقالوا : يا أمير المؤمنين ، الله الله في دين محمد، ان الذين أحرقتهم قد رجعوا الى منازلهم بأحسن ما كانوا عليه ، فقال : لقد أحرقتهم وذريتموهم في الهواء ، ولكن الله سبحانه أحياهم ، فانصرفوا وهم يقولون فيه بمقالة ابن سبأ .

والرواة لهـذه الرواية بين من ورد له ذكر في كتب الرجال كأبي الاحوص وموسى بن عطية من غير ان يتعرضوا لهما بقدح أو مدح ، وبين من لم يرد له ذكر فيها كالعباس بن الفضل وحسان بن احمد الازرق ، والراوي الأخير لها عن الامام وهـو عمار الساباطي كان من المعاصرين للامامين موسى بن جعفر والرضا (ع) وهو فاطمي المذهب، وقد رواها عن امير المؤمنين بلا واسطة وبينه وبينه أكثر من تسعين عاماً .

ومهما كانت حالة الرواة لها فلا شك بأنها من صنع الغلاة ، أو أعداء أهل البيت ، ومن النوع الذي أشـار اليه الامام الرضا كما جاء في رواية ابي محمـود التي نقلناها في الفصول السابقة ، وأنا على يقين بأن أكثر الذين دونوها بـين المرويات في الفضـائل والكرامات لا يترددون في كذبها على ان الكرامات انما يجريها الله سبحانه على يد الانبياء والاوصياء اذا كانت تؤكد دعوتهم وترفع الشك والريب من قلوب المرتابين والمشككين ، أما إذا لم تضع حقاً ولم ترفع باطلاً بـل توجب الكفر والضلال كما جرى لاهـل ساباط الذين اعتنقوا فكرة السبائية ونسبوا اليه الربوبية حين كلمته جمجمة كسرى واحرق المرتابين ونسفهم في الهـواء نسفاً ، ثم احياهم ورجعوا الى بيوتهم بأحسن مما كانوا على حـد زعم الراوي فلا تصح على الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من ظلمات الشرك والجحود الى نور الايمان بإله واحد لا شريك له ولا نظير ، ومن ظلمات الجهل الى نور المعرفة والعلم، ومن عبادة الاشخاص والاصنام والشهوات الى عبادة الخالق المنعم الرؤوف الرحيم .

وروي في مدينة المعاجز عن ابي رواحة عن المغربي ان أمير المؤمنين لما انتهى من حرب النهروان أبصـر جمجمة نخرة بالية فقال : هاتوها فحركهـا بسوطه ، ثم قـال لها : اخبريني من انت ، فقـير ام غني ، شقي أم سعيد ، ملك أم رعية ، فقالت بلسـان فصيح : يا أمـير المؤمنين أنا ابرويز بن هرمز ملك الملوك ، ملكت مشارقها ومغاربها ، وسهلها وجبلها ، وبرها وبحرها ،

أنا الذي أخـذت ألف مدينة في الدنيا ، وقتلت ألف ملك من ملوكها ، أنا الذي بنيت خمسـين مدينة ، وفضضت خمسماية جارية بـكر واشتريت ألف عبد تركي وأرمني وزنجي ، وتزوجت بسبعين ألفاً من بنات المـلوك ، وما من ملك في الأرض إلا غلبته وظلمت أهله ، فلما جاءني ملك الموت قال : يا ظالم يا طاغي يا باغي خالفت الحـــق ، فتزلزلت أعضائي وارتعدت فرائصي ، وعرض علي أهل حبسي ، فاذا هم سبعون ألفاً من أولاد الملوك ، فلـما رفع ملك الموت روحي سكن أهـــل الارض من ظلمي فأنا معذب في النار أبد الآبدين ،ووكل الله بي سبعين ألف ألف من الزبانية ،في يد كل واحد مرزبة من نار ، لو ضربت على جبال اهـــل الأرض لتدكدكت ، فكلما ضربني الملك بواحـدة من تلك المرازيب تشتعل فيّ النار فيجبني الله تعالى ويعذبني بظلمي لعباده ، ووكل الله تعالى بعدد كل شعرة في بدني حية تلسعني ،وكل ذلك احس به كالحي في دنياه ، فتقول لي الحيات والعقارب : هذا جزاء ظلمك للعباد ، ثم سكنت الجمجمة فبكى جميع عسكر أمير المؤمنين وضربوا على رؤوسهم وقالوا : يا أمير المؤمنين، جهلنا حقك بعد ما علمنا رسول الله وأنت لم ينقص منك شيء ، فاجعلنا في حـل فيما فرطنا فيك ورضينا بغـــيرك على شرفك ومقامك ، فأمر بتغطية الجمجمة في التراب ، فعند ذلك وقف مـاء النهر عن الجري وصعد على وجه الماء كل سمك وحيوان كان في النهر وتـكلم كل واحد مع أمير المؤمنين ودعا له وشهد بامامته .

وهـذه الرواية إفظع من سابقتها وأسـوأ حالا منهـا وفي متنهـــا ألف شـاهد وشاهد على انها من نوع الـكذب الخالص الذي لا يجوز تدوينه ولا السكوت عنه .

ولعن الله المغيرة بن سعيد وأبا سمينة وأبا خـــديجة وغيرهم من الكذبة

والزنادقة ، ولعن الله أعداء الأئمة الذين لم يتركوا وسيلة من وسائل التشويش والتشنيع عليهم إلا وخاضوا فيها، وغفر الله للشيخ رجب البريسي الذي دون هذه الخرافة وغيرها من الخرافات والاساطير في كتابه مشارق انوار اليقين وعدها من أسرار أمير المؤمنين ، وبلا شك فان امير المؤمنين بريء منها ومن المغالين فيه ومن كل من ينشرون هذه الخرافات ويتاجرون بها، ولنا وقفة مع البريسي وكتابه في موضع آخر من هذا الكتاب .

وجاء في مدينة المعاجز وعيون المعجزات عن محمد بن هرون بن موسى عن أبيه هرون بن موسى عن محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد عن محمد بن علي وادريس بن عبد الرحمن عن داود الرقي انه قال: اتيت المدينة فدخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام فلما استويت في المجلس بكيت ، فقال ابو عبد الله عليه السلام : مايبكيك يا داود ، فقلت : يا ابن رسول الله ، ان قوماً يقولون لنا: لم يخصكم الله بشيء سوى ما خص به غيركم ، ولم يفضلكم بشيء سوى ما فضل به غيركم ، فقال : كذبوا، ثم قام فرفس الارض برجله وقال: كوني بقدرة الله ، فاذا هي سفينة حمراء وسطها درة بيضاء ، وعلى أعلى السفينة راية خضراء عليها مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يقتل القائم أعداء الله وينصره بالملائكة ، واذا وسط السفينة أربع كراسي من أنواع الجواهر ، فجلس ابو عبد الله على واحدة واجلس موسى على واحدة واسماعيل على واحدة واجلسني على واحدة ، ثم قال لها: سيري على بركة الله فسارت في بحر عجاج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فسرنا بين جبال الدر والياقوت حتى انتهينا الى جزيرة وسطها قباب من الدر الابيض محفوفة بالملائكة ينادون مرحباً يا ابن رسول الله ، فقال : هذه قباب الأئمة من ولد محمد صلى الله عليه وآله كلما افتقد واحد اتى هذه القباب حتى يأتي الوقت الذي ذكره

الله في كتابه : ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين ، ثم ضرب يده الى اسفل البحر فاستخرج منه دراً وياقوتاً وقال : يا داود ، ان كنت تريد الدنيا فخذها ، فقلت: لا حاجة لي في الدنيا يا ابن رسول الله ، فألقاها في البحر ، ثم نهض وقال : قوموا حتى تسلموا على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى ابي محمد الحسن والحسين وعلي بن الحسين وابي جعفر الباقر ، فقمنا حتى انتهينا الى قبة وسط القباب ، فرفع الستر ، فاذا أمير المؤمنين جالس فسلمنا عليه وخرجنا ، ثم أتينا قبة الحسن وبقية الأئمة فسلمنا عليهم جميعاً، ثم قال: انظروا الى يمين الجزيرة ، فاذا قباب لا ستور عليها ، فقال : هذه لي ولمن يأتي من بعدي ، وفي وسط الجزيرة قبة للقائم من آل محمد ، ثم قال:ارجعوا فرجعنا الى مجلسنا كما كنا في الدار ، وعادت الدار الى ما كانت عليه .

وهذه الاسطورة التي صورها الرواة وكان داود الرقي من أحد رواتها على حد زعمهم بهذا اللون الغريب ليست مما يستعصي على الامام بقدرة الله سبحانه ومشيئته ، ولكن السؤال الذي قد يطرحه حتى المؤمن بقدرة الامام على هذه الأحداث الجسام ، هو ان الامام هل يطلب من الله سبحانه ان يوفر له القدرة على هذه الامور العظام لمجرد كلمة سمعها من بعض المتشيعين له حتى ولو لم يترتب عليها ارشاد الحائرين وهداية الضالين .

ان سير الاحداث يؤكد لنا انهم لم يلجأوا الى الاعجاز حتى في أدق المراحل وأشدها خطراً على أنفسهم وعلى الاسلام، وفي الحالات العصيبة كانوا يظهرون لاصحابهم بمظهر سائر الناس العاجزين عن مجابهة الاخطار ، وقد سمعوا وشاهدوا من أعدائهم شتى أنواع العسف والجور والتهم ، وقابلوا كل ذلك بالصبر الجميل والتسليم لقضاء الله وقدره ، مع أنهم لو سألوا الله سبحانه لوفر لهم ما يحبون ويرغبون .

هذا بالاضافة إلى أن داود الرقي الذي رافق الامام في هذه الرحلة كان

منها في دينه ومروياته ، فقد نص النجاشي في ترجمته على أن الغـلاة يدعون بأنه من اركانهم ويروون عنه الغرائب والمناكير .

وقال ابن الغضائري : انه كان فاسد المذهب ، ضعيف الرواية لا يلتفت اليه ، وقد حاول جماعة تزكيته مما نسب اليه ، ولكنهم لم ينتهوا الى نتيجة حاسمة بشأنه تجعله فوق الشبهات ، كما وأن محمد بن هارون أحـد الرواة لهذه الاسطورة من المتهمين في وضع الأحاديث [1] .

وروي عن الحسن بن شعيب ومحمـد بن سنان عن يونس بن ظبيان أنه قال : استأذنت على ابي عبد الله الصادق عليه‌السلام فخرج اليّ معتب فأذن لي فدخلت ولم يدخل غيري ، فلـما صرت في الدار نظرت الى صورة ابي عبد الله الصادق عليه‌السلام ، فسلمت عليه وكان بين يديه رجلان كأن على رؤوسهما الطير ، فقال لي : ادخل ، فدخلت الثانية ، فاذا رجـل على صورته عليه‌السلام وإذا بين يديه جمـع كثير كلهم صورهم واحدة ، فقـال : من تريد ، قلت : أريد أبا عبد الله ، فقال : قـد وردت على أمر عظيم إما كفر أو ايمان ، ثم خرج من البيت رجل حيث بدا به الشيب فأخذ بيدي وأوقفني على البـاب وغشى بصري من النور ، فقلت : السلام عليك يا بيت الله ونوره وحجابه ، فقال : وعليك السـلام يا يونس ، فدخلت البيت ، فاذا بين يديه طائران يحكيان فكنت أفهـم كلام ابي عبد الله ولا أفهم كلامهما ، فلما خرجا قـال يا يونس : سل ، نحن النور في الظلمات ، ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمنا ، نحن عزة الله وكبرياؤه ، قلت : جعلت فداك ، رأيت شيئـاً عجيباً ، رأيت بطا على صورتك ، قـال : يا يونس ، إنا لا نوصف ، ذاك صاحب السماء الثـالثة سألني ان استأذن الله له ان يصـير مع أخ له في السماء

---

(١) انظر منهج المقال للمرزا محمد وغيره من المؤلفين في احوال الرواة .

الرابعة ، فقلت : هؤلاء الذين في الدار ؟ قال : هؤلاء أصحاب القائم من الملائكة ، فقلت له : فهذان ! قال : جبرائيل وميكائيل نزلا الى الأرض فلم يصعدا حتى يكون هذا الامر ان شاء الله وهم خمسة آلاف ، يا يونس ، بنا اضاءت الابصار وسمعت الآذان .

ويكفي هذه الرواية عيباً أن بطلها يونس بن ظبيان الذي قال فيه الامام الصادق : لعن الله يونس بن ظبيان ألف لعنة تتبعها ألف لعنة ، كل لعنة تبلغه قعر جهنم ، والذي قال فيه : اما ان يونس مع ابي الخطاب في أشد العذاب مقرونان وأصحابهما مع فرعون وآل فرعون في أشد العذاب ، وبقية الرواة لها عن يونس بين متهم في وضع الاحاديث والانحراف عن التشيع كمحمد بن سنان وبين مجهول لم يرد له ذكر في كتب الرجال [1] .

وجاء في مدينة المعاجز وعيون المعجزات عن يونس بن ظبيان عن المفضل ابن عمر انه قال : دخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام وهو جالس على بساط أحمر في وسط داره وأنا أقول : اللهم اني لا أشك في أن حجتك على خلقك وامامنا جعفر بن محمد عليه السلام فوفق لي منه ان يزيد في بياناً ويقيناً ، فرفع رأسه إلي وقال : قد أوتيت سؤلك يا موسى ، يا مفضل ، ناولني تلك النواة ، وأشار بيده الى نواة في جانب الدار ، فأخذتها وناولته إياها ، فنصبها على الارض ووضع سبابته عليها وغمزها وغيبها في الارض ودعا بدعوات سمعت منها ، اللهم فالق الحب والنوى ولم أسمع الباقي ، فاذا تلك النواة قد نبتت نخلة وأخذت تعلو حتى صارت بازاء علو الدار ، ثم حملت حملا حسناً وتهدلت وبسرت ورطبت رطبا وأنا أنظر إليها ، فقال لي :

---

(١) انظر ص ٣٠٩ و ٣١٠ من الكشي .

اهززها يا مفضل،فهززتها فنثرت علينا رطباً في الدار جنيا أصفى من الجوهر وأعطر من رائحة المسك والعنبر ، فقال لي : التقط وكلْ، فالتقطت وأكلت وأطعمت ، ثم قال لي : اجمع كل ما يسقط من هذا الرطب واهده الى مخلصي شيعتنا الذين أوجب الله لهم الجنة ، فلا يحل هذا الرطب إلا لهم ، واهْدِ الى كل نفس منهم واحدة ، قال المفضل : فضممت ذلك الرطب وظننت اني لا اطيق حمله الى منزلي فخف عليّ حتى حملته وفرقته فيمن امرني به منهم في الكوفة فخرج باعدادهم لا يزيد رطبة واحدة فرجعت اليه ، فقال لي : اعلم يا مفضل ان هذه النخلة تطاولت وانبسطت في الدنيا فلم يبق مؤمن ولا مؤمنة من شيعتنا بالكوفة وغيرها إلا وظهرت له بمقدار مضيك الى منزلك ورجوعك الينا ، فهذا من فضل الله اعظم مما اعطي داود وان كنا قد اعطيناه واعطينا ما لم يعطوا كرامة من الله لحبيبه محمد ﷺ وان كنت من شيعتنا ستَرِد الينا واليك من طول الدنيا وعرضها رسائل بأن النخلة وصلت إليهم وطرحت الى كل واحدة رطبة منها ، قال المفضل : فلم تزل الكتب ترد الينا من سائر الشيعة في سائر الدنيا بذلك ، فعرفت والله عددهم من كتبهم .

ومقتضى هذه الرواية ان الكتب التي ارسلت الى المفضل بلغت حدود الملايين ، لأن كل شيعي في أنحاء الدنيا الواسعة قد ظهرت لديه تلك النخلة وألقت له رطبة من ثمارها وكتب بذلك الى المفضل على حد زعمه ، والشيعة في عصر الامام الصادق كانوا أكثر من أي زمان مضى .

واذا جاز لنا ان نقول بأن الامام عليه السلام قد يصنع المعجزات التي من هذا النوع بقدرة الله سبحانه، فمن غير المعقول ان يصنعها بحضور المفضل ويونس ابن ظبيان وامثالهما من الغلاة وضعاف الايمان والكذب على اهل البيت الذين لعنهم هو والأئمة من بعده ووصفهم بالكفر والشرك ، وهل يصح على الامام

الصادق عليه السلام ان يلعن المفضل عشرات المرات ويقول له : يا كافر يا مشرك ثم يأخذ نواة ويغرسها في داره فتنمو لساعتها وتبلغ الغاية فتثمر وتتساقط رطباً أصفى من البلور بلحظة واحدة ، ويكلفه بتوزيع ثمارها على الشيعة في مختلف انحاء العالم في لحظات معدودات فيأكلون ويكتبون الى المفضل تلك اللحظات القصار ملايين الكتب ، ثم يلعنه بعد ذلك في النوادي والمجتمعات لا لشيء إلا لأنه وضعه فوق مستوى المخلوقات ، وهل يعدو ذلك ان يكون إلا لمن ألقى انساناً مكتوفاً في اليم ، وقال له اياك ان تبتل بالماء .

ومجمل القول ان هذه الرواية كسابقتها من موضوعات الغلاة واعداء الأئمة وقد دونها حشوية الشيعة ومن يرى رأي الغلاة كالبرسي والبحراني وغيرهما، كما دونوا غيرها بدون محاكمة لمتونها ولا تمحيص لاسانيدها فضلت بها وبأمثالها فئات ، وتاهت بمعناها عقول وافهام . نسأله سبحانه ببركة الأئمة الهداة ان يلهمنا السداد في القول ، والتوفيق في العمل ، انه قريب مجيب .

ومن امثلة الغرائب التي رواها في مدينة المعاجز ان رجلاً من اكابر بلخ كان يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحمل معه الهدايا الثمينة الى الامام زين العابدين فاستمر على ذلك اعواماً حتى انكرت عليه زوجته صنيعه لان الامام لم يكافئه على هداياه فحج في تلك السنة واكل من طعام الامام ، ثم صب الماء على يد الامام في طشت كبير فامتلأ الطشت بأنواع الجوهرات الثمينة ، فأمره الامام ان يحمله معه الى زوجته ، فحمله اليها فطلبت منه ان ترافقه في تلك السنة لزيارة الامام زين العابدين ، فمرضت في الطريق وماتت في القرب من مدينة الرسول، فجاء الرجل الى الامام باكياً حزيناً وأخبره بما جرى لزوجته فأمره الامام ان يرجع الى المكان الذي توفيت فيه وقال له انك تجدها حية تنتظر قدومك ، فان الله قد احياها بقدرته وحكمته ، فخرج الرجل مسرعاً وهو بين مصدق ومكذب ، فلما دخل الخيمة وجد زوجته سالمة ، فقال لها:

كيف أحياك الله ، فقالت : لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهمّ ان يصعد بها ، واذا برجل صفته كذا وكذا وجعلت تعدد أوصاف الامام وهو يقول صدقت انه الامام زين العابدين ، فلما رآه ملك الموت مقبلاً انكب على قدميه يقبلهما ويقول : السلام علك يا حجة الله في ارضه ، السـلام عليك يازين العابدين ، فقال له : يا ملك الموت، اعد روح هذه المرأة الى جسدها فانها قاصدة الينا وقد سألت ربي أن يبقيها ثلاثين سنة اخرى، ويحييها حياة طيبة ، فقال له الملك : سمعاً وطاعة، ثم اعاد روحي الى جسدي وانا انظر الى ملك الموت قد قبل يده الشريفة وخرج عني ، فأخذ الرجل بيـد زوجته واتى بهـا الى مجلس الامام وهو مع اصحابه ، فانكبت على ركبتيه تقبلها ولم تزل مع بعلها في جوار الامام الى ان ماتا .

وهذه الرواية كغيرها من مرويات الغلاة والقصاصين البعيدة عن واقـع الأئمة (ع) الذي تؤكده مواقفهم الكثيرة التي كانوا يتجنبون فيها عن كل ما من شأنه ادخال الشبه على ضعفاء شيعتهم .

والسلام على الامام زين العابدين القائل لجماعة من المتشيعين:ما برح حبكم لنا حتى أصبح علينا عاراً ، لقد بغضتمونا الى الناس بما قلتموه فينا .

هذا بالاضافة الى ان الراوي لهذه الاسطورة بينه وبين الامام مئات السنين وقد ارسلها من غير ان يذكر احداً من رواتها،فهي من أسوأ أنواع المراسيل التي لم يتأكد مضمونها بشاهد من كتاب او سنة .

ومن الموضوعات ما رواه في مدينة المعاجز والخرائج عن دعبل الخزاعي عن الرضا عليه السلام عن ابيه وجده انه قال : كنت عند الامام الباقر اذ دخل عليه جماعة من الشيعة فيهم جابر بن يزيد فقالوا : هل رضي ابوك علي عليه السلام بخلافة الأول والثاني ، فقال : اللهم لا ، فقالوا : لِمَ نكح من سبيهم خولة

الحنفية اذا لم يرض بامامتهم ، فقـال عليه السلام : امض يا جابر الى منزل جابر ابن عبد الله الانصاري وقل له : ان محمد بن علي يدعوك ، قال جابر بن يزيد فأتيت منزله وطرقت عليه الباب. فناداني جابر من داخل الدار اصبر يا جابر بن يزيد ، فقلت في نفسي من أين علم جابر الانصاري اني جابر بن يزيد ولا يعرف الدلائل إلا الأئمة من آل محمد ، والله لأسألنه إذا خرج إلي ، فلمـا خرج قلت له : من أين علمت اني جابر بن يزيد وانت داخـل الدار ، قال : خبرني مولاي الباقر البارحة انك تسأله عن الحنفية في هذا اليوم وانه سيبعثك إلي تدعوني اليه ، فقلت صدقت ، فسرنا جميعاً حتى أتينا المسجد فلما بصر مولانا الباقر بنا ونظر إلينـــا ، قـال للجماعة قوموا إلى الشيخ فاسألوه حتى ينبئكم بما سمع ورأى ، فقالوا : يا جابر ، هـل رضي إمامك علي بخلافة من تقدمه ؟ فقال : اللهم لا ، فقالوا لِمَ نكح من سبيهم إذا لم يرض بامامتهم ، فقال جـابر : اه اه لقد ظننت اني أموت ولا أسأل عن هذا ، اما إذ سألتموني فاسمعوا وعوا ، حضرت السبي وقد أدخلت الحنفية فيمن أدخل ، فلما نظرت إلى جمع الناس عدلت إلى تربة النبي صلى الله عليه وآله فرنت رنة وزفرت زفرة وأعلنت بالبكاء والنحيب،ثم نادت: السلام عليك يارسول الله وعلى أهل بيتك من بعدك ، هؤلاء امتك سبونا سبي النوب والديلم، والله ما كان لنا إليهم من ذنب إلا الميل إلى أهل بيتك فجعلت الحسنة سيئـة ، والسيئة حسنة فسبينا،ثم انعطفت إلى الناس وقالت لِمَ سبيتمونا وقد أقررنا بشهادة أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله ، قالوا : منعتمونا الزكاة ، قالت : : هب الرجال منعوكم فمـــا بال النساء ، فسكت المتكلم كأنما ألقم حجراً ، ثم ذهب إليها طلحة وخالد بن عفان يرميان إليها ثوباً ، فقالت : لست بعريانة فتكسوني ، قيل لها : انهما يرغبان أن يتزايدا عليك فأيهما زاد على صاحبه اخذك من السابين ، فقالت : هيهات والله لا يكون ذلك ابداً ،

لا يملكني ولا يكون لي بعلاً إلا من يخبرني بالكلام الذي قلته ساعة خرجت من بطن أمي ، فسكت الناس ينظر بعضهم إلى بعض وورد عليهم من ذلك الكلام ما ابهر عقولهم وأخرس ألسنتهم وبقي القوم في دهشة من أمرها ، فقال أبو بكر : مالكم ينظر بعضكم إلى بعض ، قال الزبير : لقولها الذي سمعت ، قال ابو بكر : ما هذا الأمر الذي احصر أفهامكم ، انها جارية من سادات قومها ولم تعتد على ما رأت ولقيت وقد دخلها الفزع ، فقالت ما لا تحصيل له ، فقالت له : لقد رميت بكلامك غير مرمى ، والله ما داخلني جزع أو فزع وما قلت إلا حقاً ولا نطقت إلا فصلاً ولا بد وأن يكون كذلك ، وحق صاحب هذه البنية ، ثم سكتت وأخذ خالد وطلحة بثوبيها وجلست هي ناحية من القوم ، فدخل علي عليه السلام فذكروا له جمالها وقصتها فقال : هي صادقة فيما قالت ، وكانت حالتها وقصتها كيت وكيت ، وكل ذلك مكتوب في لوح معها ، فرمت باللوح لهم لما سمعت كلامه فقرأوه ، فاذا هو كما قال علي عليه السلام لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ، فقال ابو بكر : خذها يا أبا الحسن ، بارك الله لك فيها ، فأخذها وسلمها الى أسماء بنت عمير إلى أن قدم أخوها وتزوجها بالعقد لا بالملك .

ورواها في المناقب في باب اخباره بالمنايا وزاد فيها أن علياً عليه السلام قال لها : يا خولة ، اسمعي الكلام وعي الخطاب ، لما كانت أمك حاملة بك وضربها الطلق واشتد بها الأمر نادت : اللهم سلمني من هذا المولود سالماً ، فسبقت الدعوة لك بالنجاة ، فلما وضعتك ناديت من تحتها لا إله إلا الله محمد رسول الله سيملكني سيد يكون لي منه ولد ، فكتبت ذلك الكلام في لوح من نحاس ودفنته في الموضع الذي سقطت فيه ، فلما كانت الليلة التي قبضت فيها أمك أوصت إليك بذلك ، ولما كان وقت سبيك لم يكن لك همة إلا

أخـذ ذلك اللوح فأخذتيه وشددتيه على عضدك ، هـاتي اللوح فأنا صاحبه وأنا أمير المؤمنين وأب ذلك الغلام الميمون واسمه محـمد ، فدفعت اللوح الى أمير المؤمنين وقرأه عثمان لابي بكر فما زاد حرفا واحداً،وقال الناس صدق الله ورسوله إذ قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقد رويت قصة الحنفية في البحار بشكل أوسع وأغرب مما ورد في هاتين الروايتين، وجاء فيها انها قد أخبرت امها وهي حمل في بطنها بما يجري عليها وبما سيكون من امرها وأمر ولدها محمد .

ان الكرامات التي نسبها القصاصون الى خولة الحنفية هي اعظم مما وقع لعيسى بن مريم عليه السلام فلقد تكلم في المهد تزكية لأمه السيدة مريم التي حامت حولها الشبه بعد حملها بقدرة الله فأنطقه الله بعد ولادته وبرأها مما الصق بها زوراً وبهتاناً ، ولكن خولة نطقت حين حملها وحـين ولادتها وأقرت بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامامة علي عليه السلام واخبرت برؤيا امها وبما يجري عليها وسجلت امها كل ذلك في لوح وعرضته عليها بعـد سنتين من ولادتها ووضعته في عقيصتها لتكون لها الحجة بذلك يوم سبيها كما جاء في رواية المجلسي .

الى غير ذلك من الغرائب التي لم تصدر من الانبياء فضلاً عن سائر الناس على ان هـذا الاختلاف الواقع بين الروايات الثلاث يكفي لضعفها وعـدم الاعتداد بها حتى ولو كانت من حيث سندها مستوفية لسائر الشروط المعتبرة في الراوي،في حين انها من المراسيل التي لم تتوفر حتى بالذين ارسلوها لشروط العمل بالرواية .

هذا بالاضافة الى أن المؤرخين لم يتفقوا على رأي واحد فيما يعود لهـذه الحادثة فلقد ذهب المدائني الى انها من سبي علي عليه السلام حينما بعثه النبي لقمع حركة الردة التي قام بها عمر بن معدي كرب ، وكانت خولة لبني زبيد الذين جنحوا الى الارتداد ، وقبل ذلك قد غزوا بني حنيفة وسبوا منهم خـولة

الحنفية ، فلما رجع علي من غزوته ومعه السبي كانت من سهامه وبقيت عنده الى ان توفيت فاطمة (ع) فاولدها محمداً المعروف بابن الحنفية .

ونص البلاذري في فتوح البلدان انها من سبي بني اسد في خلافة ابي بكر في قصة ذكرها بما حاصله ان بني اسد أغارت على بني حنيفة فسبت منها خولة واشتراها منهم علي عليه السلام ولما عرف أهلها بمكانها وفدوا على علي عليه السلام وأخبروه بحالها فأعتقها وتزوجها، الى غير ذلك مما جاء حول الحنفية وقصتها .

وبلا شك فان رواية البلاذري لا يمكن الأخذ بها بشكلها الحالي ، لأن هذا النوع من الغزو والسبي لا يسوغ ملكية السبي ولا تقره الشرائع .

ومن غير الجائز ان يقدم علي عليه السلام على شرائها وتملكها بهذا النحو ، إلا أن يكون اقدامه على ذلك لاجل انقاذها من هؤلاء الغزاة، ولا بد ان يكون زواجه منها بعد انقاذها وارجاعها الى أهلها بالعقد لا بالملك .

وعلى أي الاحوال فان المرويات التي من هـــذا النوع المنتشرة في كتب الحديث هنا وهناك لا تثبت في مقابل النقد ولا تنسجم مع مبدأ أهل البيت ومنطقهم السليم الذي وصفه الامام الرضا بقوله : فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نور ، فما لا حقيقة له ولا نور عليه فذلك قول الشيطان .

وجاء في الكتاب المعروف بقضاء علي بن ابي طالب تأليف الشيخ محمد تقي التستري ان تسعة اخوة او عشرة ـ على حـد تعبير الراوي ـ كانوا في حي من أحياء العرب ، وكانت لهم اخت واحدة ، فقالوا لها ، كل ما يرزقنا الله نطرحه بين يديك على شرط ان لا تتزوجي ، فوافقتهم على ذلك وقعدت في خدمتهم ، فحاضت يوماً ، فلما ظهرت وأرادت أن تغتسل ذهبت الى عين كانت في القرب من حيهم ، فلما دخلت الماء دخلت فيها علقة صغيرة وهي لا تعلم ، ومضت أيام على ذلك والعلقة تكبر حتى علت بطنها وظهر عليها الحمل

فظن اخوتها أنها حملت سفاحاً ، فأرادوا قتلها ، فرجح بعضهم أن يرفعوا أمرها الى علي عليه السلام ، فوفدوا عليه وقصوا له أمرها ، فاستحضر طشتاً مملوءاً بالحماء وأمرها أن تقعد فيه ، فلما أحست العلقة برائحة الحماء نزلت من جوفها ، فقالوا يا علي : أنت ربنا العلي ، تعلم الغيب ، فزبرهم وقال : ان رسول الله أخبرني بذلك عن الله ان هذه الحادثة تقع في هذا اليوم من هذا الشهر وفي هذه الساعة .

والرواية من المراسيل كاكثر مرويات هذا الكتاب الذي لفقه التستري وغيره ، ونسبوه الى أمير المؤمنين عليه السلام بدون تحقيق في مصادر مروياته ، ولا وعي لمتونها التي لا تثبت في وجه النقد والمحاكمة ، وهذه الرواية من أكبر الشواهد على ذلك .

لقد ادعى الذين وضعوا هذه الاسطورة ان العلقة وهي حيوان صغير للغاية يتولد في الماء ، وأكثر ما يوجد في الماء الراكد قد دخلت في فرج تلك الفتاة التي لا تزال عذراء ، ومن الجائز أن يكون الأمر كذلك ، وقد يطول بها الأمد فتمتص من دماء المحل الذي تكون فيه ، ولكن مهما بلغ بها الحال لا يمكن أن يتجاوز حجمها حجم الجرادة الصغيرة ، وعندما تبلغ هذا الحجم ترافق وجودها آلام قاسية وعوارض لا يمكن لأي إنسان أن يتحملها لأنها تنهش باللحم وتمتص الدماء ، ومن المعلوم ان هذا الحجم لا يوجب ارتفاع البطن كما جاء في الرواية ولا تلازمه عوارض الحمل ، وعلى تقدير ان تلك العلقة قد بلغت حجم الجنين كما يظهر من الرواية ، فكيف خرجت بتلك السهولة وهي لا تزال عذراء كما يبدو من الرواية .

وبلا شك ان الذين وضعوا هذا النوع من المرويات قد تعمدوا فيها تلك الفجوات من الاضطراب والتهافت لينفذوا من خلالها الى التشكيك بالأئمة الهداة كما ذكرنا في الفصول السابقة .

وقد دون التستري في نفس الكتاب حادثة أخرى من هذا النوع من غير أن يذكر لها سنداً يربطها بالامام عليه السلام جاء فيها ان جماعة تتكون من ألف فارس جاؤوا بجارية الى علي عليه السلام فقال له أبوها : لقد خطبها ملوك العرب ونكست رأسي لأنها عاتق حامل ، فقال علي عليه السلام لداية الكوفة انظريها هل هي حامل أم لا ، فلاحظتها وقالت له : هي حامل يا أبا الحسن ، فقال عليه السلام : من يقدر على قطعة ثلج في هذه الساعة ، فقال أبوها : ان الثلج في بلدنا كثير ولكنه يبعد مائتين وخمسين فرسخاً ، فمد عليه السلام يده وكان على منبر الكوفة ، وردها وفيها قطعة ثلج ، فأمر بطشت وضعه تحت الجارية ووضع قطعة الثلج مما يلي فرجها ، فرمت الجارية علقة وزنها سبعماية وخمسون درهما ودانقان ، وكان الامام قد أخبرهم حينما قدموا عليه بما جرى للجارية وهي في العاشرة من عمرها وكيف دخلت العلقة في فرجها ، كما أخبرهم بوزنها ، فنهض أبوها وهو يقول : أشهد أنك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر .

وهذه الرواية كسابقتها من المراسيل التي لا يجوز الاعتماد عليها حسب الاصول المقررة في علمي الرجال والدراية ، هذا بالاضافة الى انها قد اشتملت على أمور لا يمكن الالتزام بها لأن وجود علقة بهذا الحجم في جوف انسان يكفي وحده للقضاء عليه ، ومهما توفرت للعلقة أسباب الحياة والنمو لا يمكن أن تبلغ هذا الوزن ، في حين أن قدرة الله سبحانه فوق الحدود والقيود ، ولكن المقدور لا بد وأن يكون مسايراً للقدرة ، فالله سبحانه قادر على أن يجعل الجرادة أو الوزة بحجم الفيل ، ولكن الوزة بماهيتها وحقيقتها غير قابلة لذلك ، فاستحالة وقوع مثل ذلك يرجع الى المقدور لا الى القدرة ، على أن حضور ألف فارس على خيولهم مع فتاة متهمة بتلك التهمة الى الخليفة الحاكم في منتهى البعد والغرابة لا سيما من تلك المسافة البعيدة التي تقدر بمئات الفراسخ .

ومن مرويات التستري الذي وصف نفسه بالتحقيق ما رفعه الى ميثم التمار أنه قال : كنت بين يدي أمير المؤمنين عليه‌السلام في جامع الكوفة في جماعة من أصحابه وأصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وكأنه البدر بين الكواكب إذ دخـــل علينا طويل عليه قباء خزٍ أدكن وقد اعتم بعمامة خضراء وهو متقلد بسيفين فدخل وبرك بغير سلام ولم ينطق بكلام ، فتطاولت اليـه الأعناق ونظروا اليه وقد وقف عليه الناس من جميع الآفاق وأمير المؤمنين عليه‌السلام لا يرفع رأسه، فلما هدأت من الناس الأنفاس والحواس أفصح عن لســان كأنه حسام جذب من غمده وقال : ايكم المجتبى في الشجاعة والمعمم بالبراعة ، أيكم المولود في الحرم ، والعالي في الشيم ، والموصوف في الكرم الأصلع البطل الدعاس المضيق للأنفاس والآخذ بالقصاص،أيكم غصن ابي طالب وبطله المهيب والسهم المصيب ، أيكم خليفة محمـد الذي نصره في زمانه واعتز به سلطانه وعظم به شأنه ، فعند ذلك رفع أمـير المؤمنين اليه رأسه وقال : مالك يا أبا سعد بن الفضل بن ربيع بن مدركة بن الأشمث بن أبي اسمع الرومي ، ســـل عما شئت ، قال : قد بلغنا عنك انك وصي رسول الله وخليفته على قومه من بعده ، انك محل المشكلات وأنا رسول إليك من ستين ألف رجل يقال لهم العصمة وقد حملوني ميتاً من مدة قد اختلفوا فيسبب موته وهو بباب المسجد فان أحييته علمنا انك صادق نجيب الأصل وتحققنا انك خليفة محمد على قومه وإن لم تقدر علىذلك رددناه الى قومه وعلمنا أنك تدعي غير الصواب،وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه ، قال أمير المؤمنين : يا ميثم ، اركب بعـــيرك وناد في شوارع الكوفة ومحالها ، من أراد أن ينظر إلى ما اعطى الله علياً اخا رسوله وزوج ابنته من العلم الرباني فليخرج الى النجف ، فخرج الناس إلى النجف ، فقال عليه‌السلام : يا ميثم ، هات الاعرابي وصاحبه،قال ميثم: فخرجت فرأيته راكباً تحت القبة التي فيها الميت فأتيت بهما إلى النجف ، فعند ذلك

قال عليه السلام : قولوا فينا ما ترون وأروا عنا ما تشاهدون منـــا ، ثم قال : يا اعرابي ، ابرك الجمل واخرج صاحبك انت وجماعة من المسلمين ، قال ميثم : فاخرجنا تابوتاً فيه غلام أول ما تم عذاره على خده بذوائب كذوائب المرأة الحسناء ، فقـال علي عليه السلام : كم لميتكم هذا ؟ قالوا احدى وأربعون يوماً ، قال : وما سبب موته ؟ قال الاعرابي : ان اهله يريدون ان تحييـه ليخبرهم من قتله لأنه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من اذنه الى اذنه ويطالب بدمه خمسون رجلاً يقصد بعضهم بعضاً فاكشف الشك والريب يا أخا محمد ، قال عليه السلام : قتله عمه لأنه زوجه ابنته فخلاها وتزوج من غيرها فقتله حنقاً عليه ، فقـال الاعرابي : لا نقنع بقولك فإنا نريد ان يشهد لنفسه عند أهله لترتفع الفتنـة والسيف والقتال ، فعند ذلك قام الامام فحمد الله وأثنى عليـه ، ثم قال : والله ما بقرة بني اسرائيل بأجـل عند الله مني قدراً ، ثم دنا من الميت وقال له : قم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة بن غسان بن بحر بن فهر فقد أحياك الله على يد علي بن ابي طالب ، قال ميثم التمار : فنهض غلام أضوأ من الشمس أضعافاً ومن القمر أوصافاً وقال لبيك لبيك يا حجـــة الله على الأنام المتفرد بالفضل والإنعام ، فقال له الامام : من قتلك ، قال : قتلني عمي الحارث بن غسان ، فقال له الامام : انطلق الى قومك ، فقال : يا مولاي ، لا حاجـة لي إليهم ، أخاف أن يقتلوني مرة أخرى ، فالتفت الامام إلى صاحبه وقال له : امضِ الى قومك واخبرهم ، وبقي الغلام مع أمير المؤمنين الى ان قتل بصفين .

لقد حارب أمير المؤمنين فكرة الغلو بشدة حينما ظهرت بوادرها بقيادة عبد الله بن سبأ كما يدعي الاخباريون والمحدثون وعاقب عليها بالقتل والاحراق بالنار ، وكان يحرص أشد الحرص على أن يبقى في الأذهان والأفكار صورة

للانسان المخلوق الذي لا يستطيع أن يفعل شيئاً مالم تمــده القدرة الإلهية بعنايتها ورعايتها ، ولم يقــدم على أي عمل تضيق به عقول العامة ويستغله المشعوذون لتنفيذ مخططاتهم وأغراضهم التي تستروا بالتشيع والولاء لتحقيقها.

ولو تغاضينا عن كل ذلك، فاذا صح انه قد دعـا الناس في الكوفة دعوة عامة لمشاهدة هذا الحدث العظيم ، فمن المقطوع به انه لم يتخلف عن الحضور إلا القليل النادر .

وحادثة من هذا النوع لا يمكن ان يتجاهلها التاريخ وتتناساها تلك الألوف التي تكدست يوم ذاك لمشاهدتها كما يزعم الراوي في حين انه لم يتعرض لها إلا التستري في القضاء المنسوب لعلي عليه السلام وغيره من حشوية الشيعة الذين لا يفرقون بين الجوهر والحصى ، مع العلم بأن التاريخ قـد أحصى أصغر الحوادث ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، وقد اختار الوضاعون والقصاصون ميثما لان يكون بطل هذه الاسطورة لانه كان صدوقاً فيما يحدث وصادق الحب والولاء لعلي وآله الكرام ، واذا جاءت الرواية عن طريقـه فستكون في حسابهم أقرب الى التصديق مما لو كانت عن طريق غـيره من المشبوهين والمجهولين .

وهكذا كان يضع الوعاظ والقصاصون فيخترعون أحياناً سنداً لأساطيرهم من أشخاص لا وجود لهم في هذه الدنيا ويربطونه باحد المعاصرين للامام أو النبي أو غيرهما ممن عرفوا بالوثاقة والاستقامة .

ومن المرفوعات التي أوردها التستري في القضـاء المنسوب لعلي عليه السلام أن غلاماً طلب مال أبيه من عمر بن الخطاب وذكر له ان والده توفي والولد طفل في المدينة ، فصاح عليه عمر وطرده من مجلسه، فخرج الغلام يتظلم منه فلقيه علي وقال لمن معه : ائتوني به الى الجامع حتى اكشف أمره ، فجيء به وسأله عن حاله ، فأخبره بخبره ، فقال : لاحكمن فيكم بحكمة حكم بها الله

من فوق سبع سماوات ، لا يحكم بها إلا من ارتضاه لعلمه ، ثم استدعى بعض أصحابه وقال : هات بجرفة ، وسار معهم إلى قبر والد الصبي وأمرهم بنبشه واخراجه واستخراج ضلع من أضلاعه ، فأخذ الضلع ودفعه الى الغلام وقال شمه ، فلما شمه انبعث الدم من سحريه ، فقال له : انت ولده ، فقال له عمر بانبعاث الدم أتسلم اليه المال؟ فقال علي عليه السلام : انه أحق بالمال منك ومن سائر الناس أجمعين ، ثم أمر الحاضرين بشم الضلع ، فشموه فلم ينبعث الدم منهم ، فأمر أن يعاد اليه ثانياً ، فلما اعيد اليه وشمه انبعث الدم ثانياً أكثر من المرة الاولى ، فقال عليه السلام لعمر : انه ابوه سلم له المال ، والله ما كذبت ولا كذبت .

وهذه الرواية كغيرها من مرويات القضاء الذي نسبه التستري لعلي عليه السلام وأكثرها لم يستوفِ شروط العمـــل بالرواية ، لا من حيث السند ولا من حيث المتن .

هذا بالاضافة الى ان علياً عليه السلام كان له من علمـه الغزير الواسع بالقضاء وغيره من غوامض الكون وأسرار الكائنات ما يغنيه عن الالتجاء الى هذه التمثيلية الغريبة التي لا تقبلها العقول ولا تحيط بها الافهام ، وفي الوقت ذاته فانها تفسح للمشعوذين والمضللين ان ينفثوا سمومهم وأباطيلهم التي تلوث التشيع وتلقي عليه ضباباً كثيفاً يحول الانظار عن واقعه الذي يعكس القرآن وسيرة الرسول الكريم وسنته .

وروي عنه في الفصل السادس الذي أجاب به عن بعض المسائل الحسابية والرياضية على حد تعبير التستري ، روي أن ثلاثة رجال جاؤوه يختصمون في سبعة عشر بعيراً ، يدعي احدهم نصفها والثاني ثلثها والثالث تسعها ، وطلبوا منه ان يقسمها بينهم بدون كسر ، فقال لهم : أترضون أن أضع بينها بعيراً من مالي واقسمها بينكم بدون كسر ، فقالوا نعم ، فوضع بعيراً معها فصارت

ثمانية عشر ، فأعطى لمدعي النصف تسعة، ولمدعي الثلث ستة، ولمدعي التسع اثنين ، وبقي له بعيره .

وبلا شك ان هذا التقسيم مخالف للواقع ، لان كلا منهم قد أخذ أكثر من حقه ولا يصح على علي عليه السلام ان ينحرف عن الحق أو يضلل أحداً من الناس .

كما روي عنه أن رجلاً سأله وهو يخطب على منبر الكوفة عن تقسيم ميراث من مات وترك زوجة وأبوين وبنتين ، فأعطى المرأة التسع ، أي ثلاثة من سبعة وعشرين ، وللبنتين ستة عشر سهما ، وللأبوين ثمانية أسهم ، وهو العدل الذين اعلن رأيه فيه بصراحة في مقابل من ذهب اليه من المسلمين ومضى عليه الأئمة (ع) وشيعتهم ، ولم يخالف في ذلك أحد من فقهاء الشيعة .

وروي عنه أيضاً في توزيع الميراث أنه ورث الأخت والأخوة مع البنين وهو عين التعصيب الذي اعلن رأيه فيه وفي مقابل من ذهب اليه من الصحابة والمعروف من مذهب الامامية بطلانه منذ أقدم العصور ، والخلاف بين السنة والشيعة في العدل والتعصيب من أبرز الخلافات بينهم في توزيع الميراث .

وقد روى التستري في كتابه الذي يحمل اسم القضاء ألواناً من القصص والنوادر ، بعضها بعنوان الالغاز ، وبعضها بعنوان النجوم والفلك ، وبعضها بعنوان الكيمياء والنحو والصرف ، الى غير ذلك من المواضيع التي طرقها في الكتاب المذكور ، وأكثر مروياته من نوع المراسيل التي لا يصح الاعتماد عليها ولا الاخذ بها ، هذا بالاضافة الى بعض القصص والحكايات التي لا يصح نسبتها الى الامام عليه السلام ولا الى أحد من العلماء .

والشيء الغريب أن مؤلف القضاء الذي نتحدث عنه قد ألف كتاباً بعنوان « الاخبار الدخيلة » ، وما أبعد ما بين الكتابين، فكتابه الثاني يدل على علم بالرواة والروايات ، وعلى عمق في التفكير وذوق سليم ، وعلى أساس

المنهج الذي سلكه في نقد الروايات ، فلا يسلم من مروياته في الكتاب الاول إلا القليل النادر .

واني إذ أقف عند هذا الحد اعتقد بأني قد قمت بواجبي من التشهير بهذا النوع من الكتب حتى لا تكون سلاحاً بيد الدساسين والمرجفين والله من وراء القصد .

وجاء في مختصر بصائر الدرجات عن جماعة منهم احمد بن محمد بن خالد البرقي عن أبي حمزة الثمالي عن ابي جعفر الباقر: أن عليا عليه السلام كان يقول: أنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات وأنا قرن من حديد وأنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وصاحب الجنة والنار وإليّ إياب الخلق جميعاً ، وأنا بارز الشمس ودابة الارض ، وأنا الذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والانساب ، وأنا صاحب العصى والميسم ، وانا الذي سخرت لي السحاب والرعد والبرق والظلم والانوار والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر ، وانا الذي أهلكت عاداً وثمود واصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً ، وانا صاحب مدين ومهلك فرعون ومنجي موسى، الى غير ذلك من الصفات التي وصف بها نفسه على حد زعم الرواة لهذه الرواية ، تلك الصفات التي لا تليق بغير الله سبحانه ولا تجوز على غيره كائنا من كان ، وتأويل بعضها وان كان ممكناً ، إلا أن البعض الآخر يأبى عن التأويل مثل قوله : انا بارز الشمس وانا الذي اهلكت فرعون وأنجيت موسى بن عمران ، وإلي اياب الخلق وحسابهم ، وانا صاحب الكرات والرجعات والدولات العجيبات ونحو ذلك .

ومن الغريب ان الرواة لهذه الرواية كلهم من الموثقين والممدوحين إذا

استثنينا احمد بن محمد بن خالد البرقي [1] ومن الجائز ان تكون الرواية من جملة الموضوعات التي دسها الوضاعون في كتب الموثوقين من اصحاب الصادق وابيه الباقر (ع) كما تشير الى ذلك رواية الامام الرضا عليه السلام التي جاء فيها ان اصحاب ابي الخطاب يدسون الى يومنا هذا في كتب اصحاب الصادق ، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن ، فإنا إذا حدثنا لا نحدث إلا بموافقة القرآن والسنة ، ان كلام آخرنا لكلام أولنا ، وكلام اولنا مصدق لكلام آخرنا ، واذا اتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه ، فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نور ، فما لا حقيقة له ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان .

وجاء في مختصر البصائر عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب عن سعد الجلاب عن جابر الجعفي ان الامام الباقر قال : ان الحسين بن علي (ع) قال لاصحابه قبل ان يقتل : ان رسول الله قال لي : يا بني ، انك ستساق الى أرض العراق وهي أرض قد التقى فيها النبيون وأوصياء النبيين ، وانك تستشهد ويستشهد معك جماعة من اصحابك لا يجدون ألم مس الحديد ، ثم تلا : **يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم** ، فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا،ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق عنه الارض فأخرج خرجة توافق خروج أمير المؤمنين وقيام قائمنا وحياة رسول الله ، ثم لينزلن عليّ وفد من السماء من عند الله سبحانه لم ينزل الى الارض قط ، ولينزلن إليّ جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجنود من الملائكة ، ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع من مَنّ الله عليه في حمولات من حمولات الرب على خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق،ثم ليهزن محمد لواءه وليدفعنه الى قائمنا عليه السلام مع سيفه ، ثم إنا نمكث بعد ذلك ما شاء الله ويُخرج الله من مسجد الكوفة

---

(١) فلقد جاء عنه انه كان يعتمد الضعفاء والمراسيل ويروي الغرائب ولا يبالي عمن اخذ كما جاء في منهج المقال وغيره .

عيناً من دهن وعيناً من لبن وعيناً من ماء ، ثم يدفع لي أمير المؤمنين سيف رسول الله ويبعثني الى المشرق والمغرب ، فلا آتي على عـدو من أعداء الله إلا أهرقت دمه ، ولا أدع صنما إلا أحرقته حتى أقع الى الهند فأفتحها، وان دانيال ويوشع يخرجان مع أمير المؤمنين عليه السلام ويبعث الله معهما سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم ، ويبعث بعثاً الى الروم فيفتح الله لهم ، ثم لأقتلن كل دابة حرم الله لحمها حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيب ، وأعرض على اليهود والنصارى وسـائر الملل الاسلام ، فمن أسلم مننت عليه ، ومن كره الاسلام اهرق الله دمه، ولا يبقى على وجه الأرض رجل من شيعتنا إلا أنزل الله عليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرفه أزواجه ومنازله في الجنـة ، ولا يبقى على وجه الارض أعمى ولا مقعد ولا معتل إلا كشف الله عنه بلاءه.

وهذه الرواية يبدو عليها الاضطراب والتشويش والتهافت في متنها، وقد نصت على أمور لم يلتزم بها أحـــد حتى من القائلين بالرجعة لأن الذين قالوا برجعة الأئمة (ع) يدعون أن النبي صلى الله عليه وسلم يرجع أولاً ومعه من كان في عصره من المشركين والمنافقين لينتقم منهم ، ثم يرجع علي عليه السلام وهـكذا غيره من الأئمة واحداً بعد واحد ، والرواية تنص على ان الحسين يرجع مع المهدي في وقت واحد يوافق خروج أمير المؤمنين وان محمداً في ذلك الوقت وعلياً ينزلان من السماء مع الملائكة في حمولات الرب ، وان الحسين يخرج مع والده علي (ع) في وقت واحد ، هذا بالاضافة الى بقية الغرائب التي اشتمل عليها الحديث .

ويكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات ابي سعيد سهل بن زياد وهو من المشهورين بالكذب ووضع الأحاديث ، والمعروفين بالغلو ، وجاء عنه انه كان فاسد الرواية والمذهب ، وقد رواها عن سعد الجلاب وهو من المجهولين ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، والراوي الأخير لها هو جابر الجعفي ،

وجاء عنه انه كان مخلطاً يعتمـــد الضعفاء والمراسيل ويروي عمن لا يجوز الاعتماد على مروياته [1] .

وروي أيضـاً عن الفضل بن شاذان عن الحسن بن محبوب عن عمر بن ابي المقداد عن جابر الجعفي انه قال : سمعت ابا جعفر يقول : والله ليملكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعا ، قلت متى يكون ذلك ؟ قال : بعد القائم ، قلت : وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال : تسع عشرة سنة، ثم يخرج المنتظر فيطلب بـدم الحسين ودم أصحابه ، فيقتـــل ويسبي حتى يخرج السفاح .

ووردت هذه بطريق آخر وجاء فيها: ان المنتظر يقتل ويسبي حتى يخرج السفاح وهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب .

ويبدو من هذه الرواية ان القائم غير المنتظر وان القائم يخرج أولاً ، ثم يخرج رجل من أهل البيت يملك ثلاثمائة وتسع سنوات ، ثم بعـد ذلك يخرج المنتظر فيطلب بدم الحسين عليه السلام وكلمة المنتظر تشير الى الامام الثاني عشر.

وجاء في بعض المرويات حول هذا الموضوع ان الحسين نفسه يخرج ليثأر لنفسه من قاتليه وأنصارهم .

هذا النحو من الاضطراب والتهافت يدعو الى الوقوف موقف الحـذر من هذه المرويات ويدعو الى التساؤل لا سيا بعد التعبير عن علي بالسفاح كما جاء في الرواية الثانية .

أما الرواة لهذه المجموعة من الاحاديث فـــلا تكاد تجد رواية منها يمكن الاطمئنان لسندها، فقد جاء في عمر بن ابي المقداد عن الامام الصادق ما يشعر

انظر ص ٢٩٨ من منهج المقال ترجمة سهل بن زياد وص ٢٦٦ ترجمة جابر الجعفي .

بذمه ، وقد ضعفه الغضائري ، وأما جابر الجعفي الذي تنتهي اليــه أكثر أسانيد هذه المرويات ، فقد تحدثنا عنه أكثر من مرة في هذا الكتاب ، ولو افترضنا أن رجـــال السند كلهم من الموثوقين فيكفينا ما جاء في متنها من الاضطراب والتشويش كما ذكرنا .

وروي في البصائر عن الحسين بن علي بن سفيان البزفوري عن علي بن سنان الموصلي عن علي بن الحسين عن احمد بن محمـد بن الخليل عن جعفر بن محمد المصري عن عمه الحسن بن علي عن الامام الصادق : ان رسول الله ﷺ قال لعلي في الليلة التي كانت فيها وفاته : يا أبا الحسن ، أحضر صحيفة ودواة فأملى رسول الله وصيته ، وجاء فيها : يا علي سيكون بعدي اثنا عشر اماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا ، فأنت يا علي أول الاثنى عشر من الأئمة ، سماك الله في سمائه علياً المرتضى وأمير المؤمنين والصديق الاكبر والفاروق الاعظم والمأمون والمهدي ، فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك .

ومضى الراوي يعدد الأئمة بأسمائهم حتى انتهى الى الثاني عشر محمـــد بن الحسن ، واستطرد يقول : ثم يأتي من بعدهم اثنا عشر مهديا ، فاذا حضرته الوفاة فليسلمها الى ابنه أول المهديين له ثلاثة أسماء، اسم كاسمي واسم كاسم ابي عبد الله واحمد والاسم الثالث المهدي وهو أول المؤمنين .

والرواة لهذه الرواية كلهم من المجهولين ما عدا البزفوري فلقد عده القمي في الكنى والألقاب من اجلاء الطائفة وثقاتها وكذا غيره من المؤلفين في أحوال الرواة والبزفوري المتهم بالكذب والموصوف بالضعف هو ابن زكريا العدوي كما تنص على ذلك كتب الرجال [1] ولو افترضنا ان الرواة لهـــا من الثقات

---

(١) فقد جاء عن احمد بن محمد بن الخليل انه مجهول الحال،وجاء ذلك أيضاً عن علي بن سنان الموصلي كما جاء عن جعفر بن محمد المصري انه كان مجهولاً وهو من محدثي القرن الرابع روى عنه التلعكبري سنة ٣٤٠ .

الممدوحين فلا يمكن الالتزام بمضمونها لانهـا تنص على اثنى عشر اماماً واثنى عشر مهدياً من بعدهم والمذهب الشيعي لا يعترف بغير الأئمـة الاثنى عشر ، والمهدي المنتظر عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري وهو الامام الثـاني عشر لا عبد الله ولا احمد كما جاء في هذه الرواية،وبلا شك فان الذين وضعوا اسطورة الاثنىعشر مهدياً وضعوها للتشويش على الأئمة الاثنى عشر .

وروي في البصائر عن محمـد بن عيسى بن عبيد عن الحسن بن علي عن جعفر بن بشـير عن عمر بن ابان عن معتب غلام الصادق عليه السلام انه قال : كنت مع ابي عبد الله الصادق بالعريض فجاء يتمشى حتىدخل مسجداً كان يتعبد فيه والده وهو يصلي في موضع من المسجد، فلما انصرف قال:يا معتب أترى هذا الموضع ، قال : نعم ، قال :بينما ابي قائم يصلي في هذا المكان إذ دخل شيخ يمشي حسن السمت فجلس فبينا هو جالس إذ جاء رجـل آدم حسن الوجه والسمة ، فقال للشيخ : ما يجلسك ، ليس بهـذا امرت ، فقاما وانصرفا وتواريا عني فـلم أر شيئاً ، فقال لي أبي : يا بني ، هـل رأيت الشيخ وصاحبه ؟ قلت : نعم فمن هما ، قال : الشيخ ملك الموت والذي جاء وأخرجه جبرائيل .

والرواة لهذه الرواية بين مجهول الحال كجعفر بن بشـير ومعتب غلام الصادق ، وبين من اتهمه المؤلفون في احوال الرواة بالكذب والغلو كمحمد بن عيسى بن عبيد ، واما الحسن بن علي ، فسواء اريد به الحسـن بن علي الهمداني ، أو الحسن بن علي بن زكريا البزفوري، أو الحسن بن علي الملقب سجادة أو الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني ، فهؤلاء كلهم من المتهمين بالكذب والانحراف عن التشيع الصحيح لاهل البيت .

وروى الصدوق في اكمال الدين واتمام النعمة عن محمد بن احمد الطوال عن الحسن بن علي الطبري عن محمد بن علي بن ابراهيم بن مهزيار عن جده علي

بن ابراهيم بن مهزيار انه قال: كنت نائماً في مرقدي اذ رأيت فيا يرى النائم قائلاً يقول لي : حج فانك تلقى صاحب زمانك ، فانتبهت وانا فرح مسرور فما زلت في الصلاة حتى الفجر والصبح، فلما فرغت من صلاتي خرجت أسأل عن الحــاج فوجدت فرقة تريد الخروج فبادرت مع أول من خرج فما زلت كذلك حتى خرجوا وخرجت معهم اريد الكوفة ، فلمــا وافيتها نزلت عن راحلتي وسلمت متاعي الى ثقات اخواني وخرجت أسأل عن آل ابي محمدفلم أجد أثراً ولا سمعت خبراً ، ثم خرجت مع أول من خرج أريد المدينة ، فلما دخلتها لم أتمالك ، ان نزلت عن راحلتي وسلمت رحلي الى ثقــات اخواني وخرجت أسأل عن الخبر وأقفو الأثر ، فــلا خبراً سمعت ولا أثراً وجدت ، فلم أزل كذلك الى ان نفر النــــاس الى مكة وخرجت مع من خرج حتى وافيت مكة ونزلت واستوثقت من رحلي وخرجت أسأل عن آل محمــد ، فما زلت بين اليأس والرجاء متفكراًفي أمري وعائباً على نفسي وقـــد جن الليل ، فقلت أرقب الى ان يخلو لي وجــه الكعبة ، فلما قمت الى الطواف إذا أنا بفتى مليح الوجه طيب الرائحة فرعته ، فالتفت إلي وقال : من الرجل؟ فقلت : من الاهواز ، فقال : اتعرف بها ابن الخطيب ؟ فقلت رحمــه الله ، دعي فأجاب ، فقال : رحمه الله ، لقد كان بالنهار صائماً وبالليل قائماً وللقرآن تالياً ولنا موالياً ، فقــال : أتعرف علي بن ابراهيم بن مهزيار ، قلت : أنا علي بن مهزيار ، فقال : مرحباً وأهلاً بك وسهلاً ، فقال: أتعرف الصريحين قلت : نعم ، قال : من هما ؟ قلت محمــد وموسى ، ثم قال : علمت العلامة التي بينك وبين ابي محمد ، فقلت : معي ، فأخرجتها اليه ، فاذا هي خاتم على فصه محمد وعلي ، فلما رأى ذلك بكى بكاءً طويلاً ، ثم قال : سر الى رحلك وكن على أهبة السفر .

ومضى الراوي في حديث طويل يصف المراحل التي مر بها والصعوبات التي اعترضته حتى انتهى الى كثيب من رمل فوقه بيت من شعر يتوقد نوراً ، فاستأذن له ، فدخل على الامام عليه السلام وأخبره بما سيكون ووقت له خروجه .

وفي رواية ثانية انه وجده مع اخيه موسى بن الحسن العسكري شريكه في الامر فأقام معهما أياماً يستفيد من علمهما ، ثم ودعهما وانصرف ، في رواية طويلة يبدو عليها التكلف والافراط في الوصف .

وأغرب ما فيها انها تنص على ان للامام الحجة محمد بن الحسن عليه السلام اخاً اسمه موسى كانا معاً غائبين عن الناس وهو مخالف لاجماع الامامية والمؤرخين أيضاً ، ونص المؤرخون على ان جعفر ابن الامام الهادي قد ادعى الامامة بعد أخيه بحجة انه مات عقيما ، وحاول الحكام بكل ما لديهم من قوة ان يحصروا أرث الامام العسكري بأخيه جعفر المذكور، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، وأظهر الله الحق لجماعة من الشيعة فرجعوا الى امامة ولده الوحيد محمد بن الحسن، ولم يدع أحد من الفريقين ان له أخاً يدعى موسى كما يزعم الراوي ، هذا بالإضافة الى الاضطراب والتشويش في متني هاتين الروايتين ، فلقد جاء فيهما انه جد واجتهد على أن يجد خبراً وذكراً لآل محمد فلم ينته الى نتيجة ، مع ان حديث السفراء الاربعة كان مشهوراً ومعلوماً في ذلك العصر ، وكان الشيعة على اتصال دائم به بواسطة سفرائه .

وجاء في الروايتين أيضاً انه اجتمع اليه وطالت اقامته عنده ، في حين ان اكثر النصوص تؤكد على انه لا يظهر لأحد ظهوراً كاملاً بحيث يعرفه بشخصه ويأنس اليه .

كما جاء في الروايتين انه رآه أولاً بمكة ، وذكر صفاته وخصائصه ، ثم

قال بعد ذلك : انه طلب منه ان يدله عليه ، فأخذه وعرفه عليه ، الى غير ذلك من التخليط والتشويش في متن هاتين الروايتين .

وجاء في ترجمة الراوي للحديث ابراهيم بن مهزيار ، انه كان من سفراء الامام الحجة ، ومن أبواب الامام العسكري ، وكان دليله .

ويروون عنه ان أباه دفع اليه مالاً عظيما ليسلمه الى الحجة ان طالب بالمال من تلقاء نفسه وبين مقدار الأموال،فخرج من الاهواز لبغداد فأخبره العمري عن المال فدفعه اليه بأمر الامام [1] .

والرواية تنص على انه فحص واجتهد أولاً فلم يجد لذكره أثراً وان الذي دفعه ألى الفحص والتفتيش عنه طيف كان قد رآه ، وبهذا الدافع خرج من الاهواز وكان في حيرة وشك من أمره .

ومهما كان الحال فلقد ذكرنا أكثر من مرة أن صحة السند وسلامته من العيوب لا تمنع من رد الرواية اذا لم يكن متنها سليما من العيوب ، ويكفيها عيباً اشتمالها على ولدين للامام العسكري عليه السلام .

وجاء في الاخبار الدخيلة للتستري ان الذين استقصوا أخبار الحجة لم يذكروا ابراهيم بن مهزيار فيمن شاهده واجتمع اليه [2] .

وقد رجح جماعة من المحدثين ان وفاة ابن مهزيار كانت بعد وفاة العسكري بزمن يسير .

وعلى أي الأحوال فاني اترك الحديث عن المرويات حول محمد بن الحسن

---

(١) انظر رجال الميرزا محمد حرف الهمزة .

(٢) الاخبار الدخيلة ص ١١٧ .

الحجة المنتظر عليه السلام والرجعة وغيرهما من المواضيع الى كتاب آخر يستوعب هذه المواضيع بحول الله وقوته ، وأعود الى مرويات الشيخ رجب البرسي[1] في كتابه مشارق انوار اليقين في اسرار أمير المؤمنين ، هذا الكتاب الذي طبع مراراً في العراق وايران وأخيراً في بيروت (دار الأندلس) والذي حشد فيه مؤلفه مئآت الاحاديث المكذوبة على أهل البيت (ع) والكتاب يقدسه الشيخية والكشفية والغلاة لانه يمثل الغلو ويؤيد عقائدهم الفاسدة المزيفة التي تتنافى مع اصول الاسلام فضلاً عن اصول التشيع ، والشيء المؤسف ان يعاد طبع الكتاب في ايران والعراق بدون تعليق عليه حتى لا تنخدع العامة ولا يتخذه اعداء الشيعة وصمة على التشيع وسلاحاً يطعنون به التشيع في الصميم، وفي الوقت ذاته يمكن ان يكون للتعليق عليه والتنويه بأخطاره أثره في ردع بعض المحترفين لتجارة الكتب والمتاجرين بالدين كبعض المؤسسات المشبوهة الموجودة حالياً في بيروت وغيرها التي تتاجر بمثل هذه الكتب التي تسيء الى أهل البيت وتخدم أخصامهم لاغراض تدعوني الحاجة فعلاً الى تقييمها وتحديد اخطارها ، غير اني لا استطيع ان امر بهذه الكتب وانا أرى كتاب البرسي والقضاء المنسوب لعلي عليه السلام تأليف التستري وغيرهما من كتب الحديث التي تباع في اسواق بيروت وتعرض في مواقع الزحام كالفجل والبصل وتتناقلها ايدي الطوائف المختلفة وكلها تقدس علياً وتجله لانه

---

(١) هو الشيخ رجب بن الشيخ محمد بن رجب البرسي من علماء الامامية وفقهائهم في القرن التاسع الهجري : وجاء في الكنى والالقاب في ترجمته ان العلامة المجلسي قال : ان له كتاب مشارق الانوار وكتاب الألفين ولا اعتمد على ما ينفرد بنقله لاشتمال كتابيه على الخبط والخلط والارتفاع ، وقال الحر العاملي : ان في كتابه افراطاً وربما نسب الى الغلو ، والبرسي ينسب الى قرية بين الكوفة والحلة يقال لها برس ومن مؤلفاته كما جاء في غدير الأميني الدر الثمين في خمسماية آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتفاق أكثر المفسرين على حد تعبيره .

قدم من سيرته وسياسته يوم كان حاكماً ومحكوماً اقصى ما يمكن ان يقـدمه انسان هذه الدنيـــا من المثل في جميع المجالات لجميع بني الانسان ـ لا لانه يستمد عظمته من الاساطير والغيبيات التي تقدمها هذه المؤلفات التى تضر ولا تنفع ، وتفسد ولا تصلح، وتسيء إلى الأئمة الهداة ولا ترشد احداً الى واقعهم الذي يهب العطاء والبذل بسخاء لكل من يريد ان يتلمس مواقع الخـــير ومصادر الرشد والفوز والهداية في جميع المجالات .

ولم أجد من وضع البرسي وكتابه من المعاصرين في قفص الاتهام وحذر من اقتنائه وقراءته سوى البحاثة حجة الاسلام المغفور له السيد الأمين في كتابه « اعيان الشيعة » ولكنه ومع الأسف الشديد تعرض لهجمات عنيفة قاسـية من الشيخ الأميني في المجلد السابع من غديره من غير ان يقدم ولو دليلاً واحداً على براءة البرسي مما نسب اليه سوى بعض المرويات التي يعتمدها البرسي نفسه بالاضافة الى بعض التشويهات والألفاظ الفارغة ، مع أن أكـــثر المترجمين للبرسي قد اتهموه بالغلو والخبط والخلط ، ومع ذلك فلقد اتجه الأميني للسيد الأمين وحده ، ولا بد وأن يكون لذلك سـر لا يعنينا تحديده في هذا الكتاب .

ولا اريد بذلك ان ادافع عن السيد الأمين ، فالسيد أرفع شأناً من أن يرسل كلامه بدون قصد وتدبر كما يدعي الشيخ الأميني في غديره، ففي كتاب المشارق عشرات الشواهد علىتبني البرسي لآراء الغلاة التي لا تتفق مع التشيـع السليم ، ويبدو من تحيزه للبرسي انه لم يتدبر مشارق الأنوار ولم يمعن النظر في اساطيره ومروياته ولو انه أمعن النظر فيها لوقف منها نفس الموقف الذي وقفه السيد الأمين وغيره من الباحثين الذين لا يهمهم الا احقاق الحق ومحاربة البدع .

وسأقدم في كتابي هذا بعض الأمثلة من مشارق البرسي لاثبات هـــذه الحقيقة ، فقد جاء في ص ٢٣ ان سورة الفاتحة هي سورة الحمد ، وقد شرفها الله في الذكر وأضاف اليها القرآن ، فقال عز اسمه : « **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني** » فأفردها في الذكر وذكرها اجمالاً وافراداً لشرفها ، وهذا مثل قوله : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** » أدخلهـــا اجمالاً وأفردها إجلالاً ، والصلاة الوسطى هي صلاة المغرب ظاهراً ، وفي وقت أدائها تفتح أبواب السماء ويجب التعجيل بهـا لقوله : عجلوا في المغرب ، وأما في الباطن والرمز فهي فاطمة الزهراء لأن الصلوات الخمس في الحقيقة هم السادة الخمسة الذين اذا لم يعرفوا ولم يذكروا فلا صلاة ، فالظهر هي رسول الله ومن ثم بدا النور أول ما خلقه الله نوره وأول ما خلق الله اللوح وأول ما خلق الله القـــلم ، فالعقل نور محمد واللوح والقلم علي وفاطمة ، واليه الاشارة بقوله : « **نْ والقلم وما يسطرون** » وفريضة العصر أمـير المؤمنين ، والمغرب الزهراء ، أمر الله بالمحافظة على حبها وتعظيمها وحب عترتها ، فصغروا قدرها وحقروا عظيم أمرها لما غربت عنها شمس النبوة ، وحبها الفرض وتمام الفرض وقبول الفرض ، لأن النبي حصر رضاه في رضاها ، فقال : يا فاطمة ، لا يرضى الله حتى ترضي ، ومعنى هذا الرمز ان فاطمة ينبوع الأسرار وشمس العصمة ، لأنها بضعة النبي ﷺ. الى غير ذلك من السخف الذي اشتمل عليه هـــذا الفصل وغيره من الفصول التي عقدها لبيان اسرار الحروف وحساباتها التي لا تخطيء الواقع على حد زعمه .

وقد نسب لعلي عليه السلام انه قال : بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تبـين العابد من المعبود ، وما من شيء الا والباء مكتوبة عليه ، فاذا قلت الله فقد نطقت بسائر الأسماء ، واذا كتبت الألف فقد نطقت بسائر الحروف ، واذا نطقت

بالواحد فقد ضمنت سائر الأعداد ، واذا قلت النقطة فقـــد حصرت سائر العوالم ، واضاف الى ذلك قوله :

يا رب بالألف التي لم تعطـــف   وبنقطة هي سر كل الاحـرف
وبقافها الجبـل المحيط وصادها   البحـر الذي بظهوره لا يختفي

ويمضي البرسي في عـــلم الرموز فيصف الاعداد وبعض النقط والكلمات وأسرارها الخفية وحقائها التي لم يطلع عليها الا امثال البرسي .

ويقول بعد ذلك : واليه الاشارة بقوله تعالى : « **الله خلـــق السماوات والأرض في يومين** » ويضيف الى ذلك والى هذا الاشارة بقوله ﷺ : اول ما خلق الله نورين ، ثم فتق منه نور علي عليه السلام فلم نزل نتردد في النور حتى وصلنا الى حجاب العظمة في ثمانين الف سنة ، ثم خلق الخلائق من نورنا ، فنحن صنائع الله والخلق من بعد صنائع لنا ، اي مصنوعين لاجلنـا ، ويؤيد ذلك على حـــد زعمه ما رواه جابر في تفسير قوله تعالى : « **كنتم خير أمة اخرجت للناس** » ان رسول الله قال في تفسيرها : اول ما خلـق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته ، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل الى جلال العظمة في ثمانين الف سنة ، ثم سجد لله تعظيماً فتفتق منـه نور عـلي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة ، ثم خلق العرش والـلوح والشمس والقمر والنجوم وضوء النهار وضوء الأبصار والعقل والمعرفـــة وأبصار العباد واسماعهم وقلوبهم من نوري ، ونوري مشتق من نوره فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن الشافعون. وهكذا يمضي الراوي فيقول : ان النبي ما زال يقول فنحن الى ان مل السامعون. الى غير ذلك من غرائب المشارق للبرسي المطبوع اخيراً في بيروت بواسطة بعض محترفي تجارة الكتب بوحي من بعض الجهات المشبوهة حسبما اظن .

وبعـد ان ينتهي البرسي من اسرار الحروف والنقط والكلمات ينتقل الى فضائل علي عليه السلام فيروي عن عبيد السكسكي عن ابي عبدالله الصادق عليه السلام ان علياً لمـا رجع من صفين وقف على شاطىء الفرات وأخرج قضيباً اخضر ضرب بـه الفرات والناس ينظرون اليه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً كل فرق كالطود العظيم ، ثم تكلم بكلام لم يفهموه فأقبلت الحيتان رافعة أصواتها بالتكبير والتهليل وقالت السلام عليك يا حجة الله في أرضه وسمائه وعين الله الناظرة لعباده خذلك قومك كما خذل هارون بن عمران قومه .

والراوي لهـذا الحديث من المجهولين كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرواة ، ومن غرائبه ان رجلاً من الخوارج مرّ بأمير المؤمنين ومعه حوتان من الجري على حد تعبير البرسي قـد غطاهما بثوبه ، فقال له امير المؤمنين : بكم اشتريت ابويك من بني اسرائيل ، فقال له الرجل مـا اكثر ادعاءك الغيب ؟ فقال له امير المؤمنين اخرجهما فأخرجهما، فقال لهما من انتما ؟ فقالت احداهما انا ابوه وقالت الاخرى انا امه .

ومنها ان رجلاً قدم الى امير المؤمنين فاستضافه فاستدعى قرصاً يابساً من شعير وقعباً فيه مـــاء ، ثم كسر قطعة من القرص فألقاها في الماء ، ثم قال للرجل تناولها ، فأخرجها الرجل فـــإذا هي فخذ طائر مشوي ، ثم رمى أخرى وقال له تناولها فتناولها فإذا هي قطعة من الحلوى ، فقـال الرجل يا مولاي : تضع لي كسراً يابسة فأجدها من أنواع الطعام ، فقال امير المؤمنين عليه السلام : نعم هذا هو الظاهر وذاك الباطن وان امرنا هكذا [1] .

ومنها ان فرعون لما لحق هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوماً فأوجسا خيفة منه فإذا فارس يقدمهما ولباسه من ذهب وفي يده سيف من ذهب وكان

---

(١) انظر البرسي ص ٨ .

فرعون يحب الذهب، فقال لفرعون: اجب هذين الرجلين وإلا قتلتك، فانزعج فرعون لذلك وقال عودا إليّ غداً ، فلما خرجا دعا البوابين وعاقبهم وقال كيف دخل عليّ هذا الفارس بغير إذن ، فحلفا بعزة فرعون ما دخل عليه إلا هذان الرجلان وكان الفارس مثال علي الذي أيد الله به النبيين سراً وأيد به محمداً جهراً لأنه كلمة الله الكبرى التي أظهرها لأوليائه فيما شاء من الصور فنصرهم بها وبتلك الكلمة يدعون الله فيحييهم وينجيهم ، وأضاف الى ذلك وإليه الإشارة بقوله : ويجعل لكم سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا [١] .

ومنها ما رواه عن علي بن عاصم انه قال: دخلت على ابي محمد العسكري عليه السلام فقال لي يا علي بن عاصم : انظر الى ما تحت قدميك فإنك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين ، فقلت يا سيدي: ألا انتعل ما دمت في الدنيا إكراماً لهذا البساط ، فقال يا علي : ان هذا النعل الذي في رجلك نجس ملعون ، وقلت في نفسي ليتني أرى هذا البساط فعلم ما في ضميري فقال : أدن مني فدنوت منه فمسح يده الشريفة على وجهي فصرت بصيرا ، فرأيت في البساط اقداماً وصوراً ، فقال هذه قدم آدم وموضع جلوسه ، وهذا أثر هابيل ، وهذا أثر شيث وهذا أثر نوح ، وهذا أثر قيدار ، وهذا أثر مهلائيل ، وهذا أثر اخنوخ ، وهذا أثر ادريس، وهذا أثر توشح وسام وافرخشيد وهود وصالح وهكذا يمضي البرسي فيعدد جميع الانبياء والملائكة وأجداد النبي والأوصياء الى الامام الثاني عشر، وذلك قبل وجوده ، ولا تزال أثار جلوسهم على البساط بارزة الى زمان الراوي ، كما لم يذكر نوع المادة التي صنع منها هذا البساط الذي عاصر جميع النبيين والملائكة والأوصياء .

---

(٢) نفس المصدر ص ٨١ .

وقـد رواها البرسي عن علي بن عاصم المعروف بالخديجي الاصغر الذي ينتهي نسبه من قبل الأم الى خديجة بنت خويلد ، ونص المؤلفون في احوال الرواة انه كان ضعيفاً فاسد المذهب لا يلتفت اليه [1] .

وجاء في مشارق البرسي ان علياً لما شطر مرحباً شطرين وألقاه مجندلاً جاءه جبرائيل باسماً متعجباً فقال له النبي مم تعجبت ، فقال ان الملائكة تنادي في صوامع وجوامع السموات لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار ، وأما إعجابي فإني لما أمرت ان أدمر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن في الارض السابعة السفلى الى الارض السابعة العليا على ريشة من جناحي ورفعتها حتى سمع حملة العرش صياح ديكتهم وبكاء اطفالهم ووقفت بها الى الصبح انتظر الأمر ، ولم اثتقل بها ، واليوم لما ضرب علي ضربته الهاشمية وكنت امرت ان أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الارض فتصل ضربته الى الثور الحامل لها فيشطره شطرين فتنقلب الارض بأهلها ، فكان فاضل سيفه اثقل علي من مدائن لوط ، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء .

ولم يكتف البرسي بنقل الأساطير وأحاديث الغلاة بـل استرسل في التعليق على هذه الاسطورة وشرحها بما يزيدها غرابة واستهجاناً وبعداً عن واقع الأئمة (ع) فقال لمن يشكك في مثل هـذه الاسطورة : يا بعيد الفكرة وجامد الفطرة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل خلق الله ، خلقوا من شعاع نور محمد وعلي ، وعلي ومحمد خلقا من جلال ذي الجلال ، فهم صفة الله وأمر الله وكلمة الله ، ولهذا قال رسول الله : لو كانت البحار مداداً والفيافي اقلاماً والسموات صحفاً والجن والإنس كتاباً لنفد المداد ، وكل الثقلان أن يكتبوا معشار فضائل امام يوم الغدير .

---

(١) انظر الاتقان ص ٣٢٨ .

لقد سطر البرسي هذه الكلمات التي يكررها في اكثر المواضع وهو يحسب انه قـــد اقنع المشككين وأزاح الشبهة من أذهان الجاحدين ، وإن دلت تعليقاته على شيء فإنها تدل على اسرافه في الغلو وافراطه في الأخذ بكل ما سمع وما رأى بدون تحقيق في الاسانيد ولا تدبر في المضامين ، ولا تفكير في اخطار هذه الأساطير .

وجاء في الكتاب المذكور: انه في اليوم الذي ضرب علي مرحباً بالسيف جاءت صفية الى الرسول وكانت احسن الناس وجهاً فرأى في وجهها شجة ، فقال لها ما هذه وأنت ابنة الملوك ، فقالت ان علياً لما قدم الحصن هز الباب فاهتز الحصن بكامله وسقط من كان عليه من النظارة وارتجف بي السرير فسقطت لوجهي فشجني جانب السرير ، فقال لها رسول الله : يا صفية ان علياً عظيم عند الله وانه لمـا هز الباب اهتز الحصن واهتزت السموات السبع والارضون السبع واهتز عرش الرحمن غضباً لعلي ، وفي ذلك اليوم لما سأله عمر فقال يا ابا الحسن لقـد اقتلعت منيعاً ولك ثلاثة أيام خميصاً فهل قلعتها بقوة بشرية ، فقال ما قلعتها بقوة بشرية ولكن بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة مرضية .

وهذه كغيرها من الاساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان ، واينما اتجهت في كتاب « المشارق » للبرسي لا تقع العين إلا على أمثال هـذه الغرائب التي تنفـّر ولا تقرب وتفرق ولا تؤلف وتمد أعداء الشيعة بأشـد الأسلحة فتكاً في التشيع لأهل البيت (ع) .

وروى البرسي عن عمار بن ياسر ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال : باسمي تكونت الكائنات والأشياء ، وما سمي ودعا سائر الانبياء ، وأنا اللوح والقلم

وأنا العرش والكرسي ، وأنا السماوات السبع والسماوات الحسنى والكلمات العليا ، وان كان اسم محمد كان اسم علي ولا عكس .

ومضى يقول : والى ذلك الاشارة في قوله تعالى في صدد القرآن : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه » فالكتاب علي لا ريب فيه، والتقوى هي حب علي عليه السلام والذين يؤمنون بالغيب ، أي يؤمنون بالرجعة .

ومضى يفسر الآيات بعلي والقائم من ولده معتمداً على المرويات التي رواها علي بن حسان وعبد الرحمن بن كثير وغيرهما من الغلاة في تفسيرهم المعروف بتفسير الباطن .

وقد نسب الشيخ البرسي رحمه الله وغفر له الى علي امير المؤمنين الكثير من الأوصاف والنعوت التي لا تجوز على غير علام الغيوب زاعماً أن علياً وصف نفسه بها في خطبته التي اسماها التطنجية وهي خطبة طويلة جاء فيها ان علياً قال : أنا الواقف على التطنجين[1] ، أنا الناظر الى المغربين والمشرقين رأيت رحمة الله والفردوس رأي العين وهو في البحر السابع يجري في الفلك في زخاخيره النجوم والحبك ، ورأيت الأرض ملتفة كالتفاف الثوب القصور وهي في زخرف من التطنج الأيمن مما يلي المشرق ، والتطنجيان خليجان من ماء كأنهما ايسار تطنجين .

ومضى يقول : ولقد علمت فيها ما كان وما يكون ، ولقد علمت في الفرد الأول مع من تقدم من آدم الأول ، ولقد علمت ما في الفردوس الاعلى وما تحت السابعة السفلى وما في السماوات العلى وما بينهما وما تحت الثرى ،كل ذلك علم احاطة لا علم اخبار، اقسم برب العرش العظيم

(١) التطنجيين كما يزعم البرسي خليجان من ماء.

لو شئت اخبرتكم بآبائكم واسلافكم اين كانوا وممن كانوا واين هم الآن وما صاروا اليه، فكم من آكل منكم لحم أخيه وشارب برأس أبيه وهو يشتاقه ويرتجيه الى ان يقول : أنا صاحب الخلق الاول قبل نوح الاول ولو علمتم ما كان بين آدم ونوح من عجائب اصطنعتها وامم اهلكتها فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون ، انا صاحب الطوفان الاول ، انا صاحب الطوفان الثاني ، انا صاحب سيل العرم ، انا صاحب الاسرار المكنونات ، انا صاحب عاد والجنات ، انا صاحب ثمود والآيات، انا مدمرها ، انا مزلزلها ، انا مرجعها انا مهلكها انا مدبرها ، انا بانيها وانا داحيها ، انا مميتها وانا محييها ، انا الاول انا الآخر ، انا الظاهر انا الباطن ، انا مع الكور قبل الكور ، انا مع الدور قبل الدور ، انا مع القلم قبل القلم ومع اللوح، قبل اللوح ، انا صاحب الازلية الاولية، انا مدبر العالم الاول حيث لاسماؤكم هذه ولا غبراؤكم هذه الى غير ذلك من الصفات التي لا تليق بغير علام الغيوب .

وجاء في خطبة غيرها نسبها البرسي اليه انه قال : انا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله الا انا ، انا ذو القرنين المذكور في الصحف الاولى ، انا صاحب خاتم سليمان ، انا ولي الحساب ، انا صاحب الصراط ، والموقف ، انا آدم الاول ، انا نوح الاول ، انا آية الجبار ، انا مورق الاشجار ، انا مفجر العيون ، انا مجري الانهار ، انا خازن العلم ، انا الراجفة ، انا الصاعقة ، انا اقمت السماوات بأمر ربي ، انا الذى لا يبدل القول لدي وحساب الخلق لي ، انا المفوض اليه امر الخلائق ، انا مقدر الاقوات ، انا ناشر الاموات ، انا منزل القطر ، انا منور الشمس والقمر والنجوم . الى غير ذلك في حديث طويل لا يدع صفة من صفات الله ولا ميزة لله إلا ويلصقها بنفسه كما تنص على ذلك الخطبة المزعومة [1] .

---

(١) انظر ص ١٦٦ و ص ١٧٠ و ص ١٧١ من مشارق البرسي .

وكما ذكرنا ، فأينما اتجهت في مشارق البرسي لا تجد فيه الا الغرائب والعجائب والافتراء على الأئمة الهداة ، لذلك فاني أكتفي بتقديم هذه الامثلة من مروياته وأساطيره وعلى هذه فقس ما سواها .

واني إذ أقف عند هذا الحد من مرويات المشارق ، وأحاول ان اختم هذه الحلقة من كتابي هذا ببعض المرويات في الفضائل من طريق السنة تاركاً من احاديث الفضائل وغيرها أكثر مما دونت وجمعت ، مما لم يستوف شروط الاخذ والعمل بالرواية ، اترك ذلك رغبة في الاختصار وعدم التطويل الممل ، وفي الوقت ذاته فاني حسبما اعتقد قد وضعت في ذهن القارىء الكريم ان ليس كل ما هو موجود في كتب الحديث مهما كان نوعها يستعصي على النقد والتجريح ، ولا يقبل المراجعة ، لان كتب الحديث ليست من صنع الوحي الذي لا يأتيه الباطل ولا تحوم حوله الشبهات ، بل هي من صنع الانسان الذي قد تطغيه الاهواء والشهوات وتستبد به المصالح والاغراض ، ويعتمد على الاجتهاد الذي قد يخطىء احياناً ويصيب احياناً اخرى مع العلم بأن التشكيك في هذه المرويات لا يعني ان الله قد حجب العلم عن الأئمة من أهل البيت وأقام بينه وبينهم السدود والحصون المنيعة التي تحجب عنه دعواتهم وتمنع عنه طلباتهم ، فمما لا شك فيه بأنهم قد احاطوا بشيء من علمه واستطاعوا بجهادهم واخلاصهم ان يكونوا على صلة بالله في جميع الاوقات والحالات ، ولكنهم كانوا مع ذلك يحرصون على ان يظهروا بمظهر من لا يستطيع ان يجلب لنفسه خيراً ويدفع عنها سوءاً حتى لا يفسحوا المجال لاعداء التشيع والزنادقة فيستغلوها لصالحهم ولضعفاء الايمان فيضلوا بها .

على ان حشوية أهل السنة قد نسبوا للخلفاء الثلاثة وحتى لعشرات الاولياء من الكرامات والمعجزات اكثر مما نسبه حشوية الشيعة لأئمتهم ،

وسنقدم للقراء أمثلة من تلك المرويات في كل حلقة من حلقات هذا الكتاب.

فمن ذلك ما ذكره ابراهيم العبيدي المالـكي في كتابه « عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق» ، والعصفوري في « نزهة المجالس عن عيون المجالس » ان النبي قال يوماً لعائشة : ان الله تعالى لمـــا خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرة وجعلها على عجلة ، وخلق للعجلة ثمانمائة وستين عروة ، وجعل في كل عروة سلسلة من الياقوت الأحمر ، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين ان يجروها بتلك السلاسل مـع قوتهم التي اختصهم الله بها ، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبة الخضراء وتجلو جمالها على أهل الغبراء ، وفي كل يوم تقف على خط الاستواء فـــوق الكعبة لانها مركز الارض وتقـول : يا ملائكة ربي ، اني لاستحيي من الله عز وجل اذا وصلت الى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين ان اجوز عليها والملائكة تجر الشمس لتعـــبر على الكعبة بكل قوتها ، فلا تقبل ، وتعجز الملائكة عنها ، والله سبحانه وتعالى يوحي الى الملائكة وحي إلهام فينادون: ايتها الشمس بحرمة الرجل الذي اسمه منقوش على وجهك المنير الا رجعت الى ما كنت فيه من السير ، فاذا سمعت ذلك تحركت بقدرة المالك ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، من هو الرجل الذي اسمه منقوش عليها ؟ فقال هو ابو بكر الصديق ، يا عائشة قبل ان يخلق الله العـــالم علم بعلمه القديم انه يخلق الهواء ويخلق على الهواء هذه السماء ، ويخلق بحراً من الماء ، ويخلق عليه عجلة مركبـــاً للشمس المشرقة على الدنيا وان الشمس تتمرد على الملائكة إذا وصلت الى الاستواء ، وان الله سبحانه قـــدر أن يخلق في آخر الزمان نبياً مفضلاً على الانبياء وهـــو بعلك يا عائشة على رغم الأعداء ، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره ابي بكر صديق المصطفى، فإذا اقسمت الملائكة به زالت

الشمس وعادت الى سيرها بقدرة المولى، وكذلك إذا مر العاصي من امتي على نار جهنم وأرادت النار أن تهجم على المؤمنين فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار هاربة ولغيره طالبة .

وجاء في روض الرياحين لليافعي عن ابي بكر الصديق انــه قال : بينا نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قــد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام[1] وأجلسناه بين يدي النبي ﷺ ، فقال من يقضيني حاجة في حب لنبي ، فقال ابو بكر ما حاجتك يا شيخ؟فقال ان لي أهلاً وليس عندي مــا نفقات بــــه وأريد من يدفع لنا شيئاً في حب رسول الله ، فنهض ابو بكر الصديق وقال : انا أعطيك ما يقوم بك في حب رسول الله ، ثم قال هل من حاجة أخرى ؟ قال نعم : ان لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حبــــاً برسول الله ، فقال ابو بكر : أنا اتزوج بها في حياتك حباً برسول الله ، هل من حاجة أخرى ؟ قال نعم أريد أن اضع يدي في شيبة ابي بكر حبــاً برسول الله ، فنهض ابو بكر ووضع شيبته في يــــد الاعمى ، وقال امسك لحيتي في حب محمد،فقبض الاعمى بلحية ابي بكر وقال: يا رب اسألك بحرمة شيبة ابي بكر إلا رددت عليّ بصري، قال فرد الله عليه بصره لوقته ، ونزل جبرائيل على النبي وقال : السلام يقرئــك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك : لو اقسم عليّ كل أعمى بحرمة شيبة ابي بكر لرددت عليه بصره وما تركت أعمى على وجه الارض ، وهذا كله ببركتك وعلو شأنك وقدرك عند ربك .

---

(١) روض الرياحين لليافعي طبع على هامش العرائس للثعلبي ص ٤٤٣ وقــال عنه الزرقاني في شرح المواهب انه مؤلف حسن، ولليافعي مؤلف آخر يحمل هذا الاسم ولكنه غير المطبوع على هامش العرائس .

وجاء في مروياتهم ان النبي كان إذا اشتاق الى الجنة قبل شيبة ابي بكر.

ونص العجلوني في كشف الخفاء ج/١٠ ص ٢٣٣ ان لابراهيم الخليل وأبي بكر شيبة في الجنة [١].

وجاء في تاريخ بغداد جلد ١٤ ص٧٨ بسند ينتهي الى القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة انه قال قال رسول الله : دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي فقلت ما هذا؟ قال بلال : فمضيت فإذا اكثر اهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين ولم أر فيها احداً أقل من الاغنياء والنساء ، ومضى الراوي يحدث حتى انتهى الى احـــد ابواب الجنة الثانية ، فلما كان عند الباب قال النبي : فأتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت امتي في كفة فرجحت بها ، ثم أتي بأبي بكر فوضع في كفة ووضعت جميع امتي في كفة فرجح ابو بكر ، ثم أتي بعمر فوضع في كفـة ، وجيء بجميع امتي فوضعوا في مقابله فرجح عليهم ثم رفع الميزان الى السماء [٢] .

وجاء في نزهة المجالس ج ٢ ان النبي ﷺ قـال عرض علي كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس فإني سلمت عليها وسألتها عن كسوفها فانطقها الله وقالت: لقد جعلني الله على عجلة تجري حيث يريد فانظر الى نفسي بعين العجب فتنزل بي العجلة فأوقع في البحر ، فأرى شخصين يقول احدهما لصاحبه احد احد، ويقول الآخر صدق صدق ، فأتوسل بهما الى الله تعـالى فينقذني من الخسوف فأقول يا ربي من هما ، فيقول الذي يقول احد احد هو حبيبي محمد ، والذي يقول صدق صدق هو ابو بكر الصديق .

---

(١) انظر ص ٢٣٧ و ٢٤٠ ج ٧ من غدير الاميني .

(٢) الغدير جلد ٧ ص ٢٨٦ .

وجاء في عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥ عن انس بن مالك انه قال : كنا جلوساً عند رسول الله إذ اقبل عليه رجل من اصحابه وساقاه تشخبان دماً فقال النبي ما هذا: قال يا رسول الله مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني، فقال ﷺ اجلس فجلس بين يدي النبي، فلما كان بعد ذلك بساعة إذ اقبل اليه رجل آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً ، فقال مثل قول الاول ، قال انس فنهض النبي وقال لأصحابه هلموا بنا الى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلهم وحمل كل رجل منهم سيفاً ، فلما أرادوا قتلها وقفت الكلبة بين يدي رسول الله وقالت لا تقتلني يا رسول الله فإني مؤمنة بالله وبرسوله ، فقال لها ما لك نهشت هذين الرجلين ، فقالت يا رسول الله : اني كلبة من الجن مأمورة ان انهش كل من سب أبا بكر ، فقال النبي ﷺ لهما : أما سمعتما ما تقول الكلبة ، قالا نعم يا رسول الله إنّا تائبان الى الله عز وجل .

وجاء في الكتاب المذكور عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : قال علي عليه السلام : كنت جالساً مع رسول الله وليس معنا ثالث إلا الله فقال يا علي : أتريد أن أعرفك بسيد كهول أهل الجنة وأعظمهم قدراً عند الله ومنزلة يوم القيامة ، فقلت أي وعيشك يا رسول الله فقال هذان المقبلان ، قال علي : فالتفت وإذا ابو بكر وعمر ، ثم رأيت رسول الله تبسم وقطب وجهه حتى ولجا المسجد ، فقال ابو بكر يا رسول الله لما قربنا من دار ابي حنيفة تبسمت لنا ثم قطب وجهك َفلِمَ ذلك ، فقال رسول الله : لما صرتما بجانب دار ابي حنيفة عارضتما إبليس ونظر في وجوهكما ، ثم رفع يده الى السماء ، اسمعه واراه وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو ويقول: اللهم اني اسألك بحق هذين الرجلين ان لا تعذبني بعذاب باغض ابي بكر وعمر، فقال

ابو بكر : ومن الذي يبغضنا يا رسول الله وقد آمنا بك وآزرناك وأقررنا بما جئت به من عند رب العالمين ؟ قال نعم يا ابا بكر : قوم يظهرون في آخر الزمان يقال لهم الرافضة يرفضون الحق ويتأولون القرآن على غير صحته وقد ذكرهم الله في كتابه العزيز بقوله : « **يحرفون الكلم عن مواضعه** » ، فقال يا رسول الله : فما جزاء من يبغضنا عند الله ؟ فقال يا ابا بكر حسبك ان إبليس يستجير بالله تعالى ان لا يعذبه بعذاب من يبغضكما، فقال يا رسول هذا جزاء من أبغض فما جزاء من أحب ، فقال رسول الله : ان تهديا له هدية من اعمالكما ، فقال ابو بكر أشهد الله وملائكته اني قد وهبت لهم ربع اجري منذ آمنت بالله ، وقال عمر وأنا مثل ذلك ، فقال رسول الله : فضعا صكا بذلك ، قال علي عليه السلام : فأخذ ابو بكر زجاجة وكتب صكا بذلك وفعل عمر مثله، فلما فرغ القلم من الكتابة هبط جبرائيل وقال : يا رسول الله الرب يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك هات ما كتبه صاحبك ، فأخذه جبرائيل وعرج به الى السماء ، ثم عاد الى رسول الله فقال له أين ما اخذت يا جبرائيل فقال هو عند الله وقد شهد الله عليه وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله : هو عندي حتى يفي ابو بكر وعمر بما قالا يوم القيامة [1] .

وجاء في الكتاب المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما كان **قاب قوسين او ادنى** اخذته وحشة، فسمع في حضرة الله تعالى بصوت ابي بكر فاطمأن قلبه واستأنس بصوت صاحبه [2] .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٠٥ و١٠٧ .

(٢) انظر ص ٢٨٦ من الغدير ج ٧ وص ٢٨٨ وما بعدها .

وجاء في الرياض النضرة ج / ١ ص ٧١ ومرقاة الاصول ص ١١٤ ان عبدالله بن العباس قال: لما كان ابو بكر مع النبي في الغار عطش عطشاً شديداً فشكا الى النبي ﷺ فقال له: اذهب الى صدر الغار فاشرب، قال ابو بكر فانطلقت الى صدر الغار فشربت ماء احلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ، ثم عدت الى النبي ﷺ فقال : شربت ، قلت نعم . فقال : ألا أبشرك يا ابا بكر ، قلت : بلى يا رسول الله . قال : ان الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة ان ينزل نهراً من جنة الفردوس الى صدر الغار ليشرب ابو بكر ، فقلت يا رسول الله : ولي عند الله هذه المنزلة ، فقال النبي نعم وأفضل منها والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً .

وجاء في الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج ١ ص ٣٠ وفي الصواعق ص ٥٠ عن انس بن مالك انه قال : سمعت رسول الله يقول اخبرني جبرائيل ان الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده امرني ان آخذ تفاحة من الجنة وأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النطفة الأولى وخلق ابا بكر من الثانية وخلق من الثالثة عمر بن الخطاب ومن الرابعة عثمان بن عفان ومن الخامسة علي فقال آدم من هؤلاء الذين كرمهم فقال الله تعالى : هؤلاء خمسة اشباح من ذريتك أكرم عندي من جميع خلقي ، ولما عصى آدم استغاث بهم فتاب ربه عليه .

ومن ذلك ما رواه ميمون بن مهران عن المسيب بن عبد الرحمن عن حذيفة اليمان انه قال : صلى بنا رسول الله صلاة الفجر فلما انتقل من صلاته قال أين ابو بكر الصديق فأجابه ابو بكر من آخر الصفوف لبيك يا رسول الله ، قال افرجوا لأبي بكر : فدنا منه وقال لحقت معي التكبيرة الاولى، قال يا رسول الله: أني كنت معك في الصف الاول فكبرتَ وكبرتُ فاستفتحت بالحمد فقرأتها فوسوس لي شيء من الطهور فخرجت الى باب

المسجد وإذا بهاتف يهتف ويقول وراءك ، فالتفت وإذا أنا بقدح من ذهب مملوء ماءً ابيض من الثلج واعذب من الشهد والين من الزبـد ، عليه منديل اخضر مكتوب عليـه لا إله إلا الله محمد رسول الله الصديق ابو بكر ، فأخـذت المنديل ووضعته على منكبي وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدح ولحقتك وأنت راكع الركعة الاولى وأتممت صلاتي معك ، فقـال النبي ﷺ : ابشر يا ابا بكر الذي وضأك للصلاة جبرائيل والذي مندلك ميكائيل والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل .

وروى الزهري عن عائشة انها قالت: كانت ليلتي من رسول‌الله فلما ضمني واياه الفراش قلت يا رسول الله ألست اكرم أزواجك عليك ، قال : بلى . قالت : حدثني عن ابي بفضيلة ، قال : حدثني جبرائيل ان الله تعالى لما خلق الارواح اختار روح ابي بكر من بين الارواح فجعل ترابهـا من الجنة وماءها من الحيوان وجعل له قصراً في الجنة من درة بيضاء مقاصيرها من الذهب والفضة ، وان الله تعالى آلى على نفسه ان لا يسلبه حسنة ولا يسأله عن سيئة واني ضمنت على الله كما ضمن الله على نفسه أن لا يكون ضجيعاً لي في حفرتي ولا أنيساً في وحـدتي ولا خليفة على امتي من بعدي إلا ابوك ، بايع على ذلك جبرائيل وميكائيل وعقدت خلافته براية بيضاء وعقد لواؤها تحت العرش ، وقال الله للملائكة رضيتم ما رضيت لعبدي ، فكفى بأبيك فخراً أن يبايع له جبرائيل وميكائيل وملائكة السماء وطائفة من‌الشياطين يسكنون البحر ، فمن لم يقبل هذا فليس مني ولست منه. قالت عائشة فقبّلت أنفه وما بين عينيه ، فقال حسبك فمن لست بأمه ما أنا بنبيه ، فمن أراد أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ منك [1] .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٩٠ وقـد عده السيوطي من الموضوعات ونسب وضعه الى احمد العلاف المعروف بالقطان .

ومن ذلك ما رواه انس عن النبي ﷺ انه قال : لما أسري بي رأيت في السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة ، لاتروث ولا تبول ولا تعرق ، رأسها من الياقوت الاحمر ، وحوافرها من الزمرد الاخضر ، وأبدانها من العقيان الاصفر ، ذوات أجنحة ، فقلت : لمن هذه ؟ فقال جبرائيل : هـذه لمحبي ابي بكر وعمر ، يزورون الله عليها يوم القيامة .

وجاء في نزهة المجالس للعصفوري في تفسير قوله تعالى : « ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ » ان عبد الله بن عباس قال : اذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت احمر فيجلس ابو بكر على كرسي ، وعمر على كرسي ، وعثمان على كرسي ، ثم يأمر الله الكراسي فتطير الى تحت العرش ، فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء ، ثم يؤتى بأربـع كاسات ، فأبو بكر يسقي عمر ، وعمر يسقي عثمان ، وعثمان يسقي علياً ، وعلي يسقي ابا بكر ، ثم يأمر الله جهنم ان تتمخض بأمواجها فتقذف الروافض على ساحلها، فيكشف الله عن أبصارهم ، فينظرون الى منازل أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون : هؤلاء الذين أسعدهم الله ، وسعد الناس بمتابعتهم ، وشقينا نحن بمخالفتهم ، ثم يردون الى جهنم بحسرة وندامة [1] .

ومن ذلك ان جبرائيل قال لمحمد ﷺ : يا محمـد ، لو مكثت معك ألف سنة إلا خمسين عاماً لم انتهِ من ذكر فضيلة من فضائل ابي بكر وعمر .

وانه قال لعائشة : ان لعمر بن الخطاب من الحسنات عدد نجوم السماء ، وهو مع ذلك حسنة من حسنات ابي بكر .

وانه قال : لو لم ابعث نبيا لبعث عمر بن الخطاب ، ولو كان بعدي نبي لكان عمر .

---

(١) الغدير ج ١٠ عن ج ٢ ص ٢١٧ من نزهة المجالس .

كما جاء في رواية الترمذي، وانه قال: إن لكل نبي خليلا ، وخليلي عثمان، وهو وليه في الدنيا والآخرة ، وان عثمان اذا تحول من منزل الى منزل في الليل تبرق له الجنة ليبصر طريقه .

وانه قال لمعاوية : انت مني يا معاوية وانا منك ولتزاحمني على باب الجنة كهاتين « السبابة والوسطى » وانه احد الامناء السبعة ـ اللوح ، والقلم ، واسرافيل ، وميكائيل وجبرائيل ومحمد ومعاوية بن ابي سفيان [1] .

الى كثير من أمثال هذه المرويات التي لا تقل من حيث الكم والكيف عن مرويات الشيعة في الفضائل والكرامات إن لم تكن هذه اشد غرابة وغلواً من تلك المرويات .

ولو تركنا مروياتهم في فضائل الخلفاء والصحابة ورجعنا الى كتبهم التي تتحدث عن العلماء والصلحاء والزهاد نجد فيها سيلا من الكرامات والمعجزات التي نستبعد صدورها حتى من الأنبياء في ادق المراحل واحرجها كرد الشمس وقطع المسافات البعيدة في لحظات معدودات، وإحياء الموتى والسير على وجه الماء، وغير ذلك مما اثبتوه لعلمائهم وأنكروه على علي وابنائه الكرام واتهموا الشيعة بالغلو والتخريف لأن بعض المحدثين نسب للأئمة بعض الكرامات والغيبيات .

ونسوق على سبيل المثال بعض الكرامات التي أثبتوها لبعض الزهاد والعلماء ، فمن ذلك ما رواه السبكي في طبقات الشافعية ، واليافعي في مرآة الجنان، وابن العماد في المجلد الخامس من الشذرات ، وقد جاء في هذه الكتب ان الشيخ اسماعيل الحضرمي قصد بلدة زبيد فكادت الشمس ان تغرب قبل

---

(١) انظر الموضوعات الى محمد طاهر الهندي الفتني ص ٩٤ و ١٠٠ .

وصوله اليها ، فأشار اليها بيده ان تتوقف عن المسير فوقفت حتى دخل المدينة [1] .

وجـاء في الفتاوى الحديثة لابن حجر أن من كرامات الحضرمي انه كان في طريقه الى زبيد وقد دنت الشمس من الغروب ، فقال لها : لا تغربي حتى ندخلها ، فوقفت ساعة كاملة ، فلما دخلها أشار اليها بيده ان تتابع مسيرتها، فاذا الدنيا مظلمة والنجوم ظاهرة .

وفي رواية السبكي في الطبقات ان خادم الحضرمي قال لها : يقول لك الفقيه الحضرمي لا تغربي ، فوقفت مكانها ولم تتحرك الى ان امرها بالمسير .

وجاء في تاريخ الخطيب وغيره عن ابراهيم بن اسماعيل بن خلف ان احمد ابن نصر الخزاعي لما قُتـل في المحنة التي وقعت بين المعتزلة والمحدثين وصلب رأسه ، كان رأسه يقرأ وهو على الخشبة : « **أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** » .

وجاء عن احمد بن كامل القاضي عن ابيه انه قال : وكل برأس احمد من يحفظه بعد ان نصب برأس الجسر، فقال الموكل به انه كان يراه بالليل يستدير الى القبلة بوجهه فيقرأ سورة « يس » بلسـان طلق فصيح .

وبلا شك ان هذه الاسطورة قـد وضعها الحنابلة في مقابل الرواية التي رواها الشيعة وغيرهم عن رأس شهيد الشهداء الحسين بن علي (ع) ، وجـاء فيها انه كان يقرأ وهو على رأس الرمح : « **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً** » .

---

(١) انظر المجلد الخامس من الشذرات وجاء فيه بعد ان نقل هـذه الاسطورة ان الحضرمي توفي سنة ٦٨٨ هجرية، وقد أشار اليافعي الى هذه الحادثة بقوله : ومن جاهه أومأ الى الشمس ان قفي فلم تمش حتى انزلوه بمقعد .

وجاء في تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمــة يعقوب بن ابي سلمة وفي المجلد الأول من شذرات الذهب وتاريخ ابن عساكر وابن خلكان وغيرهم ان يعقوب الملقب بالماجشون بعـد ان مات وحضر الناس لنقله الى مقره الأخير تحرك وبقي ثلاثة أيام يتحرك والناس ينتظرون مصيره ، ثم استوى جالساً وطلب سويقاً فشربه وحدثهم بانه صعد به ملك الى السماء ومضى به الى ان بلغ السماء السابعة ، وهناك قيل للملك الموت : من معك ، ولما أخبرهم أمروه بارجاعه الى الدنيا وقالوا له : لقــد بقي من عمره عدد من السنين والاشهر والساعات ، فأرجعه ملك الموت الى الدنيا ، وفي طريقه رأى محمداً وأبا بكر عن يمينه وعمر بن الخطاب عن شماله ، وعمر بن عبد العزيز بـين يديه ، وعاش بعد ذلك مـدة من الزمن الى ان كانت وفاته سنة ١٦٤ في الساعة التي حدد بها نهاية حياته [١] .

وجاء في تاريخي ابن الجوزي وابن كثير ان احمد الإسواري كان قـد تولى تغسيل اسماعيل بن محمد الحافظ ، جاء عنه انه قال : اردت ان انحي الحذقة عن سوأته لأغسل عورته ، فجذبها من يدي وغطى فرجه بها ، فراعني ذلك وقلت هذه هي الحياة بعد الموت [٢] .

وجـاء في روضة الناظرين ان الشيخ عقيل بن شهاب الدين احمد المنبجي العمري حفيد عمر بن الخطاب كان يلقب بالغواص ، ويقول : لقد أعطاني الله الكلمة النافذة في كل شيء ، ثم داخله وجد ، فقال : يا هوام ويا حجارة ، ويا أشجار صدقوني فيما أقول ، فوفدت عليه الوحوش من كل مكان وقــد ملأ زئيرها وصراخها البقاع ودارت حوله ، ورقصت الحجارة صاعدة ونازلة، واشتبكت أغصان الأشجار بعضها ببعض، ثم عاد كل شيء على ما كان عليه،

---

(١) انظر شذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٩ وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٧٩ .

(٢) انظر تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٢١٧ .

وقد سمي بالغواص لأنه كان يفرش سجادة على وجه الماء ويجلس عليها ، ثم يغوص في الماء مدة من الزمن ويخرج بعدها وليس على ثيابه أثر من الماء وكأنه كان في نزهة بين البساتين والرياحين .

وجاء في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي عن اليونيني انه قال : قال لي عدي بن مسافر يوماً : اذهب الى الجزيرة السادسة في البحر المحيط ، تجد فيها مسجداً فيه شيخ فقل له : يقول لك الشيخ عدي بن مسافر لا تختر لنفسك أمراً ليس لك فيه ارادة ، فقلت : ياسيدي ، وأنى لي بالبحر المحيط فدفعني بين كتفي وإذا أنا بتلك الجزيرة والبحر محيط بها ، فدخلت المسجد فرأيت فيه شيخاً مهيباً يفكر ، فسلمت عليه وبلغته الرساله فبكى ، وقال: جزاه الله خيراً ، فقلت : ياسيدي ، ما الخبر ؟ فقال : اعلم انه قد خطر لي ان اكون احد السبعة الخواص في النزع ، ولم يكمل هذا الخاطر حتى أتيتني، ثم دفعني في كتفي واذا أنا بزاوية الشيخ عدي بن مسافر وبين تلك الزاوية والجزيرة مئات البحور وآلاف الأميال .

وجاء عن عبد القادر الكيلاني انه قال : لما عرج بجدي رسول الله ليلة المرصاد الى السماء وبلغ سدرة المنتهى بقي جبرائيل الأمين متخلفاً ، وقال : يا محمد ، لو دنوت انملة لاحترقت ، فأرسل الله روحي اليه في ذلك المقام وكانت هي البراق الذي ركبه رسول الله وعناني بيده حتى وصل وكان قاب قوسين أو أدنى وقال لي : يا ولدي ، هذه قدمي على رقبتك، وقدماك على رقاب كل أولياء الله .

وجاء في ترجمة عبد القادر من كتاب تفريح الخاطر طبع مصر، ان احد خدامه قد توفي ، فجاءته زوجته وتضرعت اليه تطلب احياءه ، فتوجه الشيخ الى المراقبة فرأى في عالم الباطن ان ملك الموت يصعد الى السماء ومعه

الارواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فقال : يا ملك الموت ، قف واعطني روح خادمي فلان ، فقال ملك الموت : اني اقبض الارواح بأمر ربي وأؤديها اليه ولا يمكن ان اعطيك اياها فكرر عليه عبد القادر الطلب وامتنع ملك الموت عن اجابته ، وكان بيــد ملك الموت زنبيل فيه الارواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فجر الزنبيل وأخذه من يده فتفرقت الارواح ورجعت الى ابدانها ، فناجى ملك الموت ربه وقال : انت اعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك فلقد أخذ مني ما قبضته في هذا اليوم ، فخاطبه الله جل جلاله : انه محبوبي ولو انك اعطيته روح خادمه لما ذهبت تلك الارواح من قبضتك .

وجاء في الكتاب المذكور ان الله سبحانه قد أرسل كتاباً مع عزرائيل الى الشيخ عبد القادر قبل وفاته بسبعة أيام يعلمه فيه بموته فحمــل الكتاب ملك الموت وسلمه الى ولده الشيخ عبد الوهاب وعلى ظهر الغلاف : يصل هذا الكتاب من المحب الى المحبوب، ودخل على والده مع عزرائيل وسلمه الكتاب وكان ذلك معلوماً لديه ، فدعا للناس بالمغفرة ووعدهم بالشفاعة وضج عــالم الناسوت بالبكاء وابتهج عالم الملكوت بلقاء الشيخ عبد القادر .

وجاء في روضة الناظر، والعقود الجوهرية وغيرهما ان السيد احمد الرفاعي لما زار مدينة الرسول ﷺ واتجه الى قــبر النبي ظهرت له يد النبي ﷺ من قبره فأخذها وقبلها بمحضر جمع من الناس ، واشتهر أمرها بــين الخاصة والعامة ، ونظمها الشعراء وتحدث بها الخطباء على حد تعبير المؤلفين في ترجمة الرفاعي .

وممن نظم هـــذه الاسطورة الشيخ تقي الدين الفقيه النهر وندي المتوفى سنة ٥٩٤ في أبيات جاء فيها :

مدّ طـه يمينـــه للرفــاعي	فانجلت عنـــدها له الاشياء
لا تقل كيف تم هذا وأيقن	يفعل الله ربنا ما يشـــاء

وقد ترجمه ابن العماد الحنبلي في الشذرات واشاد بكراماته ومقامه الرفيع (١) .

وجاء في الجزء ١٣ من التاريخ الكبير للحافظ ابن كثير ان الشيخ عبد الله اليونيني المتوفى سنة ٦١٧ كان يحج في بعض السنين في الصحراء فيقطع المسافة من الشام الى مكة في دقائق معدودات .

وأضاف الى ذلك ابن كثير في تاريخه ان ذلك قد وقع لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحي العباد .

وجاء في شذرات الذهب انه بقي تسعين يوماً صائماً ، يفطر في كل ليلة على حبة حمص لا يدخل جوفه غيرها ، وأضاف الى ذلك انه في سائر أيامه كان لا يأكل إلا مرة في كل عشرة أيام وهو من اصحاب الكرامات والعجائب (٢) .

وجاء في الطبقات للمناوي ان احمد بن يحيى الشادي المتوفى سنة ٨٤١ قصده جماعة من الزيدية الذين لا يؤمنون بكراماته وقصدوا امتحانه ، وكان عنده بئر في داره، فجعل يغرف منها تارة لبناً وتارة سمناً وأخرى عسلا حسبما يقترحون عليه، ودخل على القاضي عثمان بن محمد الناشري وهو يعالج الموت ، فطلب من ربه ان يمهله ثلاث سنوات ، فقام من ساعته وعاش ثلاث سنوات لا تنقص يوماً ولا تزيد يوماً (٣) .

وجاء في روضة الناظرين في ترجمة السيد محمد سراج الدين الرفاعي انه

---

(١) انظر ج ٤ من الشذرات ص ٢٦٠.

(٢) انظر الشذرات ج ٥ ص ٧٤ وجاء فيها انه من قرية يونين من بلاد بعلبك وله قبر تتوافد اليه الناس للزيارة .

(٣) انظر مجلد ٧ من الشذورات ص ٢٤٠ .

مس بيده ظهر رجـل احدب فقوم الله ظهره وصار على أحسن حال وكأن لم يكن به شيء ، ومر في الشام على قصاب قد ذبح شاة وقطع اوداجها ووضع السكين في فمه والشاة تصارع الموت ، فأمره ان يعيد السكين الى رقبتهـا ، فانتفضت الشاة سليمة لا جراحة فيها وكأنها لم تصب بشيء .

وجاء في طبقات المناوي وشذرات الذهب ان حسين الصوفي كان يتطور حسبا يشاء ، يدخل عليه انسان فيجده سبعاً ، ثم يدخل عليه آخر فيجـده جدياً ، وآخرون يجدونه فيلاً وهكذا ، ودخل عليـه أعداؤه ليقتلوه ، فتمكنوا منه وقطعوه بأسيافهم وحملوه الى المكان بعيد والقوه فيه ، فلمـا أصبحوا وجدوه قائماً يصلي في زاويته ، ومكث أربعين سنة لا يذوق فيها الطعام والشراب [1] .

وجاء في شذرات الذهب عن الشيخ عبد القادر الشاذلي ان السيوطي رأى النبي ﷺ في اليقظة وقال له : يا شيخ الحديث ، وأخبره بأنه من أهل الجنة .

وجاء عن خادم السيوطي انه كان معه في مصر ، فقال له : أتريد أن نصلي العصر بمكة ؟ فقال له : نعم ، فأخذ بيده واذا هما بمكة ، فوصلا الحرم وطافا وشربا من ماء زمزم وصليا العصـر ، ورجعا الى مكانهما في لحظات معدودات .

وجاء في ترجمة ابي بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٤ انه لمـا رجع من الحج دخل زيلع وكان الحاكم فيها محمد بن عتيق فماتت له أم ولد كان مشغوفاً بها فدخل عليه ليعزيه فلم تنفع معه التعزية وانكب على رجليه وطلب منـه إحياءها ، فكشف عن وجهها وناداها باسمها فأجابته ، ولم يخرج من البيت حتى رجعت اليها روحها ، وعاشت بعد ذلك زمناً طويلا [2] .

---

(١) انظر الشذرات ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٢) انظر شذرات الذهب ج ٨ ص ٦٣ .

الى كثير من أمثال هذه الاساطير التي لو أردنا احصاءها لبلغت مجلداً من أضخم المجلدات .

ومهما بلغت مرويات الشيعة في علي وبنيه الهداة الطيبين فلم تبلغ هـذا النوع من الغلو ، ولم يدع أحـد من الشيعة ان جبرائيل لو بقي ألف سنة إلا خمسين عاماً يحدث في فضائله لم ينته من فضيلة واحدة منها .

كما جاء في هذه المرويات عن ابي بكر وعمر ، ولم يدعوا بأن علياً يزاحم النبي على باب الجنة كما يزاحمه معاوية بن هند علىحد زعم الراوي لهذه الرواية الى غير ذلك من المرويات التي هي أفحش من مرويات الغلاة والزنادقة ،ومع وجود هذه المرويات بين احاديثهم التي لا تقل عن مرويات الغلاة ان لم تكن افحش منها ، فلم ينسب لهم أحد الغلو في الخلفاء بما فيهم معاوية كما نسبوه الى كل متشيع لأهل البيت (ع) ، في حين انه اذا جاز على من لحظهم التاريخ بكل أنواع الخزي والعار ان يزاحموا النبي على باب الجنة ، وان يكونوا من امناء الله على وحيه مع جبرائيل وميكائيل ، فيجوز على علي وابنائه الهداة الميامين الذين لم يستطع اعداؤهم ان يلصقوا بهم حتى ابسط العيوب ، كما يجوز عليهم بطريق أولى لا لبس فيه ولا غموض إحياء الموتى وإبراء الأكمـــه والأبرص ، وغير ذلك مما يستعصي على سائر الناس بإذن الله ومشيئته .

وعلى أي الاحوال فاني إذ أقف من بعض المرويات في علي والأئمـة من ولده هذا الموقف وأرجح ان تكون من صنع الغلاة والحاكمين والزنادقة الذي اندسوا فيصفوف الشيعة ،لا أتردد ولو لحظة في ان علياً وأبناءه الأئمة بإمكانهم ان يصنعوا المعجزات التي تتعسر على غيرهم من الناس ، وقد صنعوا بإذن الله شيئاً من ذلك ، لا لأن الله سبحانه قد فوض اليهم امور العباد وأمدهم بالقدرة على كل شيء ، ولا لأنهم يعلمون ما كان وما سيكون الى قيام يوم الدين ، بل لأنهم عرفوا الله كما يجب ان يعرف ، وعبدوه مخلصين كما يجب ان يعبـــد ، وبذلوا في سبيله فوق ما يمكن ان يتصوره انسان من ابناء هـــذه الدنيا ،

فاستجاب لهم كما استجابوا له ، وامدهم بعلم من عنده لم يتوفر لاحد سواهم من الناس .

لقـــد أقسم علي عليه السلام بالله صادقاً بأنه لو اعطي الاقاليم السبعة على ان يعصي الله في نملة يسلبها جلب شعـيرة لم يفعل ، وحينما تولى الخلافة كانت في حسابه احقر من نعل بالية اذا لم تكن وسيلة لإحقاق الحق وإماتة البدع ، وحكم غيره فصنع ما تقتضيه مصلحته كحاكم يريد ان يكون حاكماً قبل كل شيء ، واقسم معاوية صادقاً مع انه لا يعرف غير الغدر والكذب والخيـانة حينما دخل الكوفة ونشوة الظفر تجري في دمه وعروقه ، انه لم يقاتل علياً وأهـل العراق إلا ليتأمر عليهم ويتسلط على عباد الله الاحرار ، ومع ذلك فهو عند محدثي السنة احد الأمناء السبعة ويزاحم النبي على باب الجنة .

وأعود لاكرر بأن هذه المرويات التي نقلتها عن بعض محدثي السنة ، كما وانها لا تعبر إلا عن رأي المغـــالين في خلفائهم وأوليائهم ، فكذلك بعض المرويات الشيعية في علي وبنيه الأئمة الأطهار فانهـا لا تعبر عن رأي الشيعة وبعضها يتنافى مع اصول الاسلام والتشيـع ، اقول ذلك وأنا واثق من ان عدداً كبـيراً من الشيعة ، بل ومن المعممين في النجف الاشرف وغيرها ممن لا يفهمون الأئمة على واقعهم ولا يدركون ســـر عظمتهم وخلودهم إلا عن طريق الغيبيات والاوهام لا يرضيهم ذلك وسوف يغضبون، ولكني لن استوحش من ذلك ما دمت واثقاً بأن ما أقوله وأكتبه يرضي الله سبحانه وينزه الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام مما الصق بهم زوراً وبهتاناً .

والله سبحانه من وراء القصد ، والهادي الى سبيل الرشاد .

أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذا الكتاب

اصول الكافي	لمحمد بن يعقوب الكليني
الوافي	لملا محسن الفيض
اكمال الدين واتمام النعمة	للشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي
معالم الزلفى	للسيد موسى البحراني
مختصر بصائر الدرجات	للشيخ حسن بن سليمان الحلي
مشارق انوار اليقين	للشيخ رجب البرسي
مرآة العقول	للمجلسي
مدينة المعاجز	
غاية المرام	للبحراني
الارشاد	للشيخ المفيد
الغيبة	للشيخ الطوسي
الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة	للمؤلف
الرسائل في اصول الفقه	للشيخ مرتضى الانصاري
التقريرات في اصول الفقه	للشيخ محمد علي الكاظمي
الوجيزة في علم الحديث	للشيخ عبد الصمد الحارثي
مقياس الهداية في علم الدراية	للشيخ عبدالله المقمقاني

دراسات في الكافي والصحيح للبخاري للمؤلف

الدراية في علم الحديث	للشهيد الثاني
اتقان المقال في علم الرجال	للشيخ محمد طه نجف
نهج المقال في احوال الرجال	للمرزا محمد
الرجال	للنجاشي
الرجال	للكشي
العدة في الاصول	للشيخ الطوسي
خاتمة الوسائل في احوال الرواة	للحر العاملي
الخلاصة في علم الرجال	العلامة الحلي
الأخبار الدخيلة	للشيخ محمد تقي التستري
قضاء الامام علي	=
معجم رجال الحديث	للمرجع الأعلى للطائفة الشيعية السيد الخوئي
الغدير	للشيخ عبد الحسين الاميني
السنة قبل التدوين	لمحمد عجاج الخطيب
السنة ومكانتها من التشريع	للشيخ مصطفى السباعي
علوم الحديث	لصبحي الصالح
شرح النهج	لابن ابي الحديد
المذاهب الاسلامية	للشيخ محمد ابو زهره
الباعث الحثيث	للحافظ ابن كثير
البداية والنهاية	=
شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلي
الموضوعات	لمحمد طاهر الفتني
اللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي	
تدريب الراوي	=
فجر الاسلام	لأحمد امين
ضحى الاسلام	=

أحكام القرآن	للجصاص
لسان الميزان	لابن حجر
تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلاني
التاريخ	لابن واضح اليعقوبي
الترغيب والترهيب	لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري
الكفاية في علم الحديث	للبغدادي
طبقات المحدثين	لأبي نعيم الاصفهاني
سيرة اعلام النبلاء	للذهبي
الله والانسان	لعبد الكريم الخطيب
مروج الذهب	المسعودي
الكنى والألقاب	المشيخ عباس القمي
الطبقات الكبرى	لعبد الوهاب الشعراني
الصحيح	للبخاري
الصحيح	لمحمد بن مسلم النيسابوري
نهاية الارب في احوال العرب	لشهاب الدين النويري

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
موقف محدثي السنة من عمر بن عبد العزيز ومعاوية	٣١
ما نسبه ابن كثير وغيره الى موقف الشيعة من الصحابة	٣٢
رأي الشيعة في الصحابة	٣٣

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
تطور القصص واستغلاله من قبل المرتزقة والوعاظ والخطباء	١٧٤

الفصل الرابع

الموضوع	الصفحة

الكتب التي صدرت للمؤلف :

١ ـ عقيدة الشيعة الامامية — طبع مرتين ونفد من الاسواق

٢ ـ تاريخ الفقه الجعفري — طبع مرتـين

٣ ـ المبادىء العامة للفقه الجعفري

٤ ـ الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة

٥ ـ نظرية العقد في الفقه الجعفري

٦ ـ دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري

٧ ـ المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري

٨ ـ الموضوعات في الآثار والأخبار

٩ ـ سيرة المصطفى من المهـــد الى اللحد بأسلوب جديد ودراسة موضوعية

